



مركز الأبحاث العقائدية





تأليف

مركز الأبحاث العقائدية
في النجف الأشرف

السلف الصالح

مركز الأبحاث العقائدية :

● إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)

● العراق ـ النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله

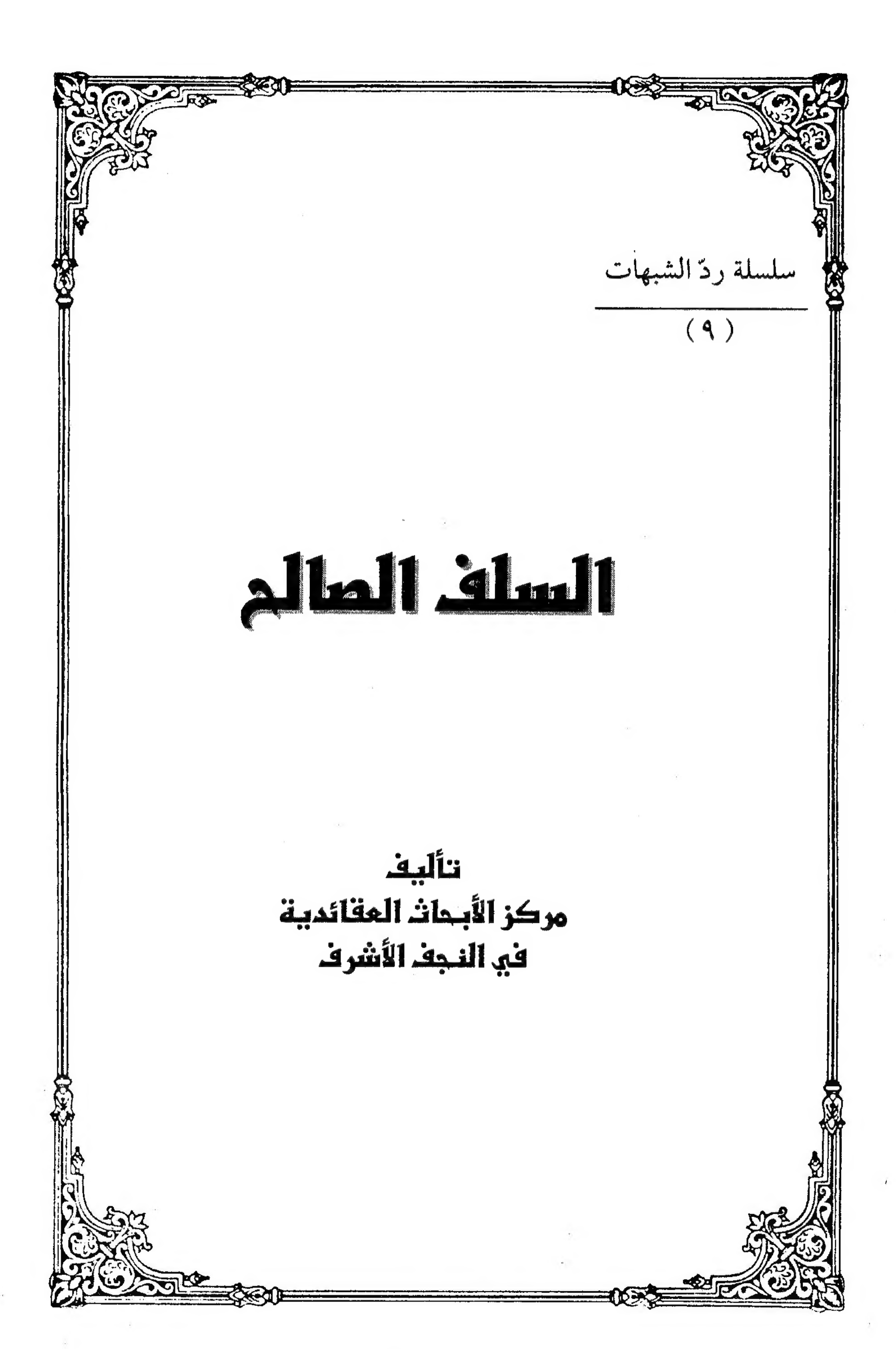
٨ جنب مكتب آية اللّه العظمى السيّد السيستاني دام ظله

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)

● الموقع على الانترنت : www.aqaed.com

● البريد الالكتروني : info@aqaed.com



سلسلة ردّ الشبهات

(٩)

السلف الصالح

تأليف
مركز الأبحاث العقائدية
في النجف الأشرف

مقدّمة المركز

بقلم الشيخ محمّد الحسّون

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله على ما منح من الهداية، ووهب من الدلالة، وصلواته على مَن ابتعثه رحمةً للعالمين، ومصباحاً للظلام، وغيثاً للعباد، وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وآلهما الغُرّ الكرام، عليهم أفضل الصلاة ما هطل غمام ووكف[1] رُكامٌ[2].

بعد رحلة نبيّ الرحمة محمّد صلى الله عليه وآله، انقسم المسلمون في مسألة الخليفة والإمام من بعده صلى الله عليه وآله إلى قسمين:

الأول: يرى أنّ هذا المنصب - الإمامة - كمنصب النبوّة، أي هو أمر تعييني وجعلي من الله سبحانه وتعالى، فكما أنّ الباري عزّ وجلّ اختار من بين خلقه أشخاصاً وجعلهم أنبياء، كذلك اختار مجموعة منهم وجعلهم أئمّة وخلفاء في أرضه، وهم اثنا عشر إماماً، أولهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وآخرهم الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وهذا القسم من المسلمين هم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أو الشيعة الإماميّة.

---

(١) وَكَفَ: قَطَرَ، الصحاح ٤: ١٤٤١ «وكف».

(٢) الرَكامُ: السحاب المتراكم، الصحاح ٥: ١٩٣٦ «ركم».

الثاني: يرى أنّ منصب الإمامة والخلافة يختلف عن منصب النبوّة، وهو منصب انتخابي أو اختياري، أي أنّ الله سبحانه وتعالى أوكل هذا الأمر إلى الأمّة وأمرهم بانتخاب خليفة لهم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وهذا القسم من المسلمين هم أتباع مدرسة الخلفاء، أو السُنّة.

ولكلّ من هذين القسمين من المسلمين أدلّتهم على معتقدهم هذا من الكتاب والسنّة، وحاول - ولا زال - كلّ منهم إثبات معتقدهم والردّ على الطرف الآخر من خلال مقالات، أو كتب - ألّفت مستقلّة أو ضمن مواضيع أخرى - أو مناظرات جرت بينهم، حتّى قيل: إنّه ما ألّف المسلمون كتباً حول موضوع كما ألّفوا حول موضوع الإمامة؛ لأنّ الاختلاف فيه هو الأصل والأساس في الاختلاف بين المسلمين، وكلّ الخلافات الأخرى هي خلافات فرعية عنه.

ونتيجةً لذلك فقد انقسم المسلمون من ذلك اليوم وإلى يومنا هذا إلى شيعة وسنّة، ابتداءً بالصحابة ثمّ التابعين، ثمّ تابعي التابعين، وهكذا إلى هذا اليوم.

ثمّ حصلت تشعّبات في أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وانقسموا إلى عدّة أقسام، اضمحل أكثرها وبقي منها اليوم ثلاثة: الإمامية، والزيدية، والإسماعيلية.

وكذلك تشعّب أتباع مدرسة الخلفاء إلى فرق ومذاهب كثيرة، شاءت السياسة آنذاك حصرها في أربعة مذاهب: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبليّة.

والنقطة المهمّة التي نريد الحديث عنها —وهي موضوع الكتاب الذي بين أيدينا —من هم الصحابة الذين تبعوا مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟ ومن هم الصحابة الذين تبعوا مدرسة الخلفاء؟

أو نقول بشكل صريح: من هم الذين أيّدوا عليّاً عليه السلام من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؟ ومن هم الذين أيّدوا أبا بكر وساروا على نهجه ونهج من جاء بعده، ودافعوا عن ذلك الكيان، وأسّسوا أركانه وشيّدوا بنيانه؟

أو فلنقل: من هو السلف الصالح؟ من هو سلفكم؟ ومن هو سلفنا؟

والمقارنة يمكن أن نجعلها في مرتبتين:

الأولى: بين أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبين كافة الصحابة.

الثانية: بين الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وبين أئمة المذاهب الإسلامية الأُخرى.

فالحديث عن علي عليه السلام وفضائله ومناقبه، وتقدّمه على كافة الصحابة في كلّ المجالات، حديث مهم وشيّق، ولا يمكن لأحد أن ينكره مهما أوتي من قوّة البيان والبنان.

فعلي عليه السلام أوّل من أسلم، وأوّل من صلّى مع النبيّ صلى الله عليه وآله، ربّاه النبيّ صلى الله عليه وآله وتعهّده وعلّمه، وقد نزلت فيه عليه السلام آيات كثيرة، إذ قال ابن عباس: نزلت في عليّ عليه السلام ثلاثمائة آية[١] منها على سبيل المثال لا الحصر:

﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ** ﴾[٢].

﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[٣].

﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[٤].

---

(١) أُنظر الصواعق المحرقة: ١٢٧.

(٢) السجدة: ١٨، الكشّاف: ١٨، الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة٣: ٣٦، أنوار التنزيل ٢: ٢٣٦، الكشف والبيان٧: ٣٣٣.

(٣) التوبة: ١٩، جامع الأصول٨: ٦٦٣، معالم التنزيل ٣: ٢٠، ربيع الأبرار ٣: ٤٢٣، الدر المنثور ٤: ١٤٤.

(٤) البقرة: ٢٧٤، الكشّاف ١: ٣٩٨، الصواعق المحرقة: ١٦٠.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾[(١)].

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[(٢)].

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾[(٣)].

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[(٤)].

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[(٥)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٦)].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[(٧)].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾[(٨)].

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾[(٩)].

---

(١) الفاتحة: ٧، معالم التنزيل ١: ٢٩.

(٢) هود: ١٨، معالم التنزيل ٣: ١٩٨.

(٣) الأحزاب: ٥٨، الكشّاف ٣: ٢٧٣، أنوار التنزيل ٢: ٢٤٧، معالم التنزيل ٤: ٤٨٧.

(٤) الحاقّة: ١٢، الكشّاف: ٢٤، الكشف والبيان ١٠: ٢٨.

(٥) االصافات: ٢٤، الصواعق المحرقة: ١٥٩.

(٦) المجادلة: ١٢، الكشّاف ٤: ٧٦، أنوار التنزيل ٢: ٤٦١.

(٧) البيّنة: ٧، الصواعق المحرقة: ١٦١، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ١٠٦، « قمح »، الدر المنثور ٨: ٥٨٩.

(٨) المطفّفين: ٢٩، الكشّاف ٤: ٢٣٣.

(٩) الإنسان: ٨، الكشّاف ٤: ١٩٧، معالم التنزيل ٥: ٤٩٨

﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(١).

﴿ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٢).

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(٣).

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(٤).

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(٥).

أمّا أحاديث النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في حقّ عليّ عليه السلام، فهي معروفة وكثيرة، ولا يمكن لأي شخص إنكارها أو تأويلها، والتي منها على سبيل المثال:

حديث الدار: ((إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوا))(٦).

وحديث الولاية: ((عليّ منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي))(٧).

---

(١) الشورى: ٢٣، الكشّاف ٣: ٤٦٧، أنوار التنزيل ٢: ٣٥٧، الصواعق المحرقة: ١٦٢، الكشف والبيان ٨: ٣١.

(٢) الزمر: ٣٣، الدر المنثور ٧: ٢٢٨، معالم التنزيل ٤: ٤٨٤.

(٣) آل عمران: ٦١، صحيح مسلم ٤: ١٨٧، سنن الترمذي ٥: ٦٣٨، فرائد السمطين ١: ٣٧٧، جامع الأصول ٨: ٦٥٠، الكشّاف ١: ٤٣٤، أنوار التنزيل ١: ١٦١، الكامل في التاريخ ٢: ٢٩٣، مصابيح السنّة ٤: ١٨٣، الصواعق المحرقة: ١٤٨.

(٤) الأحزاب: ٣٣، صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣، مصابيح السنّة ٤: ١٨٣، معالم التنزيل ٤: ٤٦٤، سنن الترمذي ٥: ٦٦٣.

(٥) المائدة: ٥٥، معالم التنزيل ٢: ٢٧٢، الكشّاف ١: ٦٢٣، أنوار التنزيل ١: ٢٨٠، التفسير الكبير ١٢: ٢٦.

(٦) معالم التنزيل ٤: ٢٧٨، تفسير الطبري ١٩: ٧٤، السنن الكبرى ٩: ٧، تفسير ابن أبي حاتم ٩: ٢٨٢٦.

(٧) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٤، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٦٠، مسند أحمد بن حنبل ١: ٥٤٥.

وحديث الغدير: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه وعادِ من عاداه))[١].

وحديث المنزلة: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي))[٢].

وحديث الراية: ((لأعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله))[٣].

وحديث الطائر المشوي: ((اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر))[٤].

وحديث النجوى: ((ما انتجيته ولكنّ الله انتجاه))[٥].

وحديث الثقلين: ((إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما))[٦].

وحديث المواخاة: ((أنت أخي في الدنيا والآخرة))[٧].

وغيرها من عشرات الأحاديث التي أفردّ لها بعض علمائنا مؤلّفات مستقلّة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٥٠١، فضائل الصحابة للنسائي: ١٥.

(٢) انظر صحيح البخاري ٥: ٢٤ و٦: ٣، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠.

(٣) صحيح البخاري ٤: ٧٣، صحيح مسلم ٣: ١٤٤٠، جامع الأصول ٨: ٦٥٤، مصابيح السنّة ٤: ١٧١.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٥٩٥، فضائل الإمام علي عليه السلام لأحمد بن حنبل: ٤٢، مجمع الزوائد ٩: ١٢٥، المستدرك على الصحيحين ٣: ٨٣٠ حلية الأولياء ٤: ٣٥٦.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٦٣٩، مصابيح السنّة ٤: ١٧٣، جامع الأصول ٨: ٦٥٨.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٦٦٢، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٩٢، مصابيح السنّة ٤: ١٩٠، جامع الأصول ١: ٢٧٨.

(٧) جامع الأصول ٨: ٦٤٩، مصابيح السنّة ٤: ١٧٣، الصواعق المحرقة: ١٧٦.

أمّا المقارنة بين الإمام جعفر الصادق عليه السلام وبين أئمة المذاهب الإسلامية الأربعة، وتفضيله عليه السلام عليهم، فهو أمر واضح وجليّ لكلّ منصف، فلا يستطيع أحد تقديم أيّ واحد منهم على الإمام الصادق عليه السلام.

وتفضيله عليه السلام عليهم -أئمة المذاهب الإسلامية الأربعة- هو في الواقع تفضيل للإمام عليّ عليه السلام على كافة الصحابة، بل تفضيل لمذهب أهل البيت عليهم السلام على بقيّة المذاهب الإسلامية الأخرى.

ونحن ننقل هنا عبارات بعض كبار العلماء والمحدّثين من أتباع مدرسة الخلفاء في حقّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثمّ ننقل عبارة ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة المتضمّنة لتفضيل الإمام الصادق عليه السلام على أئمة المذاهب الإسلاميّة، وتفضيل الإمام عليّ عليه السلام على الصحابة، وأنّ منشأ كافة العلوم الإسلامية إليه عليه السلام.

قال مالك بن أنس: ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً[1].

وقال المنصور الدوانيقي مؤبّناً الإمام الصادق عليه السلام: إنّ جعفر ابن محمّد كان ممّن قال الله فيه: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾[2]، وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات[3].

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧ هـ): سمعت أبي يقول: جعفر بن محمّد ثقة لا يُسأل عن مثله.

(١) تهذيب التهذيب: ٢: ١٠٤.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٣: ١٧.

وقال: سمعت أبا زرعة وسئل عن جعفر بن محمّد عن أبيه وسهيل بن أبي صالح عن أبيه والعلاء عن أبيه أيّما أصح؟ قال: لا يقرن جعفر بن محمّد إلى هؤلاء[١].

وقال أبو حاتم محمّد بن حيّان (٣٥٤ هـ) عنه: كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً[٢].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي (٣٢٥ – ٤١٢ هـ) عنه: فاق جميع أقرانه من أهل البيت عليهم السلام، وهو ذو علم غزير وزهد بالغ في الدنيا، وورع تامّ عن الشهوات، وأدب كامل في الحكمة[٣].

وقال أبو نعيم (٤٣٠ هـ): ومنهم الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر ابن محمّد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع[٤].

وأضاف الشهرستاني (٤٧٩ – ٥٤٨ هـ) على ما قاله السلمي عنه: وقد أقام بالمدينة مدّة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثمّ دخل العراق وأقام بها مدّة، ما تعرّض للإمامة قط، ولا نازع في الخلافة أحداً، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطّ[٥].

---

(١) الجرح والتعديل: ٢: ٤٨٧.

(٢) الثقات: ٦: ١٣١.

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ١: ٥٨.

(٤) حلية الأولياء ١: ٧٢.

(٥) الملل والنحل ١: ١٤٧.

وذكر الخوارزمي (٥٦٨ هـ) في مناقب أبي حنيفة أنّه قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد. وقال: لولا السنتان لهلك النعمان. مشيراً إلى السنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق[١].

وقال ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧هـ): جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين كان مشغولاً بالعبادة عن طلب الرئاسة[٢].

وقال محمّد بن طلحة الشافعي (٦٥٢هـ) عنه: هو من عظماء أهل البيت عليهم السلام وساداتهم، ذو علوم جمّة وعبادة موفورة وأوراد متواصلة وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبّع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجايبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذريّة الرسالة، نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها.

وأمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوت عدّ الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه.

وقد قيل: إنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب ويتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه عليه السلام، وإن في هذه لمنقبة سنيّة، ودرجة في مقام الفضائل عليّة، وهي نبذة يسيرة ممّا نقل عنه[٣].

---

(١) مناقب أبي حنيفة ١: ١٧٢، والتحفة الاثنى عشرية: ٨

(٢) صفوة الصفوة ٢: ٩٤.

(٣) مطالب السؤول ٢: ٥٦.

وقال ابن خلّكان (٦٠٨ – ٦٨١ هـ): أبو عبد الله جعفر الصادق... أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت، ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يُذكر، وله كلام في صنعة الكيميا، والزجر والفال... ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمّد الباقر وجدّه عليّ زين العابدين وعمّ جده الحسن بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين، فللّه درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه[١].

وقال محمّد بن خواجه پارساي البخاري في فصل الخطاب (٧٥٦ – ٨٢٢ هـ): اتفقوا على جلالة الصادق عليه السلام وسيادته[٢].

وقال ابن الصبّاغ المالكي (٧٨٤ – ٨٥٥ هـ): نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان، ولم ينقل من العلماء عن أحدٍ من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث.

وروى عنه جماعة من أعيان الأمة... وصّى إليه أبو جعفر عليه السلام بالإمامة وغيرها وصيّة ظاهرة، ونصّ عليها نصّاً جليّاً[٣].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ١: ١٦ – ٢٠:

فأما فضائل علي عليه السلام ؛ فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمُجُ معه التعرّض لذكرها، والتصدّي لتفصيلها ؛ فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكّل والمعتمد: رأيتُني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر ؛ فأيقنت أنّي حيث انتهى بي القول مُنسوب إلى العجز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

---

(١) وفيات الأعيان ١: ٣٢٧.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ١٦٠.

(٣) الفصول المهمّة: ٢٢٢.

وما أقولُ في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحدُ مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنّه استولى بنو أميّة على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسمُوّاً ؛ وكان كالمسك كلّما سُتر انتشر عرفه، وكلّما كتم تضوّع نشره ؛ وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلّي حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

وقد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهيّ ؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم. ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ.

فإنّ المعتزلة - الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلّم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه ؛ لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفيّة، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام.

وأمّا الأشعريّة فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن [إسماعيل ابن] أبي بشر الأشعريّ، وهو تلميذ أبي عليّ الجبّائيّ، وابو عليّ أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بأخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلّمهم، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الإمامية والزيديّة فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه.

أمّا أصحابُ أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمّد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة.

وأمّا الشافعيّ فقرأ على محمّد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة.

وأمّا أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعيّ، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد عليه السلام، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام، وينتهي الأمر إلى عليّ عليه السلام.

وأمّا مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على عليّ بن أبي طالب.

وإن شئت فرددت إليه فقه الشافعيّ بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

وأمّا فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر.

وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطّاب وعبد الله ابن عباس ؛ وكلاهما أخذ عن عليّ عليه السلام.

أمّا ابن عباس فظاهر.

وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحدٍ رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرّة: « لولا عليّ لهلك عمر » ؛ فقد عُرف بهذا الوجه أيضاً إنهاء الفقه إليه.

وقد روت العامّة والخاصّة قوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم عليّ»، والقضاء هو الفقه، فهو إذاً أفقهُهم.

وروى الكلّ أيضاً أنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: «اللهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه»، قال: فما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين.

وهو عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبريّة: صار ثمنها تسعا. وهذه المسألة لو فكّر الفرضي فيه فكراً طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنّك بمن قاله بديهة، واقتضبه ارتجالا!

ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرّع وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك؛ لأنّ أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنّه تلميذُه وخرّيجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف؛ وقد عرفت أن أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون؛ وقد صرّح بذلك الشبليّ، والجنيد، وسريّ، وأبو يزيد البسطاميّ، وأبو محفوظ معروف الكرخي؛ وغيرهم. ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يُسندونها بإسناد متّصل إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن العلوم علم النّحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤليّ جوامعه وأصوله، من جملتها: الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يُلحق بالمعجزات؛ لأنّ القوة البشريّة لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقيّة والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها.

انتهى كلام ابن أبي الحديد.

نعم، هؤلاء هم أئمتنا وقادتنا وسلفنا الصالح، منهم نأخذ أحكامنا الدينية، وبهم نقتدي، وهم الحجّة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى. لا كما يفعل الآخرون إذ يدّعون محبّة أهل البيت عليهم السلام، لكنّهم يقتدون بغيرهم ويأخذون أحكامهم وعقائدهم من مخالفيهم، فإنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع.

والكتاب الذي بين أيدينا، محاولة جادّة لبيان السلف الصالح الذي يجب على المسلمين الاقتداء بهم، وهو خطوة تضاف إلى خطوات العلماء الآخرين في سبيل الوحدة الإسلامية الواقعية بين المسلمين.

وختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير للإخوة الأعزاء أعضاء «مركز الأبحاث العقائدية» في مدينتي النجف الأشرف وقم المقدّسة، الذين قاموا بإخراج هذا الكتاب ونخصّ بالذكر الأخ الكريم سماحة الشيخ خالد البغدادي الذي أخذ على عاتقه تأليف هذا الكتاب، فللّه درّهم وعليه أجرهم، والحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الحسّون

٤ رجب ١٤٢٩هـ

الصفحة على الإنترنيت: site.aqaed.com/mohammad

البريد الإلكتروني: muhammad@aqaed.com

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

تداول الناس في العراق بعد سقوط النظام الصدامي أقراصاً ليزرية تحوي محاضرات وخطب لجملة من دعاة الحركة السلفية في العراق، يذكرون فيها جملة من الشبهات والمغالطات في حقّ التشيّع لأهل بيت النبوّة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فدعت الحاجة إلى الرد على هؤلاء (الدعاة) من أجل إراءة الحقيقة لمن يرغب في معرفتها والاطلاع عليها، فلخصّنا من هذه الأقراص ما تناولته عن التشيّع وجذوره خاصّة، وقد جمعنا هذه الإيرادات فوجدناها تتناول محاور رئيسية أربعة لا غير كانت تدور عليها رحى أقوال المحاضرين وتعليقاتهم، والمحاور الأربعة هي:

المحور الأوّل: ((أنّ التشيّع يعني حبّ أهل البيت عليهم السلام لا أكثر))!

ومرادهم من ذلك أنّ قول أهل البيت عليهم السلام وفعلهم وتقريرهم ليس بحجّة دون قول أو فعل أو تقرير غيرهم، وقد أفردنا لهذا المحور بحثاً مستقلاً فيما يخص معنى التشيّع لغةً واصطلاحاً وبيان أدلّته كتاباً وسنّةً.

المحور الثاني: ((لم يكن في القرون الثلاثة الأُولى منذ صدر الإسلام شيعة بالمعنى الّذي يفهمه الناس اليوم، وإنّما هذا المفهوم - أي: التشيّع والشيعة - قد تبلور بعد هذه الفترة وبفعل عوامل خارجية)).

وقد أجبنا عن هذه الدعوى جواباً عملياً، وذلك بذكر ترجمة موضوعية لحياة نخبة من الصحابة والتابعين الّذين عُرفوا بتشيّعهم وولائهم لأمير المؤمنين عليه السلام، وممّن لا تختلف عقائدهم بشيء عن عقائد شيعة أهل البيت في الأزمنة المتأخرة وزماننا اليوم.

ولم يفتنا في هذا المحور أن نذكر- على سبيل أنّ لكلّ سلف عيّنة - من سلف هؤلاء (الدعاة) من الّذين يفتخرون بالولاء لهم ومتابعتهم، وما هم عليه من واقع منقول متضافر في الصفات والأحوال، وبحسب مصادر هؤلاء الدعاة أنفسهم وليس من غيرها، والغرض من ذلك أن يميّز المسلمون بين الغث والسمين في الموضوع، ومن ثمَّ ليدرك المسلم أيّ سلف صالح يجب عليه اتّباعه حقّاً!!

المحور الثالث: ((أنّ عبد الله بن سبأ - وهو رجل يهودي - أوّل من قال بالوصية لعليّ عليه السلام)).

وقد أجبنا عن هذه الدعوى ببحث مفصّل تتبعنا فيه كلّ من ذكر ابن سبأ وقوله هذا، ولم نبق في هذا الموضوع أيّة رواية أو مقالة يمكن الاستدلال بها في هذا المجال إلا وناقشناها سنداً ودلالة.

ولم يفتنا في هذا المحور أيضاً أن نتناول بالبحث والتحقيق دور اليهود وتأثيرهم على الفكر السنّي عموماً والفكر السلفي خصوصاً، رجالات وعقائد، والغرض منه أن يتبيّن للناس أيّ الفريقين أولى بإلصاق هذه التهمة به، أي: تهمة الأثر اليهودي في فكره وعقائده؟!

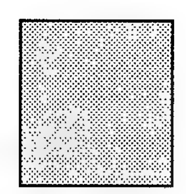
المحور الرابع: ((اعتبار هؤلاء المحاضرون - بحسب ما تبيّن من كلماتهم - أنّ الفرس هم الّذين قادوا التشيّع في القرن الرابع، وهم الّذين صاغوه بشكله الحالي،

وهم الّذين تآمروا على الإسلام، وتكلّموا باسم أهل البيت، وهم الشعوبيون الّذين يبغضون العرب...)).

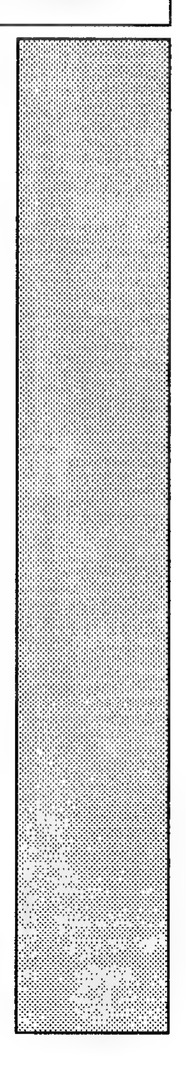
وقد أجبنا عن هذه الدعوى الأخيرة ببحث موجز بيّنا فيه الأُصول الفارسية لأئمّة المذاهب والحديث والتفسير والكلام عند أهل السنّة، وكان الهدف من هذا البيان إنّما هو لغرض الإشارة إلى أنّه لا ينبغي للمرء أن يكيل بمكيالين في هذا الموضوع، وإنّما ينبغي له التجرّد عن حالة التعصّب القومي ضدّ الآخر، فإنّ هذه المقاييس الّتي يتكلّم بها القوم تتنافى وروح القرآن الكريم والسنّة الشريفة الّتي لم تميّز بين الناس على أساس اللغة أو العِرق أو اللون، وإنّما جَعلت المقياس الحقيقي للكرامة عند الله سبحانه والرسول ﷺ والمؤمنين هو التقوى لا غير!! ولكننا نعلم منشأ هذا التوجّه وأبعاده، ونعلم أنّه من بقايا النَفَس (القومي) و(الشوفيني) الّذي تربّى عليه القوم، وهو يأبى عليهم أن يتّخذوا من المنهج القرآني أو النبوي منهجاً حقيقياً وفاعلاً لهم في كيفية التعامل مع عباد الله!

وسنكتفي بهذه الإشارات لما ورد في هذه الأقراص بخصوص المواضيع المتكلّم فيها، وهي - أي: هذه الأقراص - متداولة وليست مطبوعة في كتاب ما حتّى يمكن للكاتب الإحالة على الصفحة أو الجزء الّذي يرد الموضوع فيه، ولذا اكتفينا بذكر أُمّهات المطالب في كلّ موضوع في هذه المقدّمة فقط، وستكون المتون القادمة من الكتاب مخصصة للإجابة على المحاور الأربعة المذكورة لا غير.

ومنه سبحانه نستمد العون والتوفيق، إنّه نعم المولى ونعم النصير.



المحور الأول



▣ الشيعة والتشيّع لغةً واصطلاحاً

نبدأ البحث في الإجابة عن المحور الأوّل في بيان معنى الشيعة والتشيّع لغةً واصطلاحاً، ثمّ نعرج على الجانب العقائدي في الموضوع، وبيان الأدلة في ذلك.

قال الراغب في (المفردات) في مادة (شيع): ((الشياع: الانتشار والتقوية، يقال: شاع الخبر، أي: كثر وقوى... والشيعة من يتقوّى بهم الإنسان وينتشرون عنه ومنه))[1].

وقال الفيروزآبادي في (القاموس المحيط)، وذكر نحوه أيضاً ابن الأثير في النهاية، في مادة (شيع): ((شيعة الرجل - بالكسر - أتباعه وأنصاره.. ويقع على الواحد والاثنين))[2].

وعن ابن منظور في (لسان العرب) في مادة (شيع): ((الشيعة القوم الّذين يجتمعون على الأمر، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكلّ قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع... والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع، وأشياع جمع الجمع، ويقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي))[3].

وعن الجوهري في (الصحاح)، قال: ((شيعة الرجل أتباعه وأنصاره))[4].

وعن الفيومي في (المصباح): ((الشيعة الأتباع والأنصار))[5].

---

(١) مفردات غريب القرآن: ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) القاموس المحيط ٣: ٤٧، النهاية في غريب الحديث ٢: ٥١٩.

(٣) لسان العرب ٨: ١٨٨.

(٤) الصحاح ٣: ١٢٤٠.

(٥) المصباح المنير: ٣٢٩.

وأمّا اصطلاحاً: قال ابن خلدون في تاريخه: ((اعلم أنَّ الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسلف على أتباع عليّ وبنيه عليهم السلام، ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة الّتي تُفوّض إلى نظر الأمّة، ويتعيّن القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام. ولا يجوز لنبيّ إغفاله ولا تفويضه إلى الأمّة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وإنَّ عليّاً عليه السلام هو الّذي عيّنه (صلوات الله وسلامه عليه) بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم))[١].

وجاء في (النهاية) لابن الأثير: ((وأصل الشيعة الفرقة من الناس.. وقد غلب هذا الاسم على كلّ من يزعم أنّه يتولّى عليّاً عليه السلام وأهل بيته، حتّى صار لهم اسماً خاصّاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عُرف أنّه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا، أي: عندهم... وأصلها من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة))[٢].

وهذا التعريف قد أورده بعينه كلٌّ من ابن منظور، والزبيدي، والفيروزآبادي[٣].

وبمضمونه أيضاً عرَّف الأزهري الشيعة، حيث قال: ((الشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبيّ صلى الله عليه وآله ويوالونهم))[٤]. وفي هذا التعريف - كما نلاحظ - لم يقل الأزهري يحبّونهم لأشخاصهم - كما ستأتي الإشارة إليه فيما نستمع إليه من تعريف عند البعض - إنّما قال: يهوون هواهم، وهوى أهل البيت عليهم السلام هو طاعة الله عزّ وجلّ ضرورة، فالشيعة إذن قومٌ يتابعون أهل البيت ويوالونهم لما فيه طاعة الله سبحانه.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ١٩٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢: ٥١٩، ٥٢٠.

(٣) لسان العرب ٨: ١٨٩، تاج العروس ١١: ٢٥٧، القاموس المحيط ٣: ٤٧.

(٤) لسان العرب ٨: ١٨٩، تاج العروس ١١: ٢٥٧.

وقال الجرجاني في (تعريفاته): ((الشيعة: هم الّذين شايعوا عليّاً رضي الله عنه وقالوا: إنّه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده))[١].

وعن الشهرستاني في (الملل والنحل)، قال ((الشيعة: هم الّذين شايعوا عليّاً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية إمّا جليّاً وإمّا خفياً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من عنده))[٢].

وبهذا التعريف - أي: تعريف الشهرستاني، وجانباً من تعريف ابن خلدون المتقدّم - عرّف أبو عبد الله عامر عبد الله فالح، وهو من كتّاب السلفية المعاصرين، الشيعة في كتابه الّذي قدّم له وراجعه الشيخ عبد الله بن جبرين، والّذي أسماه (معجم ألفاظ العقيدة)، ذلك بعد أن قال المؤلّف في مقدّمة كتابه: ((اخترت أوثق الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدّمين ومتأخرين ومعاصرين))[٣]، قال في تعريف الشيعة: ((الشيعة: هم الّذين شايعوا عليّاً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إمّا جلياً وإمّا خفياً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا: الإمامة ركن من أركان الدين لا يجوز للرسول صلى الله عليه وآله إغفاله وإهماله، ويجب القول بالتعيين والتنصيص، وقالوا بعصمة الأئمّة عن الكبائر والصغائر))[٤].

ومن المعلوم أنَّ الاصطلاح، وهو في الغالب اللفظ المنقول كما يسمّيه المناطقة، والّذي يعني نقل اللفظ من معنى إلى معنى آخر جديد، يشترط فيه وجود مناسبة بين الوضعين، وفي المقام لو طبّقنا ذلك لوجدنا أنَّ المناسبة واضحة عند قولهم

---

(١) التعريفات ١: ١٧١.

(٢) الملل والنحل ١: ١٤٦.

(٣) معجم ألفاظ العقيدة: ١٠، مقدّمة الطبعة الأُولى.

(٤) المصدر نفسه: ٢٤٧.

في معنى الشيعة –لغة –: هم الأتباع والأنصار، وبين المعنى الاصطلاحي الّذي يراد به: القائلين بإمامة عليّ عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، إذ من شروط القبول بإمامتهم هو متابعتهم ومناصرتهم، وهذه المناسبة هي الّتي يشير إليها أرباب اللغة عند ذكرهم للمعنى الاصطلاحي للشيعة حين يقولون: ((وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة))[١] .. فتدبّر ذلك جيداً ولا تنساه فإنّ هذا المعنى سينفعنا كثيراً في ردّ الدعاوى المتقدّمة وغيرها.

وبلحاظ ما تقدّم ذكره من بيان عن معنى الشيعة والتشيّع لغةً واصطلاحاً نقول:

لا يحقّ بعد هذا لأيّ مدّعٍ أن يفسّر التشيّع بالحبّ لوحده، ويقول مثلاً: إنّ التشيّع لا يعني سوى (حبّ عليّ أو أهل البيت أو إظهار ذلك الحبّ وليس أكثر من ذلك)، كما سمعناه في المحاضرات المشار إليها سابقاً!

ونحن نعتقد هنا أنّ بعض ممّن يتكلّم في هذا الجانب يعانون من قصور علمي في باب الملل والنحل والعقائد، أو أنّهم يخلطون متعمّدين لغرض تذويب المعنى الكلي للتعريف وبما يعنيه من المتابعة والموالاة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وحصره في جزء واحد منه فقط.وهو المودّة والمحبة لا غير[٢]، إذ لا يعقل ممّن يكتب أو يتكلّم في شؤون العقائد فضلاً عمّن يدّعي البحث والتخصص – كما هو حال أغلب المتصدّين لهذه المسائل – أن يجهل التعاريف الحقيقية للفِرق

---

(١) فيما تقدّم ذكره عن ابن الأثير وابن منظور والزبيدي والفيروزآبادي.

(٢) بل وحتّى محاولة التضييق على الاصطلاح هذه لم تفلح تماماً، إذ مفهوم الحب في الإسلام يؤول إلى المتابعة والمطاوعة أيضاً، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (سورة آل عمران: ٣١)، فقد شرَط الحب بلزوم الاتّباع، والمعاني القرآنية هي الّتي يلزم الأخذ بها دون غيرها، فهي الّتي أرشد المولى سبحانه عباده لتدبّرها دون غيرها من المعاني، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمّد: ٢٤).. فتدبر!

والنحل، أو تراه يبادر بتعريف تبرعي منه لا يستند فيه إلى مصدر أو دليل، فإنّ من حقّ الباحث - أيّ باحث - أن يعترض على عقيدة أيّ فرقة من الفرق، وأن يناقش في أدلتها ما بدا له ذلك، ولكن ليس من حقّه أن يضفي عليها تعريفاً لا يبيّن فيه عقيدتها بشكل واضح وجلي، فإنّ هذا يعدّ من التحريف والتدليس على القارئ والمستمع لكلامه، بل هذا الفعل يعدّ عند أهل البحث والتحقيق من الخيانة العلمية الموهنة لصاحبها شرعاً وعرفاً.

وقد عدّ العلماء من مقوّمات البحث العلمي الموضوعية والإنصاف، وذلك بأن يعود الباحث إلى مصادر وكتب أهل المذهب -الّذي يكتب عنه- أنفسهم ويطّلع عليها مباشرة، وينقل أقوالهم فيما يروونه من عقائد وأفكار، وذلك كي يتجنّب الجناية عليهم من فمه وقلمه أو من فم غيره وقلمهم.

الشيعة وتعريفهم للتشيّع:

وعند العودة إلى أساطين الفكر والعقيدة عند الشيعة الإمامية نجدهم يعرّفون التشيّع والشيعة بالشكل الّذي يعرّفه أرباب الملل والنحل والتاريخ من أهل السنّة من دون فرق يذكر في المقام.

قال الشيخ المفيد في (أوائل المقالات): ((الشيعة... فهو- أي: هذا اللفظ - على التخصيص لا محالة لأتباع أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول - صلوات الله عليه وآله - بلا فصل، ونفي الإمامة عمّن

تقدّمه في مقام الخلافة، وجَعْله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء))[١].

وكما صرّح ابن خلدون سابقاً بأنّ هذا هو المعنى المنصرف عند إطلاق لفظ الشيعة، وهو ممّا تسالم عليه عرف الجميع من فقهاء ومتكلّمين من السلف والخلف، كما أنّه المعنى المعيّن لهذه الفرقة دون غيرها من الفِرق عند الإطلاق، قال المفيد: ((والّذي يدل على صحة ذلك - أي: صحة التعريف المتقدّم للشيعة - عُرف الكافة ومعهودهم منه في الإطلاق، ومعرفة كلّ مخاطَب منه مراد المخاطب في تعيين هذه الفرقة دون من سواها ممّن يدّعي استحقاقه من مخالفيها بما شرحناه، وكما يفهم العرف مراد المخاطب بذكر الإسلام على الإطلاق وذكر الحنيفية والإيمان والصلاة والزكاة والحج والصيام، وإن كانت هذه الأسماء في أصل اللسان غير مفيدة لما قررته الشريعة وقضى به العرف فيها على البيان))[٢].

وبهذا التعريف الّذي ذكره الشيخ المفيد في معنى الشيعة نستغني عن ذكر بقية أقوال علماء الإمامية في هذا الجانب لعدم الاختلاف، وللاتّحاد في المراد.

ولننتقل إلى القسم الثاني من هذا المحور، وهو بيان أدلة التشيّع كتاباً وسنةً

(١) أوائل المقالات: ٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

أدلة التشيّع من الكتاب:

١ ـ آية الولاية:

قال تعالى في سورة المائدة (الآية ٥٥): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. وهذه الآية الكريمة نزلت في حقّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عندما تصدّق بخاتمه وهو في حال الركوع من صلاته[(١)]. ولا يخفى أنّ المراد من الولاية في الآية الكريمة ولاية الأمر وليس المحبّة أو النصرة كما يذهب إليه البعض، لعدم انحصارهما -أي: المحبة والنصرة- بالمذكورين في الآية فقط، بل هي تدل على أنّ الأولى بالتصرّف والقائم بأُموركم حصراً -لدلالة لفظة (إنّما) فيها- هم الله ورسوله وأمير المؤمنين.

ولعلك تسأل وتقول: كيف صح أن يكون المراد بالّذين آمنوا عليّاً عليه السلام واللفظ لفظ جماعة؟

---

(١) أُنظر من ذكر نزولها في عليّ عليه السلام: ابن أبي حاتم في تفسيره ٤: ١١٦٢ يرويه بعدّة طرق، ومن طرقه: أبو سعيد الأشج، عن الفضيل بن دكين، عن موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل، وكلّهم ثقات.
ورواه بسند صحيح عن ابن عباس الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) ١: ٢١٢. =

= والسيوطي في (الدر المنثور) ٢: ٢٩٣ و٢٩٤ يرويه عن عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه وابن أبي حاتم والطبراني وأبي نعيم وغيرهم، وقال الجصاص في (أحكام القرآن) ٢: ٥٥٧: ((روي عن مجاهد والسدي وأبو جعفر وعتبة بن أبي حكيم أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب حين تصدّق بخاتمه وهو راكع)) (انتهى)، وذكر ذلك أيضاً الواحدي في (أسباب النزول): ١٣٣، والسيوطي في (لباب النقول في أسباب النزول): ٨١ يرويه عن الطبراني، ثمّ ذكر شواهد وقال بعدها: ((فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً))، وابن كثير في تفسيره ٢: ٧٤ يرويه بعدّة طرق، ومنها الطريق الصحيح المتقدّم عن ابن أبي حاتم، وأيضاً ذكر ذلك القرطبي في (جامع أحكام القرآن) ٦: ٢٢١، والنحاس في (معاني القرآن) ٢: ٣٢٥.

قلنا: يجيبك عن هذا ذوي الاختصاص من أهل البلاغة، فقد قال الزمخشري في تفسيره (الكشاف) الّذي اعتمده لبيان أسرار بلاغة القرآن الكريم عن هذا المعنى بالذات: ((جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه))(١).

وهذه الآية المباركة تعدّ - في واقع الأمر - مشكاة الأحاديث النبوية المتضافرة الواردة في ولاية عليّ عليه السلام، وإلى هذا المعنى أشار النحاس في كتابه (معاني القرآن) حين قال بعد ذكر الآية المتقدّمة: ((قال أبو عبيد: وهذا يبيّن لك قول النبيّ صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه)، فالمولى والولي واحد، والدليل على هذا قوله جلّ وعزّ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، ثمّ قال في موضع آخر: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ فمعنى حديث النبيّ صلى الله عليه وآله في ولاية الدين وهي أجلّ الولايات))(٢).

وأمّا الحديث الّذي أشار إليه أبو عبيد ونقله النحاس عنه هنا، فهو يريد به حديث (الغدير) المشهور المتواتر الّذي جاء فيه قوله صلى الله عليه وآله: (ألست أولى بكم من أنفسكم؟) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله)(٣).

---

(١) الكشاف ١: ٤٢٢.

(٢) معاني القرآن ٢: ٣٢٥، ونقول تعقيباً على ما أورده النحاس: وتثبت بدليل أولى ولاية الدنيا؛ لأنّ ولاية الدين شاملة لها دون العكس.

(٣) صرّح بتواتر المقطع الأوّل من هذا الحديث (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه) من علماء أهل السنّة: جلال الدين السيوطي في كتابه (قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة): ٢٢٧، والذهبي في (سير أعلام النبلاء) ٨: ٣٣٥، وجعفر بن إدريس الحسني الشهير بالكتاني في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) ١: ١٩٤، ١٩٥، ومحمّد مرتضى الحسني الزبيدي في كتابه (لقط اللآلئ المتناثرة في الأحايث المتواترة): ٢٠٥،

والمراد بـ(المولى) هنا، كما هو المستفاد من الآية المتقدّمة أيضاً: الأولى بالتصرّف، وقد دلّ عليه هنا قوله ﷺ: (ألست أولى...). فالّذي ذهب إلى أنّ (مولى) أو (ولي) من المشترك اللفظي، أي: هو ممّا يحتاج إلى قرينة لفظية لبيان معناه، فالقرينة اللفظية هنا واضحة وصريحة ولا تحتاج إلى بيان زائد، وقد فهم ذلك الصحابة من قوله ﷺ، من الّذين استمعوا إلى الخطبة منه مباشرة ((وهم العرب الأقحاح))، وقد قام في تلك المناسبة شاعر النبيّ ﷺ حسان بن ثابت وأنشد شعراً يدلّ على أنّه فهم من كلامه ﷺ إرادة تنصيبه لعليّ عليه السلام إماماً وهادياً من بعده.

قال حسان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخم وأسمع بالرسول مناديا

فقال: فمن مولاكم ونبيّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت نبيّنا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا

فقال له: قم يا عليّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أتباع صدقٍ مواليا

هناك دعا اللّهمّ وال وليّه ... وكن للّذي عادى عليّاً معاديا[1]

والعجلوني في (كشف الخفاء) ٣: ٢٧٤، ومحمّد ناصر الدين الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) ٤: ٣٤٣، وغيرهم.

والمقطع الثاني (اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه) صرّح بصحته: الحاكم في (المستدرك) ٣: ١١٨، والهيثمي في (مجمع الزوائد) ٩: ١٠٤ رواه عن أحمد وقال: ورجال أحمد ثقات، وابن حبان في صحيحه ١٥: ٣٧٦، وابن كثير في (البداية والنهاية) ٥: ٢٢٩ نقل تصحيح الذهبي له، والألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) ٤: ٣٣٠، وغيرهم.

(١) راجع ترجمة الشاعر ورواة شعره أعلاه من علماء المسلمين في (موسوعة الغدير) للعلامة الأميني ٢: ٣٤ وما بعدها.

وبعد أن ألقى حسان شعره هذا قرّظه النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: ((لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك)). وهذا التقريظ يدل دلالة واضحة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أقرّ حساناً على فهمه من كلامه صلى الله عليه وآله، وإقراره صلى الله عليه وآله حجّة عند العلماء من دون خلاف.

وفي مضمون حديث الغدير وردت أحاديث أُخرى عن النبيّ صلى الله عليه وآله، نذكر منها قوله صلى الله عليه وآله: (عليّ منّي وأنا منه، وهو ولي كلّ مؤمن بعدي)[١]، وقوله صلى الله عليه وآله لبريدة حين اشتكاه من عليّ عليه السلام: (لا تبغضنّ يا بريدة لي عليّاً، فإنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي)[٢]، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله لوهب بن حمزة، عندما تكلّم في عليّ عليه السلام: (لا تقل هذا

---

(١) هذا الحديث أخرجه الترمذي في ج٥ من كتاب المناقب، باب مناقب عليّ تحت رقم (٣٧٩٦) وقال عنه: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، وعقّب عليه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) ٥: ٢٦١ بقوله: ((وهو- أي: جعفر بن سليمان - ثقة من رجال مسلم، وكذلك سائر رجاله، ولذلك قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم))، وعن المباركفوري في شرحه على سنن الترمذي= ١٠: ١٤٦ ((وظاهر أنّ قوله (بعدي) في هذا الحديث ممّا يقوى به معتقد الشيعة))، وأيضاً أخرج هذا الحديث أحمد في المسند ٤: ٤٣٨، والنسائي في (السنن الكبرى) ٥: ٤٥، والخصائص: ٩٨، وأخرجه ابن أبي شيبة

وابن جرير وصححه، فيما نقله عنهما المتقي الهندي في (كنز العمال) ١١: ٦٠٨ و١٣: ١٤٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان) ١٥: ٣٧٤، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١: ٢٩٣، كما أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب (السنّة): ٥٥٠ بإسناد صحيح، ،وأبو داود الطيالسي في مسنده: ١١١.

(٢) رواه أحمد من طريق أجلح الكندي في المسند ٥: ٣٥٦ بلفظ: (لا تقع في عليّ، فإنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي) (يكررها النبيّ صلى الله عليه وآله مرّتين)، وقال المناوي الشافعي في (فيض القدير) ٤: ٤٧١: قال جدّنا للأم الزين العراقي: الأجلح الكندي وثقه الجمهور وباقي رجاله رجال الصحيح (انتهى)، والطبراني في (المعجم الأوسط) ٦: ١٦٣بسنده، وفيه: (يا بريدة أما علمت أنّ لعليّ أكثر من الجارية الّتي أخذ وأنّه وليّكم من بعدي)، وقد عدّه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) ٥: ٢٦٢ من الشواهد للحديث المتقدّم وقال عنه:

فهو أولى الناس بكم بعدي)[١]، وقوله ﷺ لعليّ عليه السلام مخاطباً إيّاه: (أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة)[٢].

وقفة قصيرة: لم يزل التعصّب هو رائد البعض في قوله وفعله، والمتعصّب لا يهمّه من شيء سوى الانتصار لإرادته وأهوائه وإن خالف الحقّ الصراح، فها هو ابن تيمية يحاول جاهداً دفع الأحاديث المتقدّمة، وما فيها من الدلالة القوية على حقّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وما عليه شيعته وأتباعه من اعتقاد بوجوب موالاته وأنّه الخليفة الحقّ بعد رسول الله ﷺ، حتّى فضح الله ابن تيمية على يد قومه وعلماء مذهبه الّذين يشربون مشربه ويعتقدون معتقده.

فقد قال في حقّ حديث الغدير المتقدّم: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه): ((وأمّا قوله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهم وال من والاه...) فهذا ليس في شيء من الأمهات إلاّ في الترمذي وليس فيه إلا (من

((إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي، مختلف فيه، وفي (التقريب): صدوق شيعي)).. (ثمّ قال الألباني): ((فإن قال قائل: راوي هذا الشاهد شيعي، وكذلك في سند المشهود له شيعي آخر، وهو جعفر بن سليمان، أفلا يعتبر ذلك طعناً في الحديث، وعلّة فيه؟! فأقول: كلا، لأنّ العبرة في رواية الحديث إنّما هو الصدق والحفظ، وأمّا المذهب فهو بينه وبين ربّه، فهو حسيبه، ولذلك نجد صاحبي (الصحيحين) وغيرهما قد أخرجوا الكثير من الثقات المخالفين كالخوارج والشيعة وغيرهم)).

(١) المعجم الكبير ٢٢: ١٣٥، فيض القدير ٤: ٤٧١ قال المناوي: ((رواه الطبراني، قال الهيثمي: فيه دكين ذكره أبو حاتم ولم يضعّفه أحد وبقية رجاله وثّقوا)) (انتهى)، البداية والنهاية ٧: ٣٨١، الإصابة ٦: ٤٨٨ بلفظ: فإنّه وليّكم بعدي.

(٢) مسند أحمد ١: ٣٣١ يرويه بسند صحيح، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٤، قال الحاكم: ((هذا حديث صحيح الإسناد))، ووافقه الذهبي كما في تلخيص المستدرك ٣: ١٤٤، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٦٠، المعجم الكبير ١٢: ٧٨، الإصابة ٤: ٤٦٧، البداية والنهاية ٧: ٣٨١.

كنت مولاه فعليّ مولاه)، وأمّا الزيادة فليست في الحديث، وسئل عنها الإمام أحمد فقال: زيادة كوفية، ولا ريب أنّها كذب))[١].

وللرد على هذا الكلام الصادر عن ابن تيمية يكفينا أن نذكر هنا ما ذكره الألباني في كتابه (سلسلة الأحاديث الصحيحة) عن هذا الحديث بكلا شطريه، ومن ثمّ ردّه على كلام ابن تيمية المتقدّم بالذات، قال الألباني بعد أن ذكر للحديث طرقاً كثيرة صحيحة وحسنة: ((وللحديث طرق أُخرى كثيرة، جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في (المجمع ٩: ١٠٣، ١٠٨)، وقد ذكرت وخرّجت ما تيسّر لي منها ممّا يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان)).

ثمّ قال: ((وجملة القول إنّ الحديث صحيح بشطريه، بل الأوّل منه متواتر عنه ﷺ كما يظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه، وما ذكرت منها كفاية)).

وقال بعدها الشيخ الألباني في الردّ على كلام ابن تيمية المتقدّم: ((إذا عرفت هذا، فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته أنّني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية، قد ضعّف الشطر الأوّل من الحديث، وأمّا الشطر الآخر، فزعم أنّه كذب! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرّعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها))[٢] (انتهى كلامه).

---

(١) أُنظر: مجموع الفتاوى ٤: ٤١٧.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٣٣٠ ـ ٣٣٤.. وراجع ما تقدّم ذكره من مصادر الحديث لتقف على الّذين نصّوا على تواتر المقطع الأوّل منه، وعلى الّذين حكموا على مقطعه الثاني بالصحة، إضافة للألباني.

وفي مغالطة أخرى، نجد ابن تيمية يقول في منهاجه (منهاج السنة): ((قوله: (وهو ولي كلّ مؤمن بعدي) كذب على رسول الله ﷺ، بل هو في حياته وبعد مماته ولي كلّ مؤمن، وكلّ مؤمن وليّه في المحيا والممات. فالولاية الّتي هي ضدّ العداوة لا تختص بزمان. وأمّا الولاية الّتي هي الإمارة فيقال فيها: والي كلّ مؤمن بعدي، كما يقال في صلاة الجنازة: إذا اجتمع الولي والوالي قدّم الوالي في قول الأكثر، وقيل: يقدّم الولي.

فقول القائل: عليّ ولي كلّ مؤمن بعدي، كلام يمتنع نسبته إلى رسول الله ﷺ، فإنّه إن أراد الموالاة لم يحتج أن يقول: (بعدي) وإن أراد الإمارة كان ينبغي أن يقول: (والٍ كلّ مؤمن)))[1].

وفي الرد على هذه المحاولة الثانية لابن تيمية في دفع الأحاديث الشريفة الصحيحة لا يسعنا إلا أن نقول: إنّ الرجل مستمر بالإساءة لنفسه بمكابرته من دون العزم على اتّخاذ سبيل العلم والمعرفة طريقاً له في الوصول إلى الحقّ الّذي ينجيه من عذاب يوم القيامة، فهذا الحديث صحيح السند وقوي الحجّة أخرجه أئمّة الحديث، كما أشير إليه في الهامش أمثال الترمذي، وأحمد بن حنبل، والنسائي، والطبراني، وابن أبي شيبة، وابن جرير، والحاكم، وابن حبّان، والمتقي الهندي، وابن أبي عاصم، وأبي داود الطيالسي، وابن عساكر، وغيرهم، ورجال السند هم من رجال الصحيح نصّ على ذلك أئمّة الرجال عند حديثهم عن أسانيده، ولهذا الحديث شواهد صحيحة وقوية لا يمكن لابن تيمية أو غيره دفعها أو التحايل عليها، وقد مرّ بيانها فيما تقدّم، فدونك مصادرها والتحقق من أسانيدها.

وهذه الجرأة من ابن تيمية في تكذيب الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبيّ ﷺ استوقفت الشيخ الألباني هنا أيضاً، حتّى صرّح بقوله: ((من العجب حقاً أن

(١) منهاج السنة النبوية ٧: ٣٩١.

يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنّة كما فعل بالحديث المتقدّم هناك))[١].

وأمّا عن دعوى الامتناع الّتي يراها ابن تيمية في دلالة الحديث، نقول: إنّ المغالطة فيها واضحة؛ لأنّه كما يقال: إنّ من معاني لفظ (الولي) المحب والناصر والمعتق والجار والحليف وابن العم فإنّ من معانيه أيضاً الوالي ولذا يقال للسلطان ولي، وهي بقرينة لفظة (بعدي) في الحديث قد دلّت على المطلوب وهو ولاية الأمر دون المعاني الأخرى كالمحبة والنصرة لعدم اختصاصهما بزمان دون آخر كما صرّح ابن تيمية بذلك.

وأمّا ما ساقه من شاهد، فقد دلّت القرينة فيه باجتماع الولي مع الوالي على أنّ المراد بالولي فيه الولي الشرعي كالأب والجد دون السلطان، وهذا لا ينفي بأن يكون أحد المعاني الثابتة لاستعمالات الولي السلطان، وإنّما تدل على ذلك القرائن كما هو المعلوم في باب الاشتراك اللفظي، ولكن التعصّب يعمي البصيرة عن إدراك أبسط المعارف الّتي يدركها صغار طلبة العلم، إذ التعصّب - كما يقولون - داء لا دواء له، وقد كان حاجزاً أمام ابن تيمية في ((أن يجمع طرق الأحاديث ويدقق النظر فيها)) على حدّ قول الشيخ الألباني[٢]!! نسأل الله العافية.

---

(١) أُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٢٦١ ـ ٢٦٤، ثمّ لاحظ ما ذكره الألباني هناك من طرق وشواهد استدل بها على صحة الحديث المذكور أعلاه.

(٢) المصدر السابق.

٢ ـ آية ولاة الأمر:

قال سبحانه في سورة النساء الآية ٥٩: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾. وللاستدلال بهذه الآية الكريمة وبيان تمامية الاستفادة منها في المقام يمكن أن نطرح البحث فيها على شكل مقدّمتين أو سؤالين ليتّضح المطلوب:

الأوّل: هل يمكن استفادة العصمة لولاة الأمر من هذه الآية أم لا؟

الثاني: في حال استفادة العصمة لولاة الأمر من هذه الآية، يأتي السؤال الثاني عن كيفية الوصول أو معرفة أشخاص المعصومين في الأمّة، وهل ثمّة بيانات نبوية في المقام؟

أمّا في الإجابة عن السؤال الأوّل، فنقول: نعم، يمكن استفادة عصمة أُولي الأمر من هذه الآية، وذلك لمحل الجزم بإطاعتهم المطلقة كما هو ظاهر الآية الكريمة، والّتي جاءت في عرض الطاعة المطلقة لله ورسوله ﷺ، ومن المعلوم أنّ من كانت إطاعته مطلقة وليست مقيدة بحال دون حال وجب أن يكون معصوماً، وإلا كان ذلك ترخيصاً من المولى سبحانه في طاعة ولي الأمر في حالة خطأه أيضاً، وهو باطل قطعاً. وهذا البيان بعينه وتمامه ذكره الفخر الرازي عند تفسيره للآية الكريمة في تفسيره الكبير حيث قال: «إنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً من الخطأ لكان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله تعالى بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ يكون منهياً عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد وهو محال، فثبت أنّ الله أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على

سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أُولي الأمر المذكور في هذه الآية لابدّ وأن يكون معصوماً))[١]. (انتهى)

وهنا لعل قائل يقول: إنّ ذيل الآية وهو قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[٢] يستكشف منه عدم عموم الطاعة لأُولي الأمر وإلا لأوجب الرد إليهم كما أوجبه في حقّ الله وحقّ رسوله ﷺ؟!

وللجواب عن هذا الإشكال نقول: إنّ واو العطف موضوعة للجمع المطلق كما هو مقرر في محلّه من علمي النحو والأُصول، وعليه تكون الإطاعة المطلقة ثابتة في حقّ ولاة الأمر - بحسب الآية الكريمة - كما هي ثابتة لله ورسوله ﷺ، وذلك لمحل العطف بالواو في قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[٣]، وعدم تكرار الفعل (أطيعوا) لا يدل على عدم عموم الطاعة وإلا لدل هذا المعنى في حقّ الرسول ﷺ في غير هذا المورد، فقد قال تعالى في مورد آخر من كتابه الكريم: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾[٤]، ولم يستفد منه أحد بأنّه لا تجب إطاعة الرسول ﷺ في كلّ شيء ومطلقاً لعدم تكرار الفعل في الجملة، بل القول به باطل بالإجماع، والمستفاد منه هو على العكس من ذلك تماماً، وهو المعنى الصحيح المتفق عليه ولا نزاع فيه بين المسلمين، **هذا أوّلاً**.

---

(١) تفسير الرازي ١٠: ١٤٤، وهناك دعوى قد أثارها الفخر الرازي في تفسيره بعد بيانه المتقدّم هذا مفادها عدم المعرفة بشخص المعصوم في الأمّة.. وهي ما سيتكفل بالرد عليها الجواب عن السؤال الثاني الوارد أعلاه.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة النساء: الآية٥٩.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٠.

أمّا ثانياً: إنّ توجيه الخطاب إلى المؤمنين في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ كاشف عن أنّ المراد بالتنازع هو تنازع بينهم لا تنازع مفروض بينهم وبين أُولي الأمر، وكذا لا تنازع مفروض بين أُولي الأمر أنفسهم، فإنّ الأوّل - أي: التنازع بينهم وبين أُولي الأمر - لا يلائمه افتراض طاعة أُولي الأمر عليهم، والثاني - أي: التنازع بين أُولي الأمر - لا يلائمه افتراض طاعتهم والتنازع الّذي أحد طرفيه على الباطل.

ومن هنا قال السيّد الطباطبائي في (الميزان) عند تفسيره للآية الكريمة: ((ولفظ الشيء وإن كان يعم كلّ حكم وأمر من الله ورسوله وأُولي الأمر كائناً ما كان، لكن قوله بعد ذلك فردّوه إلى الله والرسول يدل على أنّ المفروض هو النزاع في شيء ليس لأُولي الأمر الاستقلال والاستبداد فيه من أوامرهم في دائرة ولايتهم كأمرهم بنفر أو حرب أو صلح أو غير ذلك، إذ لا معنى لإيجاب الرد إلى الله والرسول في هذه الموارد مع فرض طاعتهم فيها، فالآية تدل على وجوب الرد في نفس الأحكام الدينية الّتي ليس لأحد أن يحكم فيها بإنفاذ أو نسخ إلا الله ورسوله))[1]. (انتهى)

وأمّا عن السؤال الثاني الوارد في أصل هذا الدليل، نقول: نعم، توجد هناك بيانات نبوية في الإرشاد إلى شخص المعصوم في الأُمّة إضافة إلى شخص النبيّ ﷺ ذاته، حيث قال رسول الله ﷺ: (عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)[2]، ففي هذا الحديث الشريف أمرٌ لا يخفى على المتشرعة معرفته والوصول إليه من عصمة أمير المؤمنين عليه السلام، فالقرآن الكريم الّذي قال المولى

(١) الميزان في تفسير القرآن ٤: ٤٠١، ٤٠٢.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣: ١٣٤، والذهبي في تلخيص المستدرك في نفس الصفحة، وصرّح كلّ منهما بصحته على شرط الشيخين.

سبحانه وتعالى في حقّه: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[١]، معصوم من الخطأ والضلال والإضلال، فكذلك يكون حال من يكون معه، ولا يفترق عنه إلى يوم القيامة، إذ المعية وعدم الافتراق عن القرآن إنّما هي في الالتزام بأحكامه وتطبيق أوامره ونواهيه، وارتكاب معصية واحدة يعدّ مصداقاً من مصاديق الافتراق عن القرآن، وقد أخبرنا الصادق الأمين صلى الله عليه وآله في هذا الحديث الشريف أنّ علياً عليه السلام مع القرآن، والقرآن معه لن يفترقا عن بعضهما البعض إلى يوم القيامة، وهذا دليل صريح في عدم ارتكابه عليه السلام للذنوب والمعاصي، وهو معنى العصمة.

فتبيّن لنا بعد هاتين المقدّمتين أمران:

الأوّل: أنّ ولي الأمر يجب أن يكون معصوماً.

الثاني: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أشار إلى عصمة عليّ عليه السلام في حديثه المتقدّم الصحيح دون غيره من رجالات الأمّة.

فيتحصّل لنا من ذلك: أنّ علياً عليه السلام هو ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي تجب طاعته المطلقة على الأمّة، وأنّ طاعته عليه السلام قد جاءت في عرض واحد مع طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وإلى هذه الحقيقة أشار النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث آخر واضح وصريح، وكأنّه صلى الله عليه وآله يفسّر لنا هذه الآية بعينها حين قال: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني)[٢].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٢) هذا الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه ٣: ١٣١، والذهبي في تلخيص المستدرك في نفس الصفحة، وصرّح كلّ منهما بصحته على شرط الشيخين، وأخرجه أيضاً ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) ٤٢: ٣٠٧.

ولعل قائل يقول هنا: إنّ ما ذكرتموه هنا من استدلال- عند الجواب عن السؤال الثاني - إنّما هو بخصوص ولاية عليّ عليه السلام وعصمته فقط، فكيف بالاستدلال على بقية ولاة الأمر في الأُمّة إلى يوم القيامة، والّذين يشترط عصمتهم أيضاً بحسب الآية المتقدّمة؟

نقول: إنّ هذا ما ستجيبنا عنه السنة النبوية الآتي ذكرها، كما في حديث الثقلين المشهور المتواتر، والأحاديث النبوية الصحيحة الأخرى، فلنتابع بقية الأدلة.

أدلّة التشيّع من السنّة الشريفة

١ ـ حديث الثقلين:

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)[1].

---

(١) حديث الثقلين - الكتاب والعترة - من الأحاديث القليلة المتواترة عند المسلمين، رواه من الصحابة ثلاثون، ومن أئمّة الحديث على مختلف القرون المئات، وقد تعددت ألفاظه بلحاظ تعدد المناسبات الّتي ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله فيها هذا الحديث - كما ينص على ذلك ابن حجر في الصواعق - ، وألفاظ الحديث تدل بمضمونها العام على وجوب (الأخذ) و (التمسك) و (الاتّباع) للثقلين.. ويمكن مراجعة الحديث بمختلف ألفاظه في: صحيح مسلم ٧: ١٢٣ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، سنن الترمذي ٥: ٣٢٨، مصابيح السنة ـ للبغوي ـ: ٢:٢٧٧، المستدرك على الصحيحين ٣: ١١٨ صححه الحاكم ولم يتعقبه الذهبي بشيء، خصائص أمير المؤمنين ـ للنسائي ـ: ٩٣، كنز العمال ١: ١٧٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ للألباني ـ ٤: ٣٥٥.

وفي هذا الحديث الشريف دلالات متنوّعة وإفادات مختلفة سنستعرض منها ما ينفعنا في المقام إن شاء الله تعالى:

الدلالة الأولى: قرن النبيّ ﷺ في هذا الحديث الشريف أهل بيته عليهم السلام بالكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك تصريحه ﷺ بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أنّ صدور أية مخالفة للشريعة، سواء كانت عن عمد أم سهو أم غفلة، تعتبر افتراقاً عن القرآن في هذا الحال وإن لم يتحقق انطباق عنوان المعصية عليها أحياناً، كما في الغافل والساهي، والحديث ظاهر، بل نصّ في عدم افتراقهما - أي: الكتاب والعترة- حتّى يردا الحوض، وهذا دليل العصمة كما أشرنا إليه سابقاً في حقّ عليّ عليه السلام.

وهذا المعنى الّذي ذكرناه هنا هو الّذي استفاده أيضاً جماعة من أقطاب أهل السنّة وإن كان ذلك منهم ببيان آخر إلا أنّ المؤدّى واحد كما سنلاحظ ذلك، قال ابن حجر الهيتمي في (المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية): ((وفي الحديث: (إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي)، فليتأمل كونه قرنهم بالقرآن في أنّ التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال))[1]. فالّذي يمنع الضلال ويوجب الكمال عند التمسك به لابدّ أن يكون معصوماً شأنه في ذلك شأن القرآن المعصوم الّذي اقترن معه والّذي هو بالإجماع يمنع الضلال ويوجب الكمال، فتدبّر.

---

(١) المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية: ١٨٢ بواسطة نفحات الأزهار ١:٤٦٣.

وإلى هذا المعنى أيضاً أشار جلال الدين السيوطي حين قال في خطبة كتابه (الأساس): ((الحمد لله الّذي وعد هذه الأُمّة المحمّدية بالعصمة من الضلالة ما إن تمسكت بكتابه وعترة نبيّه، وخصّ آل البيت النبوي من المناقب الشريفة ما قامت عليه الأحاديث الصحيحة بساطع البرهان وجليّه))(١).

وقال ابن حجر أيضاً في كتابه (الصواعق المحرقة) بعد أن ذكر الحديث: ((ثمّ الّذين وقع الحث عليهم منهم إنّما هم العارفون بكتاب الله وسنّة نبيّه ورسوله، إذ هم الّذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيّده الخبر السابق: (لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم)، وتميّزوا بذلك على بقية العلماء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وشرّفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها))(٢).

وقال السندي في شرحه للحديث: ((وفيه من تأكّد أخبار كونهم على الحق كالقرآن وصونهم أبداً عن الخطأ كالوحي المنزل مالا يخفى على الخبير..))(٣).

الدلالة الثانية: اعتبر التمسك بهما معاً عاصماً من الضلالة دائماً وأبداً، وهو دليل الوجوب على التمسك بهما، والّذي يعني اتّباعهما وعدم التخلّف عنهما مطلقاً.

وهذه الاستفادة من الحديث قد صرّح بها أيضاً جماعة من علماء الجمهور.

قال الدهلوي في (التحفة الاثنا عشرية): ((هذا الحديث - أي: حديث الثقلين - ثابت عند الفريقين: أهل السنّة والشيعة، وقد علم منه أنّ رسول الله ﷺ أمرنا في المقدّمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسّك بهذين العظيمين القدر، والرجوع إليهما في كلّ أمر، فمن كان مذهبه مخالفاً لهما في الأُمور الشرعية اعتقاداً وعملاً

(١) أُنظر نفحات الأزهار ٢: ٢٦٩.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

(٣) دراسات اللبيب: ٢٣٣ بواسطة نفحات الأزهار ٢: ٢٦٩.

فهوضال، ومذهبه باطل لا يعبأ به، ومن جحد بهما غوى، ووقع في مهاوي الردى))[١].

انتهى.

وقال الحكيم الترمذي: ((حض على التمسّك بهم؛ لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة))[٢].

وقال النووي: ((قوله ﷺ: (وأنا تارك فيكم ثقلين)، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما))[٣].

وقال ابن الأثير: (((إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي)، سمّاهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ شيء خطير نفيس: ثُقل، فسماهما ثقلين لقدرهما وتفخيماً لشأنهما))[٤].

وقال السندي في شرحه للحديث: ((وفيه من تأكّد أخبار كونهم على الحق كالقرآن وصونهم أبداً عن الخطأ كالوحي المنزل ما لا يخفى على الخبير...))[٥].

وقال القاري: ((والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل برواياتهم، والاعتماد على مقالتهم))[٦].

وقال شهاب الدين الخفاجي: ((أي: تمسّكتم وعملتم واتبعتموه))[٧].

---

(١) أُنظر مختصر التحفة الاثني عشرية: ٥٢، والدهلوي هو شاه عبد العزيز (١١٥٩ - ١٢٣٩) كبير علماء الهند من أهل السنّة في عصره.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢: ٢٢٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥: ١٨٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث ١: ٢١٦.

(٥) دراسات اللبيب: ٢٣٣ بواسطة نفحات الأزهار ٢: ٢٦٩.

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١١: ٣٠٧.

(٧) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٣: ٤١٠.

وقال المباركفوري عند شرحه للحديث الوارد في صحيح الترمذي: ((فأُنظروا كيف تخلّفوني)، بتشديد النون وتُخفّف، أي: كيف تكونون بعدي خلفاء، أي: عاملين متمسّكين بهما))[١].

وقال المناوي الشافعي في (فيض القدير): ((وفي هذا مع قوله أوّلاً (إنّي تارك فيكم) تلويح، بل تصريح بأنّهما كتوأمين خلّفهما ووصّى أمّته بحسن معاملتهما وإيثار حقّهما على أنفسهم والاستمساك بهما في الدين...))[٢].

وقال التفتازاني بعد أن ذكر الحديث: ((ألا يرى أنّه ﷺ قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسّك بهما منقذاً عن الضلالة، ولا معنى للتمسّك بالكتاب إلا الأخذ به بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العترة))[٣].

وقال ابن حجر في(الصواعق المحرقة): ((تنبيه: سمّى رسول الله ﷺ القرآن وعترته - وهي بالمثناة الفوقية: الأهل والنسل والرهط الأدنون - ثقلين؛ لأنّ الثقلَ كلّ نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حثّ ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم...))[٤].

الدلالة الثالثة: قوله ﷺ: (وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض) دليل على وجودهما وبقائهما إلى يوم القيامة، وأنّ أهل البيت عليهم السلام لن يفارقوا القرآن ولن يفارقهم مدّة عمر الدنيا، وهذا يعني وجود إمام منهم وجب التمسّك به في كلّ زمان،

---

(١) تحفة الأحوذي في شرح الترمذي ١٠: ١٩٧.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ٢٠.

(٣) شرح المقاصد ٣: ٥٢٩.

(٤) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

وهو المعنى الّذي أشار إليه النبيّ ﷺ في الحديث المعروف: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[١].

وإلى هذا المعنى أيضاً يشير شرّاح الحديث المذكور.

قال العلامة الزرقاني المالكي في شرح المواهب: ((قال السمهودي: هذا الخبر- أي: حديث الثقلين - يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من عترته في كلّ زمن إلى قيام الساعة حتّى يتوجّه الحث المذكور على التمسك به كما أنّ الكتاب كذلك، فلذا كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض))[٢].

وهذا المعنى الّذي أشار اليه الزرقاني عن السمهودي هنا هو نفسه الّذي نصّ عليه أيضاً ابن حجر في الصواعق المحرقة حين قال: ((وفي أحاديث التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع مستأهل فيهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما سيأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: (في كلّ خلف من أُمتي عدول من أهل بيتي)))[٣].

نقول: وبملاحظة هذا الحديث، أعني حديث الثقلين الّذي صرّح بالتلازم الوجودي لأهل البيت عليهم السلام مع القرآن الكريم إلى يوم القيامة، ومن ثمّ ملاحظة تصريحه ﷺ في أحاديث أُخر - روتها الصحاح والسنن والمسانيد - بوجود اثني عشر خليفة في الأمّة يتولّون مهام قيادة الأُمّة من بعده إلى يوم القيامة، يتبيّن لنا

(١) هذا الحديث ورد بألفاظ مختلفة نذكر منها قوله ﷺ: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) رواه مسلم في صحيحه ٦: ٢٢ كتاب الإمارة، وأيضاً: (من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية)، رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنّة: ٤٨٩ حديث ١٠٥٧ قال الألباني عنه: إسناده حسن ورجاله ثقات.. وأمّا الحديث المذكور أعلاه فقد ذكره التفتازاني في كتابه (شرح المقاصد) ٣: ٤٧٦.

(٢) شرح المواهب ٧: ٨، فيض القدير ٣: ١٩.

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

بوضوح – عند الجمع بين هذه الأحاديث – أنّ أئمّة أهل البيت هم الخلفاء الاثني عشر الّذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وآله بحديثه، وهؤلاء الأئمّة هم الّذين تجهر الشيعة الإمامية بالاعتقاد بهم وموالاتهم، ولم يدّع أحد من الفرق الإسلامية بموالاة هذا العدد والاعتقاد به سوى هذه الطائفة الّتي تطابق أقوالها وأفعالها النصوص النبوية الصريحة ... فتدبّر وتأمّل جيداً.

قال تعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾[1].

ومن تلك الروايات المشار إليها، ما رواه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش)[2].

وأيضاً روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله: (لا يزال هذا الدين منيعاً عزيزاً إلى اثني عشر خليفة... كلّهم من قريش)[3].

وقد صرّح بعض علماء الجمهور بهذه الحقيقة – الّتي أشرنا إليها بعد الجمع بين الأحاديث النبوية الصحيحة – نقلاً عن بعض المحققين بأنّ المراد بالخلفاء الاثني عشر الوارد ذكرهم في الأحاديث النبوية هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا غير.

قال الحافظ سليمان البلخي الحنفي: «قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان، علم أنّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله من حديثه هذا: الأئمّة

---

(١) سورة الملك: ٣ – ٤.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٨٦، ٨٨، ٨٩، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٦٩٠.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٨، ١٠١.

الاثني عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر (وهم أربعة)، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم عن اثني عشر (وهم ثلاثة عشر) ولظلمهم الفاحش، إلا عمر ابن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم؛ لأنّ النبيّ ﷺ قال (كلّهم من بني هاشم) في رواية عبد الملك عن جابر))[1].

ونقول: بل ورد في بعض طرق حديث الثقلين نفسه ما يدل على أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الخلفاء الّذين عناهم النبيّ ﷺ عند حديثه فيمن يخلفه بعده.

كما في رواية أحمد الّتي رواها بسند صحيح في مسنده، والطبراني في المعجم الكبير كلاهما عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو ما بين السماء إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)[2].

دعوى المعارضة

قد يقول قائل: إنّ حديث الثقلين - الكتاب والعترة - معارض بحديث (إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وسنّتي).

فنقول: إنّ هذا الحديث - الكتاب والسنّة - لم يروه أصحاب الصحاح الستة المعروفة عند أهل السنّة، هذا **أوّلاً**.

(١) ينابيع المودة ٣: ٢٩٢، وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى في الصفحات القادمة وبشيء من التفصيل عن هذه الأحاديث الّتي رواها مسلم وغيره عن الخلفاء الاثني عشر.

(٢) مسند أحمد ٥: ١٨٢، المعجم الكبير ٥: ١٥٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ١٧٠ و٩: ١٦٢: ((رواه الطبراني ورجاله ثقات))، و ((رواه أحمد وإسناده جيد)).

وثانياً: إنّه غير مخرّج في شيء من المسانيد المعتبرة كمسند أحمد بن حنبل.

وثالثاً: قد صرّح غير واحد من علماء أهل السنّة بغرابته، كقول الحاكم في المستدرك: ((ذكر الاعتصام بالسنّة في هذه الخطبة غريب))[١]، وقول السجزي: ((غريب جداً))[٢].

ومع هذا سوف نتابع هذا الحديث سنداً ودلالة، لننظر مدى صلاحيته لمعارضة حديث الثقلين - الكتاب والعترة - المشهور المتواتر!

فمن حيث السند، نجد أنّ أوّل رواة الحديث هو مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة ١٧٩هـ رواه في كتاب ((الموطأ)) مرسلاً من غير سند. وقد جاء في حقّ (الموطأ) نفسه، عن السيوطي قال: ((قال ابن حزم في كتاب مراتب الديانة: أحصيت ما في موطأ مالك، فوجدت فيه من المسند خمسمائة ونيفاً، وفيه ثلاثمائة ونيف مرسلاً، وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها، وفيه أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء))[٣].

ومن رواة هذا الحديث ابن هشام، رواه في (السيرة النبوية) من دون سند معتمداً على رواية ابن إسحاق له. وابن إسحاق مقدوح مجروح عند أكثر العلماء الأعلام عند أهل السنّة[٤].

وممّن رواه أيضاً الحاكم في المستدرك عن ابن عباس، وفي سنده إسماعيل ابن أبي أويس وهو ابن أُخت مالك ونسيبه، قال ابن حجر العسقلاني في التهذيب:

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١: ١٧٢.

(٢) أُنظر كنز العمال ١: ١٨٨.

(٣) تدريب الراوي ١: ١١١ بتصرف يسير.

(٤) لاحظ ترجمته في الكتب الرجالية.

((قال معاوية بن صالح عن ابن معين: هو وأبوه ضعيفان. وعنه أيضاً: ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث. وعنه: مخلط، يكذب، ليس بشيء. وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: غير ثقة. وقال اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدّي إلى تركه، ولعله بان له ما لم يبن لغيره؛ لأنّ كلام هؤلاء كلّهم يؤول إلى أنّه ضعيف. وقال ابن عدي: روى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.. وقال العقيلي في الضعفاء: ثنا أسامة الرفاف بصري: سمعت يحيى بن معين يقول: ابن أبي أُويس يسوى فلسين. وقال الدارقطني: لا أختاره في الصحيح.. وقال ابن حزم في المحلى: قال أبو الفتح الأزدي: حدّثني سيف بن محمّد أنّ ابن أبي أُويس كان يضع الحديث.. وقال سلمة بن شبيب: سمعت إسماعيل بن أبي أُويس يقول: ربّما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم))[(١)].

ورواه الحاكم ثانية عن طريق أبي هريرة. وفي سنده: صالح بن موسى الطلحي الكوفي، قال ابن حجر في التهذيب: ((قال ابن معين: ليس بشيء. وقال أيضاً: صالح وإسحاق ابنا موسى: ليسا بشيء، ولا يكتب حديثهما. وقال هاشم بن مرثد عن ابن معين: ليس بثقة. وقال الجوزجاني: ضعيف الحديث على حسنه. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: ضعيف الحديث جدّاً، كثير المناكير عن الثقات. قلت: يكتب حديثه؟ قال: ليس يعجبني حديثه. وقال البخاري: منكر الحديث عن سهيل بن أبي صالح. وقال النسائي: لا يكتب حديثه، ضعيف. وقال في موضع آخر: متروك الحديث. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد وهو عندي ممّن لا يتعمّد الكذب ولكن يشبه عليه ويخطئ وأكثر ما يرويه في جدّه من الفضائل ما لا يتابعه عليه أحد. وقال

---

(١) تهذيب التهذيب ١: ٢٧١ و٢٧٢.

الترمذي: تكلّم فيه بعض أهل العلم. وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عنه وقال: ما أدري، كأنّه لم يرضه. وقال العقيلي: لا يتابع على شيء من حديثه. وقال ابن حبان: كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتّى يشهد المستمع لها أنّها معمولة أو مقلوبة، لا يجوز الاحتجاج به. وقال أبو نعيم: متروك، يروي المناكير))[١].

وأيضاً رواه البيهقي في السنن بالسندين المتقدّمين عن ابن عباس وأبي هريرة، وقد عرفت حالهما.

ورواه ابن عبد البر في (التمهيد). وفي سنده غير واحد من المجروحين، ولكننا سنكتفي بذكر (كثير بن عبد الله) الّذي يروي هذا الخبر عن أبيه عن جدّه، وبهذا السند وصل ابن عبد البر خبر الموطأ[٢]. قال عنه ابن حجر في التهذيب: ((قال أبو طالب عن أحمد: منكر الحديث، ليس بشيء. وقال عبد الله بن أحمد: ضرب أبي على حديث كثير بن عبد الله في المسند ولم يحدّثنا عنه. وقال أبو خيثمة: قال لي أحمد: لا تحدّث عنه شيئاً. وقال الدوري عن ابن معين: لجدّه صحبة، وهو ضعيف الحديث. وقال مرّة: ليس بشيء. وكذا قال الدارمي عن ابن معين أيضاً: ليس بشيء. وقال الآجري: سئل أبو داود عنه فقال: كان أحد الكذّابين. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: واهي الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالمتين. وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث. وقال النسائي في موضع آخر: ليس بثقة. وقال ابن حبان: روى عن أبيه عن جدّه نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية

---

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٣٥٤ و٣٥٥.

(٢) قال السيوطي في (تنوير الحوالك)٢: ٢٠٨ ((وصله ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه)) انتهى.

إلا على جهة التعجّب. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وقال أبو نعيم: ضعّفه عليّ بن المديني. وقال ابن سعد: كان قليل الحديث، يستضعف. وقال ابن السكن: يروي عن أبيه عن جدّه أحاديث فيها نظر. وقال الحاكم: حدّث عن أبيه عن جدّه نسخة فيها مناكير. وقال ابن عبد البر: ضعيف، مجمع على ضعفه))[1].

وأيضاً رواه القاضي عياض في (الألماع في ضبط الرواية وتقييد الأسماع) بسند فيه غير واحد من الضعفاء والمجروحين. فإنّ (شعيب بن إبراهيم) راوية كتب (سيف بن عمر) وهو أحد رواة السند جرحه ابن عدي وقال: ((ليس بالمعروف))[2].

و(أبان بن إسحاق الأسدي) ـ الراوي الآخر ـ قال الأزدي فيه: ((متروك الحديث))[3].

و(الصباح بن محمّد الأحمسي) لم يرو عنه إلا الترمذي، فقد روى عنه مرّة عن ابن مسعود حديثاً واستغربه. وكان ممّن يروي الموضوعات عن الثقات، وقال العقيلي: ((حديثه وهم، ويرفع الموقوف))[4].

ويكفينا في ردّ هذه الرواية وجود (سيف بن عمر) في إسنادها الّذي جاءت بحقّه مختلف عبارات الجرح والتوهين[5].

---

(١) تهذيب التهذيب ٨: ٣٧٧ و٣٧٨.

(٢) أنظر لسان الميزان ٣: ١٤٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٨١

(٤) تهذيب التهذيب ٤: ٣٥٨.

(٥) تهذيب التهذيب ٤: ٢٥٩.

هذه هي أقدم المصادر للخبر المذكور وما عداها يعود إليها، وهي - كما ترى - لا يصح الاحتجاج بها فضلاً عن المعارضة، وقد قال العلماء: إنّ المعارضة فرع الحجّة، أي: أن يكون الخبر حجّة من حيث السند كي تصح المعارضة به بعد ذلك.

وقد تقدّمت بنا الإشارة سابقاً إلى تواتر حديث الثقلين -الكتاب والعترة- وتضافره، فالحديث قد رواه: مسلم بن حجاج، وأحمد بن حنبل، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة، والنسائي، والحاكم، والطبري، والطبراني... ومئات من الأئمّة والحفّاظ في القرون المختلفة، يروونه عن أكثر من ثلاثين صحابياً وصحابية عن رسول الله ﷺ بطرق كثيرة، وقد أفرد بعض كبار العلماء كتاباً جمع طرقه.

ولعل المتبصّر والعارف بعلم الحديث والرواة ومشاربهم يجد أنّ هذا الحديث - أي: حديث الكتاب والعترة - قد دلّ بوضوح على وجوب اتّباع الأمّة لأئمّة العترة من أهل البيت عليهم السلام في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وأنّه لثبوته سنداً ووضوحه دلالة قد ألجأ بعض المتعصّبين بعد اليأس من الخدشة في سنده أو دلالته أو تحريف لفظه ومتنه إلى وضع خبر الوصية بالكتاب والسنّة بعنوان (الثقلين) زعماً منه بأنّه سيعارض به حديث الثقلين المقطوع الصدور، إلا أنّه قد تبيّن لنا - والحمد لله - أنّ الخبر (كتاب الله وسنّتي) موضوع مصنوع، لما عرفناه من اشتمال سنده على جملة من الكذّابين والوضّاعين، ولكن على فرض أن يكون للخبر أصل، فيمكن القول إنّه ليس هناك أية منافاة بين الوصية بالكتاب والسنّة، والوصية بالكتاب والعترة، إذ لا خلاف بين المسلمين في وجوب الالتزام والعمل بالكتاب والسنّة النبوية الشريفة، غير أنّ حديث (الكتاب والعترة) مفاده وجوب أخذ السنّة من العترة النبوية لا من غيرهم، وهذا هو الّذي يقتضيه الجمع بين الحديثين على فرض صحة حديث كتاب الله وسنّتي، وهذا هو الّذي فهمه علماء الحديث وشرّاحه، ومن هنا نرى المتقي الهندي -

مثلاً -يورد كلا الحديثين تحت عنوان الباب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنّة، فراجع وتدبّر[١]!

وقد يقول قائل: إنّ حديث الثقلين (الكتاب والعترة) معارض بحديث: (عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسّكوا بها وعضّوا عليه بالنواجذ).

نقول: إنّ المتتبع لسند هذا الحديث يجد فيه جملة من المجروحين المطرودين عند نقّاد أهل السنّة ورجال الحديث، فقد رواه أبو داود في سننه بهذا السند:

((حدّثنا أحمد بن حنبل، نا الوليد بن مسلم، نا ثور بن يزيد، حدّثني خالد بن معدان، حدّثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن ساريه...))[٢].

ويكفي أن تطّلع في رجال هذا السند على حال اثنين من رجاله فقط، وهما: ثور بن يزيد، والوليد بن مسلم.

أمّا ثور بن يزيد فهو من المنافقين لبغضه عليّاً عليه السلام، قال ابن حجر العسقلاني: ((وكان جدّه قتل يوم صفين مع معاوية، فكان ثور إذا ذكر عليّاً قال: لا أحبّ رجلاً قتل جدّي))[٣]. وقد صح الحديث عن عليّ عليه السلام أنّه قال: ((لعهد النبيّ صلى الله عليه وآله أن لا

(١) كنز العمال ١: ١٧٢.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٣٩٣.

(٣) تهذيب التهذيب ٢: ٣٠.

يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق))[١]. وقد ذمّه مالك والأوزاعي وابن المبارك[٢].

وأمّا الوليد بن مسلم، قال الذهبي: ((قال أبو مسهر: الوليد مدلّس، وربّما دلّس عن الكذّابين)). وقال: ((قال أبو عبد الله الآجري: سألت أبا داود عن صدقة بن خالد قال: هو أثبت من الوليد بن مسلم، الوليد روى عن مالك عشرة أحاديث ليس لها أصل، منها عن نافع أربعة))[٣].

وقال ابن حجر بترجمته: ((وقال الإسماعيلي: أخبرت عن عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: كان الوليد رفاعاً، وقال المروزي عن أحمد: كان الوليد كثير الخطأ، وقال حنبل عن ابن معين: سمعت أبا مسهر يقول: كان الوليد ممّن يأخذ عن أبي السفر حديث الأوزاعي وكان أبو السفر كذّاباً، وقال مؤمل بن إهاب عن أبي مسهر: كان الوليد بن مسلم يحدّث حديث الأوزاعي عن الكذّابين ثمّ يدلّسها عنهم... وقال الدارقطني: كان الوليد يرسل، يروي عن الأوزاعي أحاديث عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي، فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عن نافع وعن عطاء))[٤].

وأيضاً رواه الترمذي بالسند التالي:

((حدّثنا عليّ بن حجر أخبرنا بقية بن الوليد عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية...))[٥].

---

(١) صحيح مسلم ١: ٦١.

(٢) تهذيب التهذيب ٢: ٣٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٤: ٣٤٧.

(٤) تهذيب التهذيب ١١: ١٣٥.

(٥) سنن الترمذي ٤: ١٥٠.

ويكفي أن نطّلع فيه على حال اثنين من رجال السند المذكور، وهما: خالد بن معدان، وبقية بن الوليد.

أمّا خالد بن معدان، فكفانا أن نعرف أنّه كان من أعوان يزيد بن معاوية وصاحب شرطته كما قال الطبري بترجمته: ((حدّثني الحارث عن الحجّاج قال: حدّثني أبو جعفر الحمداني عن محمّد بن داود قال: سمعت عيسى بن يونس يقول: كان خالد بن معدان صاحب شرطة يزيد بن معاوية))[١].

وأمّا بقية بن الوليد، قال ابن الجوزي في حديث: ((وقد ذكرنا أنّ بقية كان يروي عن المجهولين والضعفاء، وربّما أسقط ذكرهم وذكر من رووا له عنه))[٢]. وقال: ((قال ابن حبان: لا يحتج ببقية))[٣]. وقال: ((بقية مدلّس يروي عن الضعفاء، وأصحابه لا يسوون حديثه ويحذفون الضعفاء منه))[٤].

وقال الذهبي بترجمته: ((وقال غير واحد: كان مدلّساً، فإذا قال عن، فليس بحجّة. قال ابن حبان: سمع من شعبة ومالك وغيرهما أحاديث مستقيمة، ثمّ سمع من أقوام كذّابين عن شعبة ومالك، فروى عن الثقات بالتدليس ما أخذ عن الضعفاء. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال أبو مسهر: أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية))[٥].

---

(١) المنتخب من ذيل المذيل: ١٢١، تاريخ مدينة دمشق ١٦: ١٩٥.

(٢) الموضوعات ١: ١٠٩.

(٣) نفس المصدر ١: ١٥١.

(٤) نفس المصدر ١: ٢١٨.

(٥) ميزان الاعتدال ١: ٣٣١.

وقال ابن حجر بترجمته: ((قال يحيى بن معين: كان يحدّث عن الضعفاء بمائة حديث قبل أن يحدّث عن الثقات))[١]. وقال الزبيدي: ((وبقية بن الوليد محدّث ضعيف يروي عن الكذّابين ويدلّسهم))[٢].

وأمّا السند الثاني الّذي يروي الترمذي به هذا الحديث، هو: ((الحسن بن عليّ الخلال وغير واحد قالوا: نا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان...))[٣].

فبالإضافة لما ذكرناه عن ثور بن يزيد وخالد بن معدان، فإنّ أبا عاصم راوي الخبر عن ثور في هذا السند مطعون فيه أيضاً، فقد تكلّم فيه القطان، قال الذهبي بترجمته: ((وقال النباتي: ذكر لأبي عاصم أنّ يحيى بن سعيد يتكلّم فيك، فقال: لست بحي ولا ميت إذا لم أُذكر))[٤].

وأيضاً الحسن بن عليّ الخلال وهو الحلواني راوي الخبر عن أبي عاصم مقدوح كذلك، قال ابن حجر العسقلاني: ((وقال أبو داود: كان عالماً بالرجال وكان لا يستعمل علمه. وقال أيضاً: وكان لا ينتقد الرجال)).

وقال ابن حجر أيضاً: ((وقال داود بن الحسين البيهقي: بلغني أنّ الحلواني قال لا أُكفّر من وقف في القرآن. قال داود: فسألت سلمة بن شبيب عن الحلواني فقال: يرمى في الحش، من لم يشهد بكفر الكافر فهو كافر. وقال الإمام أحمد: ما أعرفه بطلب الحديث ولا رأيته يطلبه، ولم يحمده، ثمّ قال: بلغني عنه أشياء أكرهه، وقال مرّة: أهل الثغر عنه غير راضين، أو ما هذا معناه))[٥].

وأيضاً ممّن روى هذا الحديث ابن ماجة في سننه وقد رواه بالسند التالي:

---

(١) تهذيب التهذيب ١: ٤١٧.

(٢) تاج العروس ١٠: ٤١، مادة (بقى).

(٣) سنن الترمذي ٤: ١٥٠ حديث ٢٨١٧.

(٤) ميزان الاعتدال ٢: ٣٢٥.

(٥) تهذيب التهذيب ٢: ٢٦٢.

((حدّثنا عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا عبد الله بن العلا - يعني ابن زبر - حدّثني يحيى بن أبي المطاع: قال سمعت العرباض ابن سارية يقول...))[١].

وعن هذه الرواية لابن ماجة نقول - إضافة لما ذكرناه سابقاً عن الوليد بن مسلم، الوارد ذكره في هذا السند أيضاً -: إنّ يحيى بن أبي المطاع راوي الحديث عن العرباض في السند، مجهول عند ابن القطان، وقد تكلّم كبار العلماء في لقائه العرباض واستنكروه.

قال الذهبي: ((وقد استبعد دحيم لقيه العرباض، فلعله أرسل عنه، فهذا في الشاميين كثير الوقوع، يروون عمّن لم يلقوهم))[٢]. وقال ابن حجر: ((وقال أبو زرعة لدحيم تعجباً من حديث الوليد بن سليمان قال: صحبت يحيى بن أبي المطاع، كيف يحدّث عبد الله بن العلاء بن زبر عنه أنّه سمع العرباض مع قرب عهد يحيى؟ قال: أنا من أنكر الناس لهذا، والعرباض قديم الموت. قلت: وزعم ابن القطان أنّه لا يعرف حاله))[٣]. وقال في التقريب: ((وأشار دحيم إلى أنّ روايته عن العرباض بن سارية مرسلة))[٤].

وأمّا عبد الله بن العلاء راوي الخبر عن يحيى فإنّه أيضاً لا يخلو عن قدح، قال الذهبي في (ميزان الاعتدال): ((وقال ابن حزم: ضعّفه يحيى وغيره))[٥].

وأمّا السند الآخر الّذي يروي به ابن ماجة الحديث المذكور، هو: ((حدّثنا إسماعيل بن بشر بن منصور وإسحاق بن إبراهيم السواق قالا: ثنا عبد الرحمن بن

(١) سنن ابن ماجة ١: ١٥.
(٢) ميزان الاعتدال ٤: ٤١٠.
(٣) تهذيب التهذيب ١١: ٢٤٥.
(٤) تقريب التهذيب ٢: ٣١٥.
(٥) ميزان الاعتدال ٢: ٤٦٤.

مهدي عن معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي أنّه سمع العرباض بن سارية يقول...))[١].

وفيه معاوية بن صالح، قال الذهبي: ((قال ابن حاتم: لا يحتج به، ولم يخرج له البخاري، وليّنه ابن معين))[٢]، وقال: ((قال الليث بن عبده قال يحيى بن معين: كان ابن مهدي إذا حدّث بحديث معاوية بن صالح زجره يحيى بن سعيد، وكان ابن مهدي لا يبالي))[٣]. وقال ابن حجر: ((وقال ابن أبي خيثمة والدوري في تاريخهما عن ابن معين: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه. وقال: قال الدوري عن ابن معين: ليس بمرضي، هكذا نقله ابن أبي حاتم عن الدوري، وليس ذلك في تاريخه، وقال الليث بن عبده قال يحيى بن معين كان ابن مهدي إذا تحدّث بحديث معاوية بن صالح زبره يحيى ابن سعيد وقال: ايش هذه الأحاديث؟ وقال عليّ بن المعايني عن يحيى بن معين: ما كنّا نأخذ عنه. وقال: قال أبو صالح الفراء عن أبي إسحاق الفزاري: ما كان بأهل أن يروى عنه))[٤].

وروى ابن ماجة الحديث المذكور أيضاً بسند آخر، رجاله: ((يحيى بن حكيم، ثنا عبد الملك بن الصباح المسمعي، ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو عن العرباض بن سارية...))[٥].

وفيه: بالإضافة إلى ثور بن يزيد وخالد بن معدان، عبد الملك بن الصباح قال الذهبي: ((متهم بسرقة الحديث))[٦]. وقال ابن حجر: ((وقال الخليلي عبد الملك بن الصباح عن مالك متهم بسرقة الحديث))[٧].

---

(١) سنن ابن ماجة ١: ١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٤: ١٣٥.

(٣) نفس المصدر ٤: ١٣٥.

(٤) تهذيب التهذيب ١٠: ١٨٩.

(٥) سنن ابن ماجة ١: ١٧.

(٦) ميزان الاعتدال ٢: ٦٥٦.

(٧) تهذيب التهذيب ٦: ٣٥٤.

نقول: بلحاظ ما تقدّم بيانه من الأسانيد المتهالكة لهذا الحديث فقد تبيّن بطلانه، وقد صرّح بذلك الحافظ ابن القطان[1]، إذ جاء عن ابن حجر عند ترجمته لعبد الرحمن بن عمرو السلمي، راوي الخبر عن العرباض قوله: ((له في الكتب حديث واحد في الموعظة صححه الترمذي. قلت: وابن حبان والحاكم في المستدرك، وزعم ابن القطان الفاسي: أنّه لا يصح لجهالته))[2]. وليس الحديث الّذي أشار إليه إلا حديث (عليكم بسنّتي...) وقد زعموا أنّه ﷺ قال هذا الكلام في سياق وعظه للأصحاب كما هو الظاهر من سياق الرواية.

فالحديث - حسب القواعد الأُصولية للتعارض - لا يصلح أن يعارض حديث الثقلين الّذي ثبت صدوره باعتراف كبار أئمّة أهل السنّة، والوارد بالطرق الصحيحة المتكاثرة جدّاً في كتبهم.

وعلى فرض التسليم بصحته، فإنّنا ينبغي أن نفسّر (الخلفاء) الوارد ذكرهم في الحديث بأئمة العترة الطاهرة من أهل بيت الرسول ﷺ، وذلك لأنّه ﷺ أطلق في إحدى طرق حديث الثقلين على عترته بأنّهم خليفته في أمّته من بعده، وأيضاً

---

(١) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤: ١٤٠٧ ((ابن القطان الحافظ العلامة الناقد قاضي الجماعة... قال الآبار في ترجمته: كان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدّهم عناية بالرواية، رأس طلبة مراكش... قال ابن مسعدي: كان معروفاً بالحفظ والإتقان ومن أئمّة هذا الشأن، مصري الأصل مراكشي الدار، كان شيخ شيوخ أهل العلم في الدولة المؤمنية))، وقال السيوطي في طبقات الحفاظ ١: ٤٩٨ ((ابن القطان الحافظ الناقد العلامة قاضي الجماعة... كان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدّهم عناية في الرواية، معروفاً بالحفظ والإتقان)).

(٢) تهذيب التهذيب ٦: ٢٣٨.

لكونهم هادين مهديين لما صرّح به صلى الله عليه وآله بعدم افتراقهم عن القرآن إلى يوم القيامة، وهو الكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١].

فقد روى أحمد في مسنده والطبراني في الكبير بسند صحيح عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)[٢].

دعوى معارضات أخرى

وأيضاً قد يقول قائل: إنّ حديث الثقلين معارض بحديث: (خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء)، إشارة إلى عائشة، أو حديث: (أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)، أو حديث: (أعلمكم بالحلال والحرام معاذ)، أو حديث: (تمسّكوا بعهد ابن أُم عبد)، أو حديث: (اهتدوا بهدى عمّار)[٣].

نقول: كلّ هذه الأحاديث يتراوح أمرها بين الضعف والوضع، فهي ليست حجّة من حيث السند، فضلاً عن دعوى المعارضة بها.

أمّا حديث (خذوا شطر دينكم...) فقد وهّاه جمع من علماء وحفّاظ أهل السنّة ونصّوا على أنّه من الأحاديث الّتي لا سند ولا أصل له، نذكر منهم: الذهبي، والمزي،

---

(١) قال تعالى: ﴿وإنّه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت: الآيتين ٤١ و٤٢).

(٢) مسند أحمد ٥: ١٨٢، المعجم الكبير ٥: ١٥٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ١٧٠، ٩: ١٦٢: ((رواه الطبراني ورجاله ثقات))، و((رواه أحمد وإسناده جيد)).

(٣) وردت هذه الدعاوى وما قبلها في كتب مختلفة متفرّقة عند أهل الخلاف، فأُنظر على سبيل المثال: ((مختصر التحفة الاثني عشرية)): ١٧٤.

وابن كثير، وابن قيم الجوزية، والملا عليّ القاري، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وغيرهم[١].

وحديث (اقتدوا باللّذين من بعدي...) يعدّ من الأحاديث الساقطة المعلولة، فقد أعلّه أبو حاتم، وقال البزار وابن حزم عنه: ((لا يصح))، وأيضاً ضعّفه الترمذي والعقيلي والنقاش والدارقطني، وصرّح الذهبي وابن حجر العسقلاني والهروي ببطلانه[٢].

وأمّا حديث (أصحابي كالنجوم...)، فهو من الأحاديث الموضوعة عند: أحمد ابن حنبل، والمزني، والبزار، وابن القطان، والدارقطني، وابن حزم، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن الجوزي، والذهبي، وابن قيم الجوزية، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم[٣].

وحديث (أعلمكم بالحلال والحرام...) من الأحاديث الّتي قدح فيها الذهبي وابن عبد الهادي والمناوي[٤].

---

(١) أُنظر: الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة ١: ٥٨، تحفة الأحوذي ١٠: ٢٥٩، مرقاة المفاتيح ١١: ٣٣٨، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ١: ١٩٠، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ١: ٣٩٩، المصنوع ١: ٩٨، المقاصد الحسنة ١: ٣٢١، النخبة البهية ١: ٥٥، نقد المنقول ١: ٥١.

(٢) أُنظر: فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢: ٧٣، سنن الترمذي ٥: ٣٣٦، ميزان الاعتدال ١: ١٤٢ و١٠٥ و٣: ٦١٠، لسان الميزان ١: ١٨٨ و٢٧٢ و٥: ٢٣٧، تلخيص الحبير ٤: ١٩٠، جامع التحصيل ١: ١٨٦، الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٢٤٩، ٣٨٩.

(٣) أُنظر: التقرير والتحبير ٣: ١٣٢، جامع بيان العلم ٢: ٩٠، الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٣٧٦ و٣٧٧، لسان الميزان ٢: ١١٨ و١٣٧، تفسير البحر المحيط ٥: ٥١١، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١: ٢٨٣، ميزان الاعتدال ١: ٤١٣ و٢: ١٠٢ و٦٠٥، إعلام الموقعين ٢: ٢٤٢، تلخيص الحبير ٤: ١٩٠ و١٩١.

(٤) أُنظر: ميزان الاعتدال ٢: ١٧٦، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١: ٥٨٩.

وحديث (تمسّكوا بعهد ابن أُم عبد) من الأحاديث الضعيفة السند لمحل قبيصة بن عقبة في أحد طرقه، قال الذهبي: ((قال ابن معين هو ثقة إلا في حديث الثوري))، وقال: ((قال ابن معين ليس بذلك القوي. وقال: ثقة في كلّ شيء إلا في سفيان))[١].

وقبيصة يروي هذا الحديث عن سفيان الثوري كما في أُسد الغابة لابن الأثير[٢]. وأيضاً لمحل (عبد الملك بن عمير) المشهور بالتدليس، المضطرب الحديث، الكثير الغلط، الضعيف جداً[٣]. ولمحل (مولى ربعي) المجهول.

وفي الطريق الآخر أبو الزعراء[٤]، قال البخاري: ((لا يتابع في حديثه))[٥]. ورواة هذا الحديث عند الترمذي عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء هم: يحيى بن سلمة، ابن كهيل وعنه ابنه إسماعيل وعنه ابنه إبراهيم[٦]، وهؤلاء بأجمعهم مجروحون عند أئمّة الحديث والرجال من أهل السنّة، وبالأخص: يحيى بن سلمة فإنّه الأشدّ ضعفاً فيهم، لذا قال الترمذي بعد أن خرّجه: ((هذا حديث غريب من حديث ابن مسعود، لا نعرفه إلا من يحيى بن سلمة بن كهيل، ويحيى بن سلمة يضعّف في الحديث))[٧].

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٣٨٣.

(٢) أُسد الغابة ٣: ٢٥٨.

(٣) أُنظر: تهذيب التهذيب ٦: ٤١١، ميزان الاعتدال ٢: ٦٦٠، طبقات المدلّسين ١: ٤١، الأنساب للسمعاني ٤: ٤٤٤، في (القبطي).

(٤) أُسد الغابة ٣: ٢٥٨.

(٥) تهذيب التهذيب ٦: ٥٦.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٣٣٦ مناقب عبد الله بن مسعود.

(٧) نفس المصدر ٥: ٣٣٧.

والمتحصّل: أنّ هذه الأحاديث لا يصلح أيّ شيء منها لمعارضة حديث الثقلين (الكتاب والعترة) الصحيح المتواتر.

وأمّا دعوى المعارضة بحديث (واهتدوا بهدى عمّار)[1] فهي غير تامة؛ لأنّ هذا الحديث إن صح فهو على المدّعي لا له، ذلك أنّ الصحابي الجليل عمّار بن ياسر معروف بتشيّعه لأمير المؤمنين عليه السلام واتّباعه له، حتّى أنّه قد لازم أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخر يوم في حياته، واستشهد بين يديه في معركة (صفّين)، وواقعه (رضوان الله عليه) يعدّ مصداقاً حقيقياً لاتّباع الكتاب والعترة فلا تعارض.

وفي هذا المعنى روى الحاكم في المستدرك عن خالد العرفي قال: دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة فقلنا يا أبا عبد الله: حدّثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله في الفتنة. قال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (دوروا مع كتاب الله حيث ما دار). فقلنا: فإذا اختلف الناس فمع من نكون؟ فقال: اُنظروا الفئة الّتي فيها ابن سمية فانزلوها فإنّه يدور مع كتاب الله. قال قلت: ومن ابن سمية؟ قال: أوماتعرفه؟ قلت: بيّنه لي. قال: عمّار بن ياسر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: (يا أبا اليقظان لن تموت حتّى تقتلك الفئة الباغية عن الطريق)[2].

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن سيار بن الحكم أنّه قال: قالت بنو عبس لحذيفة: إنّ أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال: آمركم أن تلزموا عمّاراً. قالوا: إنّ عمّاراً لا يفارق عليّاً. قال: إنّ الحسد هو أهلك الجسد وإنّما ينفركم من عمّار

---

(١) كما في مختصر التحفة الاثني عشرية: ١٧٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في موردين ٢: ١٦٢ و٣: ٤٤٢، قال في الأوّل: (هذا حديث له طرق بأسانيد صحيحة أخرجا بعضها ولم يخرجاه بهذا اللفظ)، وقال في الثاني: (هذا حديث صحيح عال ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

قربه من عليّ، فو الله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وأنّ عمّاراً لمن الأحباب، وهو يعلم أنّهم إن لزموا عمّاراً كانوا مع عليّ[(١)].

وأيضاً قد تثار أمام هذا الحديث العظيم الشأن شبهات أخرى كهذه الّتي تقول: إنّ المراد بـ (عترتي) في حديث الثقلين عموم أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله لا خصوص أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام والأئمّة من ذريتهما عليهم السلام[(٢)].

وفي الردّ على هذه الدعوى نقول: إنّها مردودة لغةً وشرعاً.

أمّا اللغة: قال الجوهري في الصحاح: ((عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون))[(٣)].

وقال ابن الأثير في النهاية بعد ذكره لحديث الثقلين: ((عترة الرجل: أخصّ أقاربه))[(٤)].

وعن الفراهيدي في كتاب العين قال: ((وعترة الرجل: أصله. وعترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمّه دنيا))[(٥)].

وقال ابن منظور في لسان العرب بعد أن روى حديث الثقلين ونقل كلام ابن الأثير المتقدّم: ((وقال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه قال: فعترة النبيّ صلى الله عليه وآله ولد فاطمة البتول عليها السلام))[(٦)].

وقال الفيروزآبادي في القاموس: ((العِترة بالكسر... نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممّن مضى وغبر))[(٧)].

---

(١) مجمع الزوائد ٧: ٢٤٣ قال الهيثمي: ((رواه الطبراني ورجاله ثقات)).

(٢) كما في مختصر التحفة الاثني عشرية: ١٧٤.

(٣) الصحاح ٢: ٧٣٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣: ١٧٧.

(٥) كتاب العين ٢: ٦٦.

(٦) لسان العرب ٤: ٥٣٨.

(٧) القاموس المحيط ٢: ٨٤.

وقال الزبيدي في التاج: ((وإنّ عترة رسول الله ﷺ ولد فاطمة ؓ هذا قول ابن سيده، وقال أبو عبيد وغيره: عترة الرجل وأُسرته وفصيلته: رهطه الأدنون، وقال ابن الأثير: عترة الرجل أخصّ أقاربه، وقال ابن الأعرابي: عترة الرجل ولده وذريته وعقبه من صلبه، قال: فعترة النبيّ ﷺ ولد فاطمة البتول عليها السلام))(١).

وأمّا شرعاً: فقد بيّن النبيّ الأعظم ﷺ في أحاديث متضافرة متواترة مراده بعترته بأنّهم أهل بيته، وبيّن مراده بأهل بيته بأنّهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(٢). وهذا المعنى ممّا اعترف به علماء أهل السنّة وأقرّوا به في كتبهم.

قال المناوي الشافعي في فيض القدير: ((وعترتي أهل بيتي تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً))(٣).

وقال الشيخ عبد الحقّ الدهلوي في أشعة اللمعات: ((قوله: والعترة رهط الرجل وأقرباؤه وعشيرته الأدنون، وفسّره ﷺ بقوله: (وأهل بيتي)، للإشارة إلى أنّ مراده هنا من العترة أخصّ عشيرته وأقاربه، وهم أولاد الجد القريب، أي:أولاده وذريته ﷺ))(٤).

وقال الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول: ((قوله ﷺ: (لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)، وقوله: (ما إن أخذتم به لن تضلّوا)، واقع على الأئمّة منهم السادة، لا على غيرهم))(٥).

---

(١) تاج العروس ٣: ٣٨٠.

(٢) أُنظر صحيح مسلم ٧: ١٢١، مسند أحمد ١: ١٨٥ و٤: ١٠٧، فتح الباري ٧: ١٠٤، سنن الترمذي ٤: ٢٩٤ و٥: ٣٠٢، المستدرك على الصحيحين ٢: ٤٥١، فيما صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ١٩.

(٤) أشعة اللمعات في شرح المشكاة ٤: ٦٨١، بواسطة نفحات الأزهار ٢:٣٤٥.

(٥) نوادر الأُصول ١: ٢٥٩.

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ((ثمّ أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبو بكر: عليّ عترة رسول الله ﷺ، أي: الّذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما قلناه، لذلك خصّه ﷺ بما مرّ يوم غدير خم))[1].

وقال القاري في المرقاة عند شرحه لحديث الثقلين ما نصّه: ((وأقول: الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم فهم المطّلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، ويؤيّده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميد بن عبد الله بن زيد أنّ النبيّ ﷺ ذكر عنده قضاء قضى به عليّ بن أبي طالب فأعجبه وقال: (الحمد لله الّذي جعل فينا الحكمة أهل البيت). وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن محمّد بن مسعر اليربوعي قال: قال عليّ للحسن: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع، قال: بيّن، قال: اليقين ما رأته عينك والإيمان ما سمعته أُذنك وصدقت به، قال: أشهد أنّك ممّن أنت منه ذرية بعضها من بعض. وقارف الزهري [ذنباً.ظ] فهام على وجهه، فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله الّتي وسعت كلّ شيء أعظم عليك من ذنبك، فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فرجع إلى أهله))[2].

وأمّا ما فسّره زيد بن أرقم - كما في الرواية الواردة في صحيح مسلم - بأنّ أهل بيته ﷺ هو خصوص من حرم الصدقة بعده، وهم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس[3].

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢ و٤٤٣.

(٢) المرقاة في شرح المشكاة ١١: ٣٠٨.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

فنقول عن هذا التفسير من زيد بأنّه لا يعدو أن يكون رأياً رآه، وهو ليس بحجّة؛ لأنّه لم يصدر عن النبيّ ﷺ، بل الصادر عنه ﷺ هو ما تضافر نقله في تنصيصه ﷺ على أنّ المراد بأهل بيته هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام دون غيرهم[1].

قال الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) بعد ذكره لحديث الثقلين وتفسير زيد المتقدّم: ((قلت: إنّ تفسير زيد (أهل البيت) غير مرضي؛ لأنّه قال أهل البيت من حرم الصدقة بعده، يعني بعد النبيّ ﷺ، وحرمان الصدقة يعم زمان حياة الرسول ﷺ وبعده وهم لا ينحصرون في المذكورين، فإنّ بني المطلب يشاركونهم في الحرمان؛ ولأنّ آل الرجل غيره على الصحيح، فعلى قول زيد يخرج أمير المؤمنين عليه السلام عن أن يكون من أهل البيت، بل الصحيح: أنّ أهل البيت عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام، كما رواه مسلم بإسناده عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾. وهذا دليل على أنّ أهل البيت هم الّذين ناداهم الله بقوله: ((أهل البيت)) وأدخلهم الرسول (رسول الله ﷺ) في المرط. وأيضاً روى مسلم باسناده أنّه لمّا نزلت آية المباهلة دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام وقال: (اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي)))[2].

(١) تقدّمت الإشارة إلى بعض مصادره ونضيف إلى ما تقدّم: المعجم الكبير ٣: ٥٥، وفي مواضع أُخرى مختلفة منه، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١١٣، مسند أبي يعلى ١٢: ٤٥١ و١٣: ٤٧٠، مصنف ابن أبي شيبة= =٧: ٥٠١، كتاب السنّة: ٥٨٩، نصب الراية ١: ٧١، تفسير الطبري ٢٢: ١٠، أسباب النزول للواحدي: ٢٣٩، تفسير ابن كثير ٣: ٤٩١، الدر المنثور للسيوطي ٥: ١٩٧، وغيرهم.

(٢) كفاية الطالب: ٥٤.

والرأي الآخر القائل بإدخال زوجاته ﷺ في مفهوم (أهل بيته) من معنى (العترة) في حديث الثقلين [١]، هو أيضاً ممّا لا يمكن المساعدة عليه لغة وشرعاً، وقد تقدّم البيان اللغوي لمعنى كلمة (العترة)، ولم نجد من أهل اللغة أحداً ينصّ على دخول الأزواج في معناها.

وقد تقدّم أيضاً التفسير الشرعي لهذه الكلمة من الحضرة النبوية المقدّسة ذاتها، وأنّه ﷺ أراد بها أهل بيته الكرام، وقد زادها ﷺ بياناً حين نصّ على مراده من أهل بيته بأعيانهم.

قال الآلوسي في تفسيره: ((وأخبار إدخاله ﷺ عليّاً وفاطمة وابنيهما (رضي الله تعالى عنهم)، تحت الكساء، وقوله عليه الصلاة والسلام: (اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي) ودعائه لهم، وعدم إدخال أُمّ سلمة أكثر من أن تحصى، وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأيّ معنى كان. فالمراد بهم مَن شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه)) [٢]. (انتهى).

٢ ـ حديث السفينة:

الدليل الثاني من أدلة السنة الشريفة في وجوب متابعة أهل البيت عليهم السلام هو الحديث المعروف بـ(حديث السفينة) والّذي ورد فيه قول النبيّ ﷺ: (مَثلُ أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا، ومن تخلّفَ عنها غرق) [٣].

---

(١) فيما نقله المباركفوري في تحفة الأحوذي ١٠: ١٩٦ عن التوربشتي الّذي قال: ((أنّه أراد بذلك نسله وعصابته الأدنين وأزواجه)) انتهى.

(٢) روح المعاني ٢٢: ١٤ و١٥.

(٣) حلية الأولياء ٤: ٣٠٦، فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٧٨٥، المستدرك على الصحيحين ٢: ٣٧٣ و٣: ١٦٣ وصححه، المعجم الكبير ٣: ٤٥ و٤٦ و١٢:٣٧، الجامع الصغير ١: ٣٧٣ و٢: ٥٣٣، وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة ٢: ٦٧٥ ((وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً إنّما مثل أهل بيتي...))، وأُنظر هنا أيضاً الجزء

وبحسب دلالة هذا الحديث الشريف يكون الأئمّة من آل البيت عليهم السلام هم الأئمّة الهداة؛ لأنّهم المنجون الوحيدون من الغرق في بحر الضلالات، كما كانت سفينة نوح في قومه السفينة الوحيدة المنجية من الكرب العظيم.

قال المناوي: ((مثل أهل بيتي (زاد في رواية: فيكم) مثل سفينة نوح (في رواية: في قومه) من ركبها نجا (أي: خلص من الأُمور المستصعبة) ومن تخلّف عنها غرق (وفي رواية: هلك). ومن ثمّ ذهب قوم إلى أنّ قطب الأولياء في كلّ زمن لا يكون إلا منهم. ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة جدّهم وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلك في معادن الطغيان))[(١)].

وقال الملا علي القاري: ((ألا إنّ مثل أهل بيتي (أي: شَبَهُهم) فيكم مثل سفينة نوح (أي: في سببية الخلاص من الهلاك إلى النجاة) من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك. فكذا من التزم محبتهم ومتابعتهم نجا في الدارين، وإلا فهلك فيهما))[(٢)].

وفي هذا الحديث أيضاً توجد دلالة ثانية، وهي الدلالة على الفرقة الناجية من فرق المسلمين الّتي عناها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: (تفترق أُمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار، والناجية منها واحدة)[(٣)]. فالفرقة الناجية من الغرق في بحر الضلالات هي الفرقة الّتي تركب سفينة أهل البيت عليهم السلام.

الرابع من ((نفحات الأزهار)) لتطّلع بالتفصيل على رواة هذا الحديث من الصحابة والتابعين والعلماء من أهل السنّة على مرّ القرون مع الوقوف على تراجمهم.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥: ٥١٧.

(٢) مرقاة المفاتيح ١١: ٣٢٧.

(٣) أُنظر: سنن الترمذي ٤: ١٣٤ و١٣٥، وسنن أبي داود ٢: ٣٩٠، وسنن ابن ماجة ٢: ١٣٢١ و ١٣٢٢، وسنن الدارمي ٢: ٢٤١، ومسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٢، ٤: ١٠٢ والمستدرك على الصحيحين ١: ٤٧ و٢١٧، وقد

وليس المراد من ركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام كما دلّ عليه حديث السفينة المتقدّم، سوى اتّباعهم والاهتداء بهدي علمائهم وهم الأئمّة عليهم السلام، والأخذ بعلومهم في فهم أحكام الدين الّتي هي امتداد لعلم وفهم رسول الله صلى الله عليه وآله حسبما ينصّ عليه الحديث الشريف الآتي: (من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوالِ عليّاً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتدِ بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أُمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي)[١].

والمعنى المذكور هو الّذي نصّ عليه الإمام الشافعي في أبياته المعروفة الّتي رواها له أبو بكر شهاب الدين الشافعي في كتابه (رشفة الصادي) حين قال:

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبهم فى أبحر الغيّ والجهل

ركبت على اسم الله فى سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم

وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم ... كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

ولم يك بناج منهم غير فرقة ... فقل لى بها ذا الرجاحة والعقل

أفي الفرقة الهلاك آل محمّد؟ ... أم الفرقة اللاتي نجت منهم؟ قل لي

فإن قلت فى الناجين فالقول واحد ... رضيت بهم لا زال فى ظلّهم ظلّى

رضيت عليّاً لي إماماً ونسله ... وأنت من الباقين في أوسع الحل[٢]

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٨٦ بسند صحيح، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٢٤٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢: ١٠٤ يرويه عن الطبراني والرافعي عن ابن عباس.

(٢) رشفة الصادي: ٥٧.

وهذا هو ابن تيمية - مع شدّة نصبه وعداوته للأئمة عليهم السلام وشيعتهم، وسعيه لإنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام - يعترف ويقول: «ولا يعاونون (آل البيت) أحداً على معصية، ولا يزيلون المنكر بما هو أنكر منه، ويأمرون بالمعروف، فهم وسط في عامة الأمور، ولهذا وصفهم النبي صلى الله عليه وآله بأنّهم: الطائفة الناجية، لمّا ذكر اختلاف أمّته وافتراقهم»[1]. (انتهى).

وبهذا المعنى أيضاً ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ أهل البيت عليهم السلام هم الهداة المنجون، قال صلى الله عليه وآله: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب إبليس)[2]. وهذا الحديث دلالته واضحة بأنّ أهل البيت عليهم السلام هم الأئمّة الهداة، وأنّهم علامة الحقّ الواجب اتّباعها، وذلك بدليل صيرورة المخالف لهم - أيّ مخالف - من حزب إبليس.

قال المناوي الشافعي: «(وأهل بيتي أمان لأُمتي) شبههم بنجوم السماء وهي الّتي يقع بها الاهتداء وهي الطوالع والغوارب والسيارات والثابتات، فكذلك بهم الاقتداء، وبهم الأمان من الهلاك»[3].

ولا ينبغي الشك بأنّ المراد بأهل البيت عليهم السلام في هذا الحديث والأحاديث الأُخرى الواردة بهذا التعبير هم أصحاب الكساء والتسعة المعصومين من ذرية الحسين (عليهم السلام أجمعين)، فقد نصّ على ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله ببيان واضح لا لبس

---

(١) حقوق آل البيت: ٤٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣: ١٦٣ وصححه، وابن حجر في الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٥ و٦٧٥، والطبراني في المعجم الكبير ٧: ٢٢ وفيه: (النجوم جعلت أماناً لأهل السماء وأنّ أهل بيتي أمان لأُمتي)، وروى السيوطي في الجامع الصغير ٢: ٦٨٠ مثله.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦: ٣٨٦.

فيه، وفي هذا يروي مسلم في صحيحه عن عائشة، قالت: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾))[1].

وبهذا المعنى قال أكثر المفسّرين وأعلام الجمهور، فقد ذكر ابن تيمية فيما رواه عن أم سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّ هذه الآية لمّا نزلت أدار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كساءه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً))[2].

وعن ابن حجر قال: ((إنّ أكثر المفسّرين على أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين))[3].

وأخرج الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك في حديث صحيح عن ابن عباس قال: ((... وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾... الآية))[4].

وبملاحظتنا لدلالتي القول والفعل الصادرين عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الأحاديث المتقدّمة من حيث إدارته صلى الله عليه وآله وسلم للكساء على المذكورين خاصّة، وتلاوته للآية الكريمة في أثناء ذلك، وتعريفه للجزئيّن في قوله: (هؤلاء أهل بيتي) الدال بلاغياً - والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سيّد البلغاء لا يتكلّم إلا وفق مقتضى الحال لا يزيد في ذلك ولا ينقص

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٣٠ باب فضائل أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) حقوق آل البيت: ١٠.

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٤٢١.

(٤) الحاكم في مستدركه ٣: ١٤٣، والذهبي في ذيل المستدرك في نفس الجزء والصفحة، وصرّح كلّ منهما بصحته على شرط الشيخين.

عليه – على إرادة التعيين والقصر[1]، يثبت بأنّ المراد بأهل البيت هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، دون غيرهم.

وقد يسأل سائل هنا ويقول: ولكنّكم تقولون بأنّ الأئمّة التسعة المعصومين من أولاد الحسين عليه السلام هم أيضاً داخلون في مصطلح (أهل البيت)، فكيف استفدتم ذلك، وهم لم يذكروا في حديث الكساء؟

نقول: قد استفدناه من نصّ أحد المعصومينَ الّذين نزلت بحقّهم آية التطهير على شخص المعصوم الآخر الّذي يليه، وهو ما يتداوله الشيعة الإمامية في هذا الجانب بتضافر وتواتر في كتبهم الحديثية الّتي حفظت تراث أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم. والأحاديث الواردة بهذا الشأن عند الإمامية تطابق وتوافق تماماً من حيث الانتساب والعدد والصفات ما رواه الجُمهور بحقّ هؤلاء الأئمّة، وقد نقلنا فيما تقدّم بما صرّح به البعض عن محققي أهل السنّة في دلالة تلك الأحاديث على الأئمة الاثني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ونعني بذلك الأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ الخلفاء من بعده اثنا عشر خليفة لا غير.

وهذه الأحاديث التي وعدنا القارئ الكريم بالحديث عنها فيما سبق قد جاء محل الوفاء بذلك الآن، لذا سنخصص الصفحات القادمة لما يكشف اللثام عن هذه الأحاديث الصحيحة والمتضافرة الطرق في متون أهل السنة ومصادرهم.

---

(١) أُنظر: الإتقان في علوم القرآن: ٥٨٣ في دلالة تعريف الجزئين على إفادة الحصر والتعيين.

الخلفاء الاثنا عشر

من المسائل الّتي حار فيها أهل السنّة ولم يجدوا تفسيراً صحيحاً لها، هي المسألة الّتي يثيرها الحديث المعروف بحديث (الخلفاء من بعدي اثنا عشر) بصيغه المتعددة الواردة عن خاتم الرسل ﷺ، حتّى ألّف بعض الباحثين كتاباً بهذا المعنى، جعل أحد فصوله المسألة المذكورة[١]، مقلّباً النظر في إيجاد التفسير المناسب عند أهل السنّة لهذه الأحاديث.

وهذه الأحاديث لا يمكن لأهل السنّة والجماعة إنكارها أو ردّها؛ لأنّها مبثوثة في الكتب المعتبرة عندهم والّتي يشهدون بوثاقتها واعتبارها كصحيح البخاري ومسلم، ومسند أحمد، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، ومعاجم الطبراني وغيرها.. فهذه الأحاديث يرويها مثلاً البخاري من ثلاثة طرق، وأحمد من طرق عدّة تبلغ الثلاثين، وهكذا غيرهم.

إلا أنّ المشكلة الّتي تواجه شرّاح هذه الأحاديث عند أهل السنّة – كما سنلاحظ – أنّهم لم يجدوا لها معنىً يعتدون به بحسب مذاهبهم ومشاربهم الّتي يشربونها!!

ولنذكر في البداية شيئاً من ألفاظ هذه الأحاديث، ثمّ نذكر بعد ذلك أقوال بعض الشرّاح عنها، لننتهي إلى القول الفصل في المراد منها، وتجدر الإشارة إلى أنّ

---

(١) ألّف الشيخ عليّ آل محسن كتاباً تحت عنوان ((مسائل خلافية حار فيها أهل السنّة))، وقد تطرّق للمسألة المشار إليها أعلاه تحت عنوان: من هم الأئمّة الاثنا عشر عند أهل السنّة؟! اُنظر ص ٧ وما بعدها من الكتاب المذكور.

هذه الأحاديث تعدّ من الأحاديث الشريفة الصحيحة القليلة المتّفق عليها عند السنّة والشيعة معاً وبلا خلاف!!

١ ـ أخرج البخاري وأحمد والبيهقي وغيرهم عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: (يكون اثنا عشر أميراً) فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: (كلّهم من قريش)[1].

٢ ـ أخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبيّ ﷺ فسمعته يقول: (إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة). قال: ثمّ تكلّم بكلام خُفي عليَّ. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: (كلّهم من قريش)[2].

٣ ـ أخرج مسلم أيضاً –واللفظ له– وأحمد عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً)، ثمّ تكلّم النبيّ ﷺ بكلمة خفيت عليَّ، فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: (كلّهم من قريش)[3].

٤ ـ أخرج مسلم أيضاً وأحمد والطيالسي وابن حبّان والخطيب التبريزي وغيرهم عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة))، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: (كلّهم من قريش)[4].

---

(١) صحيح البخاري ٨: ١٢٧ كتاب الأحكام، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٠، دلائل النبوة للبيهقي ٦: ٥١٩.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٨ و١٠١.

(٤) صحيح مسلم ٦: ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٠ و١٠١، مسند أبي داود الطيالسي: ١٠٥ و١٨٠، مشكاة المصابيح ٣: ١٦٨٧ وقال: متفق عليه، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨: ٢٣٠.

٥ ـ وأخرج مسلم - واللفظ له - وأحمد عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: (لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش)[1].

٦ ـ أخرج أحمد - واللفظ لغيره - والحاكم، والهيثمي عن الطبراني والبزّار: أنّ النبيّ ﷺ قال: (لا يزال أمر أُمتي صالحاً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة). وخفض بها صوته، فقلت لعمي وكان أمامي: ما قال يا عم؟ قال: (كلّهم من قريش)[2].

إلى غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة[3].

علماء السنّة حيارى حيال هذه الأحاديث

لقد حاول علماء أهل السنّة جاهدين تفسير هذه الأحاديث بما يتفق ومذاهبهم، فذهبوا ذات اليمين وذات الشمال لا يهتدون في ذلك إلى شيء، حتّى أعوزتهم الحجّة فاضطروا إلى الاعتراف بعجزهم عن تفسيرها بما يتفق ومذاهبهم في الخلافة بعد رسول الله ﷺ.

قال ابن الجوزي في (كشف المشكل): ((هذا الحديث قد أطلتُ البحث عنه، وتطلّبت مظانّه، وسألت عنه، فما رأيت أحداً وقع على المقصود به..))[4].

---

(١) صحيح مسلم ٦: ٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٨٦ و٨٨ و٨٩، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٦٩٠.

(٢) مسند أحمد ٥: ٩٧، ١٠٧ إلا أنّ فيه: لا يزال هذا الأمر صالحاً، المستدرك ٣: ٦١٨، مجمع الزوائد ٥: ١١٩٠ قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح، ورواه عن جابر في ص ١٩١ وقال: رجاله ثقات.

(٣) راجع على سبيل المثال: فيما صححه الألباني من صحيح سنن أبي داود ٣: ٨٠٧، وأُنظر سنن الترمذي ٣: ٣٤٠، المعجم الكبير للطبراني ٢: ١٩٠ وما بعدها.

(٤) كشف المشكل ١: ٤٤٩، وذكر ابن حجر هذه العبارة في فتح الباري ١٣: ١٨٣.

ونقل ابن بطال عن المهلب قوله: ((لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث - يعني بشيء معين -))[١].

وقال أبو بكر ابن العربي: ((ولم أعلم للحديث معنى))، وهذا نصّ كلامه في شرح الحديث: ((روى أبو عيسى عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش). صحيح، فعددنا بعد رسول الله ﷺ من ملك الحسن، معاوية، يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، هشام بن عبد الملك، يزيد بن عبد الملك، مروان ابن محمّد بن مروان، السفّاح، المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم، الواثق، المتوكّل، المنتصر، المستعين، المعتز، المهتدي، المعتمد، المعتضد، المكتفي، المقتدر، القاهر، الراضي، المتقي، المستكفي، المطيع، الطائع، القائم، المهتدي وأدركته سنة أربع وثمانين وأربعمائة وعهد إلى المستظهر أحمد ابنه، وتوفي في المحرم سنة ست وثمانين، ثمّ بايع المستظهر لابنه أبي منصور الفضل، وخرجت عنهم سنة خمس وتسعين.

وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان بن عبد الملك، وإذا عددناهم بالمعنى، كان معنا منهم خمسة: الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز!

ولم أعلم للحديث معنى، ولعلّه بعض حديث. وقد ثبت أنّ النبيّ ﷺ قال: (كلّهم من قريش)))[٢].

ولا نريد هنا أن نستعرض كلّ من تعرّض من علماء أهل السنّة لهذا الحديث أو أراد أن يبدي رأياً فيه، إذ إنّ كلّ الآراء والمحاولات الّتي أبدوها باءت بالفشل في الوصول للتفسير الصحيح للحديث، وهم قد اعترفوا بذلك كما أشرنا إليه[١].

---

(١) فتح الباري ١٣: ١٨٢.

(٢) شرح ابن العربي على صحيح الترمذي ٩: ٦٨ ـ ٦٩.

إلا أنّ الّذي يستوقف المتابع هو: لماذا يذهب الشرّاح من أهل السنّة في هذا الحديث الصحيح ذات اليمين وذات الشمال ثمّ لا يهتدون إلى شيء ويتركوا الأحاديث الصحيحة الواردة في كتبهم والّتي تعينهم على التفسير الصحيح والمتين لهذا الحديث، مع أنّا وجدنا بعضهم قد استعان حتّى بالتوراة المحرّفة في سبيل الوصول إلى تفسير ما لهذا الحديث ولم يفلح[1]، والحال أنّ تفسير الحديث بالحديث خير لهم من تفسير الحديث بالظن أو التوراة المحرّفة؟!

والطريف في هذا الأمر أيضاً أنّهم لم يجدوا في كتبهم الحديثية شيئاً يعينهم على تفسير الحديث بحسب مذهبهم في الخلافة، بل على العكس، تراهم يروون في كتبهم الحديثية أحاديث صحيحة تنافي ما توصّلوا إليه من تفسير الحديث - ولو توسلاً - حين يحملونه على الخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ، وحين يضمّون إلى ذلك جملة من الحكّام الأمويين والعباسيين بغية الوصول إلى تمام العدد الوارد في الحديث!

فهم مثلاً تجدهم يروون أنّ النبيّ ﷺ قال: (الخلافة ثلاثون سنة، ثمّ تكون بعد ذلك ملكاً)[2].. وهو يناقض ما ذهبوا إليه من تعيين بعض الأسماء للخلافة من الحكام الأمويين والعباسيين!

أو هذا الحديث: ((قال سعيد، فقلت له [أي: لسفينة راوي الحديث]: إنّ بني أُمية يزعمون أنّ الخلافة فيهم. قال: كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شرّ الملوك))[3].

---

(١) ويمكن مطالعة جملة وافرة من هذه الآراء والردود عليها في كتاب ((مسائل خلافية حار فيها أهل السنّة)): ١٢ ـ ٣٤.

(٢) أُنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١: ٧٤٢ ح ٤٥٩ ينقل تصحيحه عن: الحاكم والذهبي وابن حبّان وابن حجر وابن جرير الطبري وابن تيمية.

(٣) سنن الترمذي ٣: ٣٤١ قال: حديث حسن، تحفة الأحوذي ٦: ٣٩٧، قال المباركفوري: وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي، قال الحافظ في الفتح بعد ذكر الحديث: أخرجه أصحاب السنن وصحّحه ابن حبّان وغيره (انتهى).

ولا نظن أحداً يختلف بأنّ (الملوك) هم غير (الخلفاء) الّذين عناهم رسول الله ﷺ في أحاديثه المتقدّمة.. وأيضاً أنّ (شرّ الملوك) لا يتلائم بأيّ حال من الأحوال مع قوله ﷺ: (لا يزال الإسلام عزيزاً)، فيما رواه مسلم وأحمد والطيالسي وابن حبّان والخطيب التبريزي وغيرهم من طرق الحديث.. الأمر الّذي يعني عدم انطباق الحديث على الحكّام الأمويين، وحتّى لو استثنينا عمر بن عبدالعزيز منهم يبقى العدد ناقصاً بشكل كبير، ممّا يعني عدم وجود تفسير صحيح لهذه الأحاديث بحسب مدرسة الخلفاء أو ما يسمّى بمدرسة أهل السنة والجماعة.

بل لايوجد تفسير صحيح لهذا الحديث الشريف سوى عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام الّتي ينتمي إليها الشيعة الإمامية، فهذه المدرسة تفسّره وتستدل على صحة تفسيرها إيّاه من مصادر وكتب أهل السنّة أنفسهم، وهذا هو سرّ قوّة هذه المدرسة وحجّتها البالغة؛ إذ جعل المولى سبحانه حججها على خصومها من كتبهم نفسها، وهذه الميزة تفتقر إليها كلّ الفرق الّتي تنتمي للإسلام، إذ تقول هذه المدرسة: إنّ المراد بالخلفاء الاثني عشر هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا غير، ويستدلون على ذلك - كما أشرنا - بما رواه أهل السنّة أنفسهم في كتبهم.

فقد روى أحمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير بسند صحيح أنّ النبيّ ﷺ قال: (إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض)[1].

ففي هذا الحديث الشريف نجد أنّ النبيّ ﷺ قد نصّ على أنّ (أهل بيته) هم الخلفاء من بعده، وأنّ خلافتهم مستمرة إلى يوم القيامة بدليل قوله ﷺ: (وإنّهما لن

---

(١) مسند أحمد ٥: ١٨٢، المعجم الكبير ٥: ١٥٣ أخرجه مختصراً، مجمع الزوائد ٩: ١٦٢ و٨: ١٧٠ قال الهيثمي: رواه أحمد وإسناده جيد، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، الدر المنثور ٢: ٦٠.

يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)، المكنّى به عن يوم القيامة.. وهذا المعنى يلائم تماماً ما ورد من ألفاظ في حديث الخلفاء اثنا عشر، فهم من قريش أوّلاً، وأيضاً أنّ خلافتهم مستمرة إلى يوم القيامة، وهو أيضاً يطابق ما ورد من نصوص لهذا الحديث، كهذا النص الّذي يرويه مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة: (إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة)[١]، وأيضاً النص الآخر الذي يرويه مسلم وأحمد: (لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش)[٢]، وغيرها من الألفاظ الواردة الدالة في المقام.. فحديث الثقلين يؤكّد استمرار خلافة أهل البيت عليهم السلام إلى يوم القيامة، وأحاديث الخلفاء اثنا عشر تؤكّد خلافة مثل هذا العدد إلى يوم القيامة، والجمع بين الأحاديث الشريفة - حديث الثقلين وحديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر - يستلزم القول بأنّ الاثني عشر خليفة هم من أهل البيت لا غير.

وأيضاً يمكن الاستدلال لهذا المعنى من حيث الصفات الوارد ذكرها في حديث الخلفاء اثنا عشر كقوله صلى الله عليه وآله: (لا يزال الإسلام عزيزاً)[٣]، (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة)[٤]، (لا يزال الدين قائماً حتّى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم تجتمع عليه الأُمّة)[٥]. وقوله صلى الله عليه وآله: (لا يزال أمر أُمتي صالحاً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة)[٦]. وغيرها من الأقوال، فهذا المعنى قد جاء مثله عن النبيّ صلى الله عليه وآله في

---

(١) صحيح مسلم ٦: ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، مسند أحمد ٥: ٩٠ و١٠١.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٤، مسند أحمد ٥: ٨٩

(٣) صحيح مسلم ٦: ٣، مسند أحمد ٥: ٩٠ و١٠١.

(٤) صحيح مسلم ٦: ٤، مسند أحمد ٥: ٩٨ و١٠١، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨: ٢٣.

(٥) سنن أبي داود ٢: ٣٠٩، صحيح الجامع الصغير للألباني ٢: ١٢٧٤، دلائل النبوة للبيهقي ٦: ٥٢٠.

(٦) مسند أحمد ٥: ٩٧ و١٠٧ إلا أنّ فيه: لا يزال هذا الأمر صالحاً، المعجم الكبير ٢٢: ١٢٠، المستدرك على الصحيحين ٣: ٦١٨، مجمع الزوائد ٥: ١٩٠ قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح.

إحدى طرق حديث الثقلين نفسه، حيث قال صلى الله عليه وآله: (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما فلن تضلّوا بعدي أبداً)[١]، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله: (النجوم أمان لأهل الأرض وأهل بيتي أمان لأُمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)[٢]، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله: (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى)[٣]، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله: (في كلّ خلف من أُمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله فانظروا من تفدون)[٤].. وغيرها الكثير الكثير من الأقوال الدالة في المقام.

ومن هنا ذكر الحافظ الحنفي في كتابه ((ينابيع المودّة لذوي القربى)) بخصوص هذه الأحاديث فيما أشرنا إليه سابقاً، وهو قوله:

((قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون علم أنّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله من حديثه هذا الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأمويه لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٣٢٨ و٣٢٩، مسند أحمد ٣: ٥٩ رواه بلفظ: ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، المستدرك على الصحيحين ٣: ١١٨ وصحّحه، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ قال الهيثمي: رواه أحمد وإسناده جيد، الجامع الصغير ١: ٤٨٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٢ صححه على شرط الشيخين، الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٥ و٦٧٥ وذكر تصحيح الحاكم له ولم يعقّب عليه بشيء، المعجم الكبير ٧: ١٠٢٢، الجامع الصغير ٢: ٦٨٠.

(٣) حلية الأولياء ٤: ٣٠٦، المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٧٣ وصححه، الصواعق المحرقة ٢: ٦٧٥، قال ابن حجر: ((جاء من طرق يقوي بعضها بعضاً)).

(٤) الصواعق المحرقة ٣: ٤٤١، ذخائر العقبى: ١٧ قال: أخرجه الملا – أي في سيرته –، المعيار والموازنة: ٢٠٤.

عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم؛ لأنّ النبي ﷺ قال: (كلّهم من بني هاشم) في رواية عبد الملك بن جابر، وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجّح هذه الرواية؛ لأنّهم لا يحسنون خلافة بني هاشم، ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم الآية ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(١) وحديث الكساء، فلا بدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ؛ لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، وكان علومهم عن آبائهم متصلاً بجدّهم ﷺ بالوراثة واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق))(٢).

نقول: وقد تحققت مصداقية هذه الصفات المشار إليها في الأحاديث الشريفة المتقدّمة في الواقع الخارجي للأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، وبشكل ظاهر للعيان يمكن أن يدركه ويعرف كلّ من كان له بصيرة في الدين، فها هو الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام – وهو أوّل الخلفاء الشرعيين – في زمن الثلاثة الّذين سبقوه في الحكم تراه ملاذاً لكلّ معضلة تحلّ بالثلاثة الّذين سبقوه، وأيضاً كان عليه السلام كاشف كلّ كربة تحيق بالإسلام وأهله حتّى صدح عمر بن الخطاب – وهو في سدّة الحكم – بقوله: ((لولا عليّ لهلك عمر))(٣).

قال المناويّ الشافعي: ((أخرج أحمد أنّ عمر أمر برجم امرأة فمرّ بها عليّ فانتزعها فأُخبر عمر فقال: ما فعله إلا لشيء، فأرسل إليه فسأله، فقال: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: رفع القلم عن ثلاث (الحديث)، قال: نعم، قال: فهذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر (قال المناوي) واتفق له مع

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) ينابيع المودّة: ٣: ٢٩٢.

(٣) ذخائر العقبى: ٨٢، تأويل مختلف الحديث: ١٥٢، الاستيعاب ٣: ١١٠٣.

أبي بكر نحوه (وقال) أخرج الدارقطني عن أبي سعيد أنّ عمر كان يسأل عليّاً عن شيء فأجابه فقال: أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن، وفي رواية: لا أبقاني الله بعدك يا عليّ))[1].

وقد اتفقت مثل هذه المواقف أيضاً مع عثمان، فصرّح بما صدح به عمر من قبل وقال: ((لولا عليّ لهلك عثمان))[2].

ولم يقتصر هذا الاعتراف ببيان عزّة الإسلام ومنعته بوجود أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على لسان ممّن سبقوه بالحكم فقط، بل شهد بذلك حتّى مناوئيه ومحاربيه، فهاهو معاوية يجهر حينما بلغه مقتل أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: ((لقد ذهب الفقه والعلم بموت عليّ بن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك))[3].

فعزّة الدين المشار إليها في حديث ((الخلفاء من بعدي اثنا عشر)) إنّما هي في تطبيقه، وتطبيقه إنّما هو فرع معرفته والإحاطة به، وقد كان كلّ هذا متمثّلاً بأمير المؤمنين عليه السلام أيام وجوده المبارك بين ظهراني المسلمين، كما شهدت لذلك الأقوال المتقدّمة ممّن استلموا زمام الحكم وإدارة شؤون البلاد قبله. فقد كان عليه السلام محيطاً بعلوم الشريعة، ومنبعاً أصيلاً لكلّ علوم الإسلام، وإليه تعود أُبوّة العلم جميعها مع النبيّ صلى الله عليه وآله، كما يشهد لذلك الحديث المعروف: (أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب)[4].

---

(١) فيض القدير ٤: ٤٧٠.

نقول: وفي هذا اعتراف صريح من عمر بأنّ عزّته كحاكم وعزّة من يحكمهم منوط بوجود الإمام عليه السلام!

(٢) أُنظر زين الفتى للعاصمي ١: ٣١٨.

(٣) الاستيعاب ٣: ١١٠٨.

(٤) الاستيعاب ٣: ١١٠٢، المستدرك على الصحيحين ١٣: ١٣٧ و١٣٨ يرويه بسندين صحيحين عن ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري، تاريخ بغداد ١١: ٥١ ينقل تصحيح ابن معين للحديث، الجامع الصغير ١: ٤١٥،

وأيضاً ورد عنه صلى الله عليه وآله قوله: (أقضاكم عليّ)[١]، وهذه شهادة منه صلى الله عليه وآله بإحاطته عليه السلام بالعلوم كلّها؛ لأنّ القضاء يحتاج إلى جميع العلوم، فلمّا رجّحه على الكلّ في القضاء، فهذا يعني أنّه مرجّح على الجميع في جميع العلوم.

وقد شهد بهذا عمر بن الخطاب حين قال: ((أقضانا عليّ))[٢]. وأيضاً ابن مسعود بقوله: ((أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب))[٣].

وعن أبي الطفيل، قال: ((شهدت عليّاً وهو يخطب ويقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدّثتكم به، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل أُنزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل))[٤].

وروى ابن عبد البر في (الاستيعاب) عن ابن عباس قوله: ((والله لقد أُعطي عليّ ابن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر))[٥].

وفي (الرياض النضرة) للمحب الطبري: ((عن أبي الزهراء عن عبد الله قال: علماء الأرض ثلاثة: عالم بالشام، وعالم بالحجاز، وعالم بالعراق، فأمّا عالم أهل الشام

فيض القدير ٣: ٦١ ينقل تصحيح الحاكم وابن معين للحديث وتحسين الحافظ العلائي والزركشي وابن حجر له، لسان الميزان ٢: ١٢٣ قال ابن حجر: ((وهذا الحديث له طرق كثيرة في المستدرك أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل))، وقد أفرد بعض المحدّثين كتاباً خاصاً لبيان طرق هذا الحديث كالمحدّث الغماري المغربي.

(١) تفسير القرطبي ١٥: ٦٦٢، الإحكام للآمدي ٤: ٢٣٧، الرياض النضرة ٣: ١٦٧ وفيه: أقضى أُمتي عليّ، كشف الخفاء ١: ١٦٢، الاستيعاب ٣: ١١٠٢ وفيه: أقضاهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) فتح الباري ٧: ٦٠، الرياض النضرة ٣: ٢٣٣، تفسير ابن كثير ١: ١٥٥، الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨، فتح الباري ٨: ١٢٧، أُسد الغابة ٤: ٢٢. وانظر شهادة غيره في السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٦٩.

(٤) فتح الباري ٨: ٤٥٩، تفسير القرآن للصنعاني ٣: ٢٤١، تفسير الطبري ١٣: ٢٨٩، تفسير القرطبي ١: ٣٥، تفسير الثعالبي ١: ٥٢، تهذيب الكمال ٢٠: ٤٨٦، تهذيب التهذيب ٧: ٢٩٧، الإصابة ٤: ٤٦٧.

(٥) الاستيعاب ٣: ١١٠٤، الرياض النضرة ٣: ١٦٠.

فهو أبو الدرداء، وأمّا عالم أهل الحجاز فهو عليّ بن أبي طالب، وأمّا عالم العراق فأخ لكم، وعالم الشام وعالم أهل العراق يحتاجان إلى عالم أهل الحجاز وعالم أهل الحجاز لا يحتاج إليهما. أخرجه الحضرمي))(١).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة) في بيان أبوّة أمير المؤمنين عليه السلام العلمية للعلوم ولمن جاء بعده: ((... وما أقول في رجل تعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها ، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى. وقد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ، فإنّ المعتزلة -الّذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر، ومنهم تعلّم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه؛ لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام. وأمّا الأشعرية فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن الأشعري عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي عليّ الجبائي، وأبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أُستاذ المعتزلة ومعلّمهم وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وأمّا الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر)).

قال ابن أبي الحديد ((ومن العلوم: علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أمّا أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمّد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأمّا الشافعي فقرأ على محمّد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد عليه السلام، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام، وينتهي الأمر إلى عليّ عليه السلام، وأمّا مالك بن أنس، فقرأ على

---

(١) الرياض النضرة ٣: ١٩٩، ٢٠٠، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤١٠.

ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على عليّ بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة. وأمّا فقه الشيعة: فرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن عليّ عليه السلام، أمّا ابن عباس فظاهر، وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل الّتي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرّة: لولا عليّ لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعليّ حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه..))[1].

ثمّ يمضي ابن أبي الحديد في بياناته هذه وليبيّن بعدها أنّ عليّاً عليه السلام كان مصدراً لعلوم أخرى كعلم التفسير وعلوم ما تسمّى بعلوم الطريقة والحقيقة، وأيضاً علوم النحو والعربية، وبعد ذلك ذكر ابن أبي الحديد بأنّه عليه السلام كان منتهى الفضائل من البلاغة والشجاعة والحلم والصفح والزهد والعبادة وغيرها من الملكات النفسية العظيمة الّتي يتحلّى بها.

والمتحصّل من هذا كلّه أنّه عليه السلام يعدّ مصداقاً حقيقياً لعزّة الدين ومنعته المشار إليهما سابقاً في أحاديث الخلفاء الاثني عشر.

وفي هذا السياق أيضاً يقول الشيخ محمّد بن محمّد الجزري الدمشقي الشافعي في كتابه ((أسنى المناقب)): ((..فانتهت إلى أمير المؤمنين عليّ – رضوان الله تعالى عليه – جميع الفضائل من أنواع العلوم، وجميع المحاسن وكرم الشمائل، من القرآن، والحديث، والفقه، والقضاء، والتصوّف، والشجاعة، والولاية، والكرم، والزهد، والورع، وحسن الخلق، والعقل، والتقوى، وإصابة الرأي، فلذلك أجمعت القلوب السليمة على محبته، والفُطر المستقيمة على سلوك طريقته، فكان حبّه علامة

---

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١٩ ـ ٣٠.

السعادة والإيمان، وبغضه محض الشقاء والنفاق والخذلان، كما تقدّم في الأحاديث الصحيحة، وظهر بالأدلة الصريحة، ولكن [يقول الشيخ الجزري] علامة صدق المحبة: طاعة المحبوب، وحب من يحب الحبيب، إنّ المحب لمن يحب مطيع))(١).

وهذا المعنى أيضاً - ونعني به عزة الدين ومنعته - قد تحقق بوجود الأئمّة عليهم السلام من أبناء عليّ عليه السلام، كالحسن عليه السلام في صلحه المبارك الّذي أخمد به فتنة معاوية ومن تبعه من غوغاء الشام الّذين أرادوا الإتيان على الإسلام وأهله من القواعد، فانبرى الحسن عليه السلام لهذه الفتنة وأوقف امتدادها بصلحه، وبما يتسنّى له ولشيعته نشر الإسلام المحمّدي الأصيل الّذي حاول تشويهه أولئك الطلقاء وأبناء الطلقاء من أمثال معاوية وحزبه الّذين شهد النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم بأنّهم كانوا يدعون إلى النار، كما ورد في الحديث الّذي يرويه البخاري وغيره في حقّ عمّار: ((ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنّة (أو يدعوهم إلى الله) ويدعونه إلى النار))(٢). ومن المعلوم أنّ عماراً قد قتل على يد جيش معاوية في صفّين.

وعندما تجاوز بني أمية حدودهم وأراد معاوية أن يمهّد لابنه يزيد المعروف بفسقه وفجوره(٣)، ويسلّطه حاكماً على رقاب المسلمين كان وجود الحسن والحسين عليهما السلام هو العقبة الكبيرة الّتي كانت تحول بين معاوية وبين تحقيق أمنيته هذه، وقد تبيّن هذا لمعاوية بشكل واضح عند اجتماعه بالعبادلة الأربعة، عبد الله بن عباس

---

(١) أسنى المناقب في تهذيب أسنى المطالب: ١٧٣.

(٢) صحيح البخاري ١: ١١٥ باب التعاون في بناء المسجد و٣: ٢٠٧ باب مسح الغبار عن الناس في السبيل، مسند أحمد ٣: ٩١.

(٣) أُنظر قول الحسن البصري في يزيد الّذي نقله الطبري في تاريخه ٢٠٨/٤، وقد جاء فيه: (أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة (إلى أن يقول واستخلاف ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير).(انتهى)

وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، حين صرّحوا له بأنّ الخلافة لا تكون إلا لمن كان أهلاً لها والفضل معقود لأهل بيت النبوّة من آل محمّد عليهم السلام[١].

وقد ذكر ابن قتيبة أنّ معاوية بعد أن استمع للعبادلة الأربعة: أعرض عن ذكر البيعة ليزيد، ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأعطياتهم، ثمّ انصرف راجعاً إلى الشام، وسكت عن البيعة، فلم يعرض لها إلى السنة إحدى وخمسين وهي سنة موت الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنه[٢].

وعندما أراد معاوية بعد ذلك أخذ البيعة لابنه يزيد من الحسين عليه السلام مباشرة كي يستقيم له الأمر في تسليط هذا الفاجر على رقاب المسلمين، انبرى له أبو عبد الله عليه السلام وأعلنها في وجهه جهاراً نهاراً قائلاً له: (هيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج...تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنّك تصف محجوباً، أوتنعت غائباً، أو تخبر عما كان ممّا احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه للكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقيه.. (إلى آخر خطابه عليه السلام معه)[٣].

ولم يلبث معاوية بعدها أن احتال على المسلمين (بوسائله المعروفة) في أخذ البيعة لابنه يزيد،إلا أنّ الحسين عليه السلام امتنع من البيعة وبقي مصرّاً على موقفه هذا، حتّى بعد موت معاوية، وهو كان قد قال للوليد بن عقبة (حاكم المدينة) عندما دعاه لبيعة يزيد: (يا أمير إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا

---

(١) أُنظر كلماتهم في (الإمامة والسياسة) ١: ١٩٤ و ١٩٦، جمهرة الخطب ٢: ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٩٦.

(٣) أُنظر المصدر السابق ١:١٦١.

ختم، ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله...)[١].

فهذه الكلمات الّتي نطق بها الإمام الحسين عليه السلام والتي تنبض بروح الإسلام، وتجدها مضمخة بعبق العقيدة المحمّدية الأصيلة الّتي لا تتزلزل من سليل النبوّة، والتي يتراءى للناظر منها مصداقاً آخر من مصاديق عزّة الدين ومنعته، وأنّ الإسلام المحمّدي الأصيل ما زال ينبض بالحياة لا يقوى على قتله أو قهره أمثال معاوية أو يزيد المعلن بالفسق والفجور، وأنّ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٢]، الّذي ربط خيرية الأمّة بدوام استمرارها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون...﴾[٣] ما زالت ـ أي: هذه المعاني ـ سارية المفعول في جسد الأمّة، وأنّها لن تموت ما دام في الأمّة الأئمة من آل محمّد عليهم السلام وهاهو الإمام الحسين عليه السلام يجسّد هذه المعاني العظيمة بموقفه هذا من يزيد وأشباهه حين يقول: (ومثلي لا يبايع مثله)، والّذي تمخّض عنه إعلان الثورة والنهضة المباركة والتي توّجت بتقديم تلك النفس الزكية الطاهرة قرباناً لدين الله وعزّته، وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ... ۞ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ٥:١٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٤) سورة التوبة: الآيتين ١١١، ١١٢.

فهذه النهضة المباركة مثّلت أسمى آيات العزّة والمنعة ونكران الذات في سبيل الإبقاء على الإسلام المحمّدي الأصيل الّذي حاول بنو أمية الإتيان عليه من القواعد، وقد كان النبيّ الأعظم ﷺ يستشرف هذه النهضة ويشير إليها بقوله المأثور: (حسين منّي وأنا من حسين)[١]، وهو مغزى قول القائل: ((الإسلام محمّدي الحدوث حسيني البقاء)).

وأيضاً كان الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام الملقّب بـ(زين العابدين) – وهو الإمام الرابع من الأئمة الاثني عشر – عنواناً ومصداقاً آخر من مصاديق (عزّة الدين ومنعته) الّتي أشارت إليها أحاديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر، فقد انبرى هذا الإمام الصابر المجاهد الّذي شهد واقعة الطف ومقتل أبيه وأخوته وبني عمومته على أيدي الطغام من أتباع بني أمية، وشاهد سعي بني أمية الحثيث للقضاء على أهل البيت النبوي ومن خلال هذا القضاء على الإسلام وأهله، فقد رفع الأمويون في واقعة الطف شعاراً مفاده: لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية..فنال حقدهم وبغضهم حتّى الطفل الرضيع فذبحوه من الوريد إلى الوريد. وقد شاءت إرادة المولى سبحانه أن تبقي على الإمام السجاد عليه السلام في تلك الواقعة وتنجيه من القتل لينهض بأعباء الإمامة بعد أبيه الحسين عليه السلام، وفي هذا حكمة بالغة..

فقد انبرى الإمام عليه السلام للتصدّي لبني أمية بوسيلتين مبتكرتين لا تقوى السلطات الحاكمة على منعهما أو الحد من انتشارهما، واستطاع الإمام السجاد عليه السلام بهاتين الوسيلتين أن يقف سدّاً منيعاً بوجه التيار الأموي الّذي لم يألوا جهداً في نقض عرى الإسلام عروة عروة، فبنو أمية – بنصّ القرآن الكريم – هم الشجرة الملعونة[٢]، وهم

---

(١) هذا الحديث صححه الحاكم والذهبي كما في المستدرك وذيله ٣: ١٩٥.

(٢) اُنظر: شواهد التنزيل ٢: ٤٥٧، تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٢، ٢٨٦، تفسير ابن كثير ٣: ٥٢، الدر المنثور ٤: ١٩١، تاريخ الطبري ٨: ١٨٥ قال الطبري: (ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد بها بني أمية) (وهي الآية ٦٠ من سورة الإسراء).

أيضاً - كما جاء على لسان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله - قادة الفئة الباغية والدعاة إلى النار[١]..

والوسيلتان المشار إليهما هما:

الوسيلة الأولى: الدعاء، حيث استطاع الإمام عليه السلام من خلاله - وفي ذلك الزمن الظلامي - من نشر علوم الإسلام في التوحيد والنبوّة وأصول الدين وحقائق الإيمان ومكارم الاخلاق وغيرها من المباحث، وفق صياغة بيانية ساحرة، أحيت القلوب وأثرت العقول بما حوت من علم جم وتألق روحي قل نظيره، وقد جُمع هذا التراث العظيم في صحائف مباركة أطلق عليها (الصحيفة السجّادية)، وهذه الأدعية المباركة وصفت فيما بعد بـ(زبور آل محمّد)... ولم تقدر السلطة الحاكمة آنذاك عن منع الإمام عليه السلام من القيام بهذا الدور التربوي والتعبوي الكبير للأمّة.

الوسيلة الثانية: شراؤه عليه السلام للعبيد ومن ثمّ عتقهم بعد إبقائهم عنده فترة من الزمن يشرف فيها على تعليمهم وتهذيبهم وفق أحكام الإسلام، وتزويدهم بالثقافة الروحية اللازمة، حيث كان عليه السلام يغرز في نفوسهم الأخلاق الكريمة والقيم العالية الّتي كاد المجتمع الإسلامي أن يفقدها آنذاك لما أشاعه بنو أمية من الفسق والفجور بين الناس، وقد كانت هذه الظاهرة - أي: شراء العبيد وتعليمهم ثمّ عتقهم - منه عليه السلام تمثّل في واقعها جامعة إسلامية علمية حقيقية لم تقدر السلطات آنذاك على منعها أو الحد من نشاطها وتأثيرها، وقد كان عليه السلام يعطي للعبيد الّذين يعتقهم شيئاً من المال يعينهم على بدء حياة اجتماعية فاعلة وهم قد تخرّجوا من مدرسة إمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وقد قيل: إنّ عدد هؤلاء قد بلغ خمسون ألفاً، وقيل: مائة ألف[٢].

(١) أُنظر: صحيح البخاري ١: ١١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد، ٣: ٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل.

(٢) أُنظر: بحار الأنوار ٤٦: ١٠٤، ١٠٥.

قال عبد العزيز سيّد الأهل: ((وجعل الدولاب يسير، والزمن يمر وزين العابدين يهب الحرية في كلّ عام، وكلّ شهر، وكلّ يوم، وعند كلّ هفوة، وكلّ خطأ، حتّى صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار، والجواري الحرائر، وكلّهم في ولاء زين العابدين))[(١)].

وأيضاً كان للإمام عليه السلام جهداً رسالياً آخر تمثّل في وثيقته الخالدة المسمّاة بـ(رسالة الحقوق) الّتي تعدّ لائحة قانونية مهمّة، ووثيقة تأريخية قيّمة، يذكر فيها الإمام عليه السلام حقوق الله سبحانه على الإنسان، وحقوق الإنسان على نفسه، وحقوق أعضائه من اللسان، والسمع، والبصر، والرجلين، واليدين، والبطن، والفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدي...إلى آخر الحقوق الّتي تبلغ الخمسين حقّاً، وآخرها حقّ الذمة.

وهذه الوثيقة الصادرة عن الإمام عليه السلام تكشف لنا عن حرصه الشديد على الدين وأهله، وكذلك عن عنايته الفائقة بالمجتمع الإسلامي، والسعي إلى تحصينه بالعقيدة الراسخة والقوانين الإلهية وبما يجعله عزيزاً منيعاً أمام كلّ مظاهر السوء والفساد الّتي حاول الأمويون إشاعتها بين أفراده[(٢)]...

وهكذا يستمر الدور الرسالي والمهم لأئمّة أهل البيت عليهم السلام الاثني عشر، إمام بعد إمام، وصالح بعد صالح، وهم في أداء هذا الدور مصاديق حية وقوّة فاعلة في تحقق هذا العنوان (عزّة الدين ومنعته) الّذي أشارت إليه أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله، والّتي أناطت تلك العزّة والمنعة بوجود اثني عشر خليفة بين ظهراني المسلمين، وليس هؤلاء الخلفاء سوى الأئمة الاثني عشر من آل البيت عليهم السلام، وقد تقدّم بيان ذلك كلّه بالأدلة الوافية، ولولا خشية الإطالة، والخروج عن منهج الاختصار الّذي ارتأيناه لهذا

---

(١) زين العابدين، لسيّد الأهل: ٥٧.

(٢) ولهذه الصحيفة المباركة شروحات عديدة، لعلّ أبرزها (شرح رسالة الحقوق) للسيّد حسن القبانجي، يمكن مراجعته للاطلاع على هذا الأثر الثر.

الكتاب، لبيّنا للقارئ الكريم دور بقية الأئمّة كالباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والجواد، والهادي، والعسكري، والحجّة المنتظر المهدي (عليهم السلام أجمعين). وما كان لهم من الشأن العظيم والدور المهم في حفظ الشريعة المقدّسة، ونشر علوم الإسلام بين المسلمين، وترسيخ المفاهيم الإسلامية الأصيلة، والذب عن الدين وأهله أمام أهل الديانات والعقائد المنحرفة،ولكننا نحيل القارئ الكريم إلى الموسوعات الّتي تكفّلت ببيان ذلك، وتناولت حياة هؤلاء الأئمّة الأبرار الأطهار بالتفصيل(١).

شبهات وردود: ولكن ربما تظهر في ذهن البعض بعض الأسئلة حول الأحاديث المتقدّمة عن النبيّ ﷺ بشأن الخلفاء الاثني عشر، كأن يقال: إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام لم يتولّوا أمور المسلمين وإن كانوا هم أهل لذلك وحينئذٍ لا يصدق عليهم أنّهم خلفاء بمجرد أهليتهم للخلافة، كما أنّ القاضي لا يصدق عليه أنّه قاضي بمجرد كونه أهلاً للقضاء ما لم يتولّ القضاء، فكيف صار هؤلاء الأئمّة هم الخلفاء الاثني عشر؟

والجواب: لمّا دلّت النصوص الصحيحة على أنّ الخلفاء الاثني عشر هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأنّهم هم الّذين يجب اتّباعهم ومبايعتهم وطاعتهم دون سواهم، فحينئذٍ لا يجوز العدول عنهم، ومبايعة من عداهم؛ لأنّ ذلك تبديل لحكم النبيّ ﷺ، وردّ لقوله، وإبطال لأمره.

على أنّ انصراف أكثر الناس عنهم لا يصيّرهم رعيّة، ولا يصيّر غيرهم أئمة وخلفاء، كما أنّ انصراف أكثر الناس عن الاعتقاد بنبوّة النبيّ لا يبطل نبوّته. قال

(١) أُنظر على سبيل المثال موسوعة الشيخ باقر شريف القرشي عن حياة الأئمة (عليهم السلام)، وغيرها من المصادر.

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾[1].

ولا ريب في أنّ ثمّة فرقاً بين القاضي المنصوب وبين من له أهلية القضاء، فإنّ الأوّل يسمّى قاضياً، والآخر لا يسمّى بذلك، إلا أنّ هذا أجنبي عمّا نحن فيه، فإنّ الأئمّة قد أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بهم ونصّ عليهم، فهم خلفاء لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سمّاهم بذلك، وإن لم يبايعهم الناس أو يقرّوا لهم بالخلافة، وحال هؤلاء حال من نصّبه النبيّ صلى الله عليه وآله للقضاء فأبى الناس، فإنّه يكون قاضياً شاء الناس أم أبوا، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

ثمّ إنّ الأئمّة عليهم السلام قاموا بأمور الإمامة خير قيام، فبيّنوا الأحكام، وأوضحوا شرائع الإسلام، ونفوا عن الدين تحريف المبطلين، وردّوا شبهات المضلّين.

والنبوّة فضلاً عن الإمامة لا تتقوّم باتّباع الناس أو بخلافهم، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان رسولاً نبيّاً وهو في مكة لم يؤمن به إلا قليل، والإمام كذلك.

وقد يرد أيضاً سؤال آخر مفاده: أنّ بعض الأحاديث الصحيحة دلّت على أنّ أولئك الخلفاء كلّهم يجتمع عليهم الناس، مع أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام لم يجتمع عليهم أحد، حتّى أمير المؤمنين عليه السلام اختلف الناس في زمانه، فكيف يكونون هم الأئمّة المعنيون في تلك الأحاديث؟[2]

والجواب: إذا كان المراد باجتماع الناس عليهم هو ما فهمه بعض علماء أهل السنّة من الاتّفاق على البيعة، فهذا لا ينطبق على أيّ واحد ممّن تولّوا أمر الناس، حتّى أبي بكر وعمر، فإنّ أبا بكر تمّت له البيعة في سقيفة بني ساعدة وأكثر

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٢) هذا السؤال مع جوابه والسؤال المتقدّم مع جوابه أوردهما الشيخ عليّ آل محسن في كتابه: (مسائل خلافية حار فيها أهل السنّة): ٣٨ – ٤١ بعد ردّه لتفاسير أهل السنّة للحديث المذكور.

المهاجرين كانوا غائبين عنها؛ وأمّا عمر فكانت خلافته بنصّ أبي بكر لا باجتماع الناس، حتّى قال بعضهم لأبي بكر: ((ما أنت قائل لربّك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترى غلظته))[١]، وأمّا غيرهما ممّن جاء بعدهما فعدم اجتماع الناس عليهم بهذا المعنى واضح وبيّن.

وعليه فإن كان المراد من اجتماع الناس هذا المعنى فهو لا ينطبق على أحد، فيكون الحديث باطلاً، فحينئذٍ لا مناص من القول بأنّ المراد من اجتماع الناس في الحديث هو اجتماعهم على صلاح هؤلاء الخلفاء، وحسن سيرتهم، وطيب سريرتهم، والاجتماع بهذا المعنى متحقق في أئمّة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، فهم وحدهم الّذين اتّفق الشيعة وأهل السنّة على اتّصافهم بذلك، فيكون هذا المعنى هو المراد في الحديث، لوجود مصاديق له دون المعنى الأوّل.

قال الدهلوي[٢]: ((وقد عُلم أيضاً من التواريخ وغيرها أنّ أهل البيت ولاسيما الأئمّة الأطهار من خيار خلق الله تعالى بعد النبيين، وأفضل سائر عباده المخلصين والمقتفين لآثار جدّهم سيّد المرسلين))[٣].

وقد اعترف بهذه المنزلة العظيمة بعض علماء أهل السنّة عند ترجمتهم لأئمّة أهل البيت عليهم السلام من دون خلاف.

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): ((فمولانا الإمام عليّ من الخلفاء الراشدين المشهود لهم بالجنّة رضي الله عنه نحبّه...وابناه الحسن والحسين فسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّدا شباب أهل الجنّة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك))[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ١٩٦، تاريخ الخلفاء: ٩٤، الصواعق المحرقة: ١: ٢٥٤.

(٢) شاه عبد العزيز الدهلوي (١١٥٩ـ ١٢٣٩) من كبار علماء الهند من أهل السنّة، اُنظر ترجمته لمحب الدين الخطيب في مقدّمة مختصر التحفة الاثني عشرية.

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية: ٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠.

وقال في ترجمة الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ((وكان له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى، لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه، وكمال عقله))[1].

وقال في ترجمة الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: ((وكان أحد مَن جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة، وكان أهلاً للخلافة))[2].

وقال في ترجمة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((مناقب جعفر كثيرة، وكان يصلح للخلافة، لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه رضي الله عنه))[3].

وقال في الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: ((كبير القدر، جيّد العلم، أولى بالخلافة من هارون))[4].

وقال في ترجمة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: ((وقد كان عليّ الرضا كبير الشأن، أهلاً للخلافة))[5].

وفي موضع آخر، قال الذهبي: ((عليّ بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس.. وابنه محمّد الجواد من سادة قومه.. وكذلك ولده الملقّب بالهادي: شريف جليل. وكذلك ابنه الحسن بن عليّ العسكري، رحمهم الله تعالى))[6].

---

(١) المصدر السابق ٤: ٣٩٨، ١٣: ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ٤: ٤٠٢، ١٣: ١٢٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠، تاريخ الإسلام ٩: ٩٣حوادث ووفيات سنة ١٤١ ـ ١٦٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠.

(٥) المصدر السابق ٩: ٣٩٢.

(٦) المصدر السابق ١٣: ١٢٠.

(الشيعة) في القرآن والسنّة

بعد أن تبيّن لنا أنّ الشيعة في موالاتهم واتّباعهم لأهل البيت عليهم السلام إنّما يستندون إلى الدليل القاطع الوارد من الكتاب والسنّة الصحيحة، نتناول الآن جانباً ممّا جاء من آيات وروايات تناولت هذا الاسم (الشيعة) أو دلّت عليه..

ولا بأس أن نذكر هنا أنّ هذه التسمية ـ الشيعة ـ كانت تطلق منذ الزمان القديم على أتباع الأنبياء والأوصياء، فيقال: شيعة نوح، شيعة موسى، شيعة (أليا)[١].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[٢]، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[٣].

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لبعض أصحابه: (ليهنئكم الاسم. قلت: ما هو جعلت فداك؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[٤].

قال تعالى في سورة البينة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٥].

---

(١) روى المجلسي في بحاره ٦٥: ٤٠ (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ ذكرك وذكر شيعتك في التوراة بكلّ خير قبل أن يخلقوا وكذلك في الإنجيل فإنّهم يعظمون (أليا) وشيعته، يا عليّ ذكر شيعتك في السماء أكثر من ذكرهم في الأرض) (انتهى).

(٢) سورة الصافات: الآية ٣٧.

(٣) سورة القصص: الآية ٢٨.

(٤) بحار الأنوار ١٢: ٢٩.

(٥) سورة البينة: الآية ٧.

أخرج الطبري في تفسيره (جامع البيان) بإسناده عن أبي الجارود عن الإمام محمّد بن عليّ (الباقر) أنّه قال: (﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فقال النبيّ ﷺ: أنت يا عليّ وشيعتك)[١].

وفي (الدر المنثور) للسيوطي، قال: ((أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ فقال النبيّ ﷺ: (والّذي نفسي بيده أنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبيّ ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية.

قال السيوطي: وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعليّ: (هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين).

قال السيوطي: وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجلين))[٢].

وذكر نحو ما تقدّم الشوكاني في تفسيره (فتح القدير)[٣]. وكذلك الآلوسي في (روح المعاني)[٤].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٠: ٣٣٥.

(٢) الدر المنثور ١: ٣٧٩.

(٣) فتح القدير ٥: ٤٧٧.

(٤) روح المعاني ٣٠: ٢٠٧.

وعن الطبراني في الكبير: (إنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ: (أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواء مرويين مبيضّة وجوهكم، وإنّ عدوك يردون عليّ ظماء مقمحين)[١].

وأخرج الحاكم في مستدركه، وابن عساكر في تاريخه، وابن الصباغ المالكي في فصوله، أنّ رسول الله ﷺ قال: (أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنّة عدن وسائر ذلك في سائر الجنّة)[٢].

وعن الطبراني في الكبير، والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن حجر في الصواعق، وسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: (يا عليّ إنّ أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا)[٣].

وروى ابن عساكر في تاريخه أنّ رسول الله ﷺ قال: (يا عليّ إذا كان يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم لباسهم النور على نجائب من نور أزمّتها يواقيت حمر تزفهم الملائكة إلى المحشر. فقال عليّ: تبارك الله ما أكرم هؤلاء على الله. قال رسول الله ﷺ: يا عليّ هم أهل ولايتك وشيعتك ومحبوك، يحبّونك بحبّي ويحبّوني بحبّ الله، هم الفائزون يوم القيامة)[٤].

---

(١) المعجم الكبير ١: ٣١٩، وأنظر مجمع الزوائد ٩: ١٣١، النهاية لابن الأثير ٤: ١٠٦ مادة (قمح)، صحاح الجوهري ١: ٣٩٧، لسان العرب ٢: ٥٦٦ مادة (قمح)، تاج العروس ٢: ٢٠٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٥ وصححه، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٨، الفصول المهمة ١: ١٤٥.

(٣) المعجم الكبير ١: ٣٢٠، ٣: ٤١، وأنظر مجمع الزوائد ٩: ١٣١ يرويه عن الطبراني، الصواعق المحرقة ٢: ٤٦٦، تذكرة الخواص: ٤٧.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٣٢.

وروى ابن عساكر بسنده عن أبي سعيد، والسيوطي في (الدر المنثور)، والبلاذري في (أنساب الأشراف)، والخوارزمي في (المناقب) أنّ النبيّ ﷺ نظر إلى عليّ عليه السلام فقال: (هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة)[١].

وقفة للتأمل مع ابن حجر!

قال ابن حجر في كتابه (الصواعق المحرقة) بعد أن أورد جانباً من هذه الأحاديث المتقدّمة الذكر: ((وشيعته هم أهل السنّة؛ لأنّهم الّذين أحبّوهم -أي: أحبّوا أهل البيت- كما أمر الله ورسوله))[٢].

نقول: إنّ الواقع الّذي يعيشه أهل السنّة في هذه المسألة يضحك الثكلى، ويكشف عن حالة من الازدواجية والارتباك تنبأ عن التخبط وعدم التثبت في الدين!!

فهذه الدعوى لا تستقيم لمدّعيها عرفاً وشرعاً وتكويناً.

فالحبّ بالمعنى العرفي يعني الانجذاب والانشداد إلى طرف ما لا يصح معه - في نفس الوقت - الانجذاب إلى طرف آخر يخالفه ويضادّه، فهذا من الجمع بين الأضداد، والعرف يراه تصرّفاً غير عقلائي وغير سوي.. والمراد بالضدّين هنا محبّة أهل البيت، وفي نفس الوقت محبّة أعدائهم -من الّذين ناصبوهم العداء، وشنّوا الحروب عليهم، وقلّبوا لهم الأمور بغضاً وحقداً.

وأمّا إن فسّرنا الحبّ بالمعنى الشرعي والّذي يعني الاتّباع كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٣]، فالمعنى أوضح من

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٣٣، الدر المنثور ٦: ٣٧٩، أنساب الأشراف: ١٨٢، المناقب: ١١١، ٢٩١.

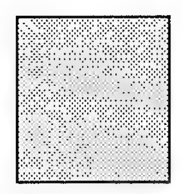
(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١.

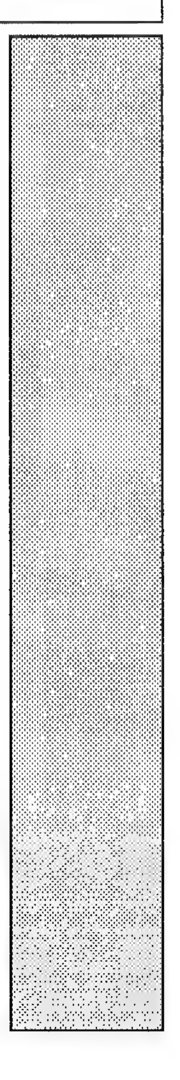
سابقه وأجلى، إذ لا يصح بأيّ حال من الأحوال دعوى اتِّباع أهل البيت عليهم السلام مع الالتزام باتّباع أعدائهم ومناوئيهم، إذ وجوب الاتِّباع - كما هو مفاد الآية الكريمة - يستدعي الانقطاع إلى أهل البيت في فروع الدين وأصوله وسائر علوم الكتاب والسنّة وفنون الأخلاق والسلوك والآداب بخوعاً لإمامتهم وإقراراً بولايتهم، وهذا يعني بلوازمه مجانبة أعدائهم من الّذين جاهروا بعداوتهم وسبّهم ومقاتلتهم، كمعاوية ويزيد ومعظم بني أمية وأتباعهم الّذين توارثوا البغض والعداء لأهل البيت عليهم السلام أباً عن جدّ، فلا يمكن لأحد أن يدّعي التشيّع وهو يحبّ عليّاً ومعاوية في آن واحد، أو يحبّ الحسين ويزيد في آن واحد وفي نفس الوقت يدّعي أو يرفض أن يعادي أيّاً منهما، إنّ هذا في الواقع محض النفاق، ومنتهى التساهل في الدين، بل خلاف الطبع البشري حقيقة، وقد كشف المولى عن استحالة ذلك تكويناً أيضاً بقوله: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[1]، أي: يحبّ بهذا أولياءه ويحبّ بالآخر أعداءهم! وبالطبع لا نريد باستحالة الجمع هنا لمن يعلم بحال أحد الطرفين ويجهل الآخر، وإنّما نريد استحالة الجمع لمن يعلم بحالهما معاً من العداء والمحاربة والتناقض في الدين، ومع هذا يحبّهما معاً، وهي الحالة الّتي كذّبتها الآية المذكورة، لذا ينبغي التأمل في هذا الجانب، ومنه تستطيع أن تعرف مدى المصداقية وعدمها في كلام ابن حجر المتقدّم!

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.



المحور الثاني



▣ الصحابة والتابعين الشيعة

من أجل التعرّف على التاريخ الحقيقي للتشيّع لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الكرام، علينا أن نلاحظ الجانب التطبيقي في الموضوع بعد اطّلاعنا فيما تقدّم على الجانب النظري المتمثّل بالأدلة الواردة عن القرآن والسنة الشريفة في وجوب متابعة الأئمة الطاهرين من آل محمّد عليهم السلام، وذلك بملاحظة مصاديق التشيّع من الصحابة والتابعين الّذين امتثلوا لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي صدح به في يوم الدار عند نزول قوله تعالى في بداية الدعوة الإسلامية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1]، فقد روى الطبري في تاريخه[2]، وابن الأثير في كامله[3]، وعليّ بن برهان الدين الحلبي الشافعي في سيرته[4]، وآخرون غيرهم: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حين أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، وذلك قبل ظهور الإسلام بمكة، دعاهم إلى دار عمّه -أبي طالب- وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب... والحديث في ذلك في صحاح السنن المأثورة، وفي آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟) فأحجم القوم عنها غير عليّ -وكان أصغرهم- إذ قام فقال: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله برقبته

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٦٤ بطرق مختلفة.

(٣) الكامل في التاريخ ٢: ٦٠ أرسله إرسال المسلّمات عند ذكره أمر الله فيه بإظهار دعوته.

(٤) السيرة الحلبية ١: ٤٦١.

وقال: (إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا...) فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع (انتهى)[١].

فمن تأمل هذا الحديث، يجد أنّ النبيّ الأكرم ﷺ طلب من عشيرته الأقربين، بأمر الله تعالى الاعتراف بالتوحيد لله تعالى، ثمّ الاعتراف برسالته، ثمّ أمرهم بالسمع والطاعة لأخيه ووصيّه وخليفته عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذا هو معنى التشيّع لعليّ عليه السلام الّذي نصّ عليه أرباب اللغة والباحثين في الملل والنحل كما تقدّم بيانه.

فالمستفاد من هذا الحديث أنّ بذرة التشيّع لعليّ عليه السلام وضعت مع بذرة الإسلام في يوم واحد وساعة واحدة، فالصحابة الّذين كانوا ممتثلين لجميع ما أمر به الرسول ﷺ كانوا شيعة النبيّ ﷺ وشيعة عليّ عليه السلام في آنٍ واحد، سواء سمّوا بذلك أو لم يسمّوا، وقد سمّي بذلك جماعة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك لما كانوا يتظاهرون به من متابعة عليّ عليه السلام ومطاوعته، منهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار وغيرهم، وقد ذكر ذلك أبو حاتم سهل بن محمّد السجستاني المتوفّى سنة ٢٥٥ هجري في كتابه (الزينة)، الجزء الثالث، باب الألفاظ المتداولة بين أهل العلم، فقال: ((إنّ أوّل اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة، وهم: أبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمّار بن ياسر، إلى أوان صفين، فانتشرت بين موالي عليّ عليه السلام.. وفيهم قال رسول الله ﷺ: (اشتاقت الجنّة إلى أربعة سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار)))[٢].

---

(١) أخرج هذا الحديث بهذه الألفاظ كثير من حفظة الآثار النبوية، كابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في سننه ودلائله، والثعلبي في تفسيره، وأخرجه بهذا المعنى مع تقارب الألفاظ غير واحد من جهابذة الحديث عند أهل السنّة كأحمد بن حنبل في مسنده ١: ١١١ ورجاله رجال الصحيحين.

(٢) الزينة: الورقة ٢٠٥ بواسطة (نشأة الشيعة الإمامية) لنبيلة عبد المنعم داوود: ٦٧. وهي رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدّمة إلى جامعة بغداد، وطبعت لأوّل مرّة في أواخر الستينات من القرن الماضي، ثمّ

وقال محمّد كرد عليّ[١] في كتابه (خطط الشام): ((عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة عليّ في عصر رسول الله ﷺ مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله ﷺ على النصح للمسلمين والائتمام بعليّ بن أبي طالب والموالاة له، ومثل أبي سعيد الخدري الّذي يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة لمّا سئل عن الأربع قال: الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج، قيل: فما الواحدة الّتي تركوها؟ قال: ولاية عليّ بن أبي طالب، قيل له: وإنّها لمفروضة معهنّ قال: نعم، هي مفروضة معهنّ، ومثل أبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذي الشهادتين خزيمة ابن ثابت وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة، وكثير أمثالهم))[٢].

فإذا علمنا ذلك فلنستعرض جانباً من سيرة هؤلاء الأصحاب الّذين عُرفوا بموالاتهم لعليّ عليه السلام، وكانوا المصاديق الأولى في الامتثال للأمر النبوي الّذي صدحت به الحضرة النبوية المطهّرة في أوّل الدعوة والمشار إليه سابقاً، باعتبار قربهم من المؤسس الأوّل للتشيّع ـ النبيّ ﷺ ـ ولما منحه ﷺ لهؤلاء العظماء من أوسمة يستدل بها على جلالة شأنهم وعظيم فضلهم وإيمانهم وحسن عاقبتهم، وبمطالعتنا لسيرة هؤلاء الأبرار من أصحاب رسول الله ﷺ ومواقفهم يمكننا أن نقف على جوانب مهمة في فهم التشيّع، وبما يدحض أراجيف المغرضين وأهدافهم المشبوهة في تشويه

أعيد طبعها بصف جديد من قبل دار المؤرخ العربي.. وللاطلاع على ترجمة أبي حاتم السجستاني أُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢: ٢٦٩.

(١) قال خير الدين الزركلي في (الأعلام): محمّد كرد عليّ: رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه، وصاحب مجلة (المقتبس) والمؤلّفات الكثيرة، وأحد كبار الكتاب، أصله من أكراد السليمانية (من أعمال الموصل)، مولده ووفاته في دمشق، (أُنظر تتمة ترجمته في المصدر المذكور ٦: ٢٠٢).

(٢) خطط الشام ٦: ٢٥١.

هـذا الخـط الأصـيل الّـذي أسـسه رسـول الله ﷺ وسـار عليـه هـؤلاء الـصحابة الأبرار.

نخبة من الصحابة الشيعة

١ـ عمّار بن ياسر

صحابي جليل، بشّره النبيّ ﷺ وأهله بالجنّة، فقال ﷺ في حقّه وحقّ أهله: (أبشروا آل عمّار وآل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة)[1]. وفي رواية: (صبراً يا آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة)[2]، وعن عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (دم عمّار ولحمه حرام على النار أن تطعمه)[3].

وقد حذّر النبيّ ﷺ من سبّه أو معاداته أو تسفيهه وقتله، قال ﷺ: (من يسب عمّاراً يسبّه الله، ومن يعاد عمّاراً يعاده الله)[4]. وفي رواية أخرى: قال النبيّ ﷺ لخالد ابن الوليد: (يا خالد لا تسب عمّاراً فإنّه من يسب عمّاراً يسبّه، الله ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله، ومن يسفّه عمّاراً يسفّهه الله)، قال خالد: استغفر لي يا رسول الله، فوالله ما منعني أن أجيبه إلا تسفيهي إياه، قال خالد: وما من شيء أخوف عندي من تسفيهي عمّار بن ياسر يومئذ[5]. وفي رواية أخرى، قال النبيّ ﷺ: (يا خالد، من يساب عمّاراً

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٣٨، صححه وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٣٢، مجمع الزوائد ٩: ٢٩٣ قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ٢٩٥ قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٣٩ صححه ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك.

(٥) المعجم الكبير ٤: ١١٢، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٧٤، تفسير الطبري ٥: ٢٠٦، تفسير ابن كثير ١: ٥٣٠، تفسير السيوطي ٢: ١٧٦.

يسبه الله، ومن يعاد عمّاراً يعاده الله، ومن يحقّر عمّاراً يحقّره الله)، ولهذه الرواية إسنادان صححهما الذهبي[١].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله محذّراً من قتله وسلبه: (قاتل عمّار وسالبه في النار)[٢]. ثمّ جاء في أحاديث أخرى عن النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ عمّاراً هو من الدعاة إلى الله، وإلى الجنّة، وأنّ قَتَلته ومحاربيه دعاة إلى النار والباطل، قال صلى الله عليه وآله: (ويح عمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار)[٣]، وفي رواية ثانية، قال صلى الله عليه وآله: (ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار)[٤].

وهذا الحديث الشريف واضح الدلالة وتام البيّنة على حسن سيرة عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) وعلى حسن عاقبته، وكونه علم الهداية والدليل عليها فيما لو اشتبهت المسالك بين أهل البغي وغيرهم، فتدبّر ذلك واحفظه جيّداً!

وقد بيّن النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً: بأنّ عمّاراً يختار الصواب والحقّ دائماً، بل الأرشد والأحق حتّى في دائرة الصواب، أي: أنّ كلّ تصرّفاته ممدوحة ومحبوبة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: (ابن سمية ما عُرض عليه أمران قط إلا أخذ بالأرشد منهما)[٥]، وقال صلى الله عليه وآله: (ما خيّر عمّار بين أمرين إلا اختار أرشدها)[٦].

---

(١) تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك ٣: ٤٣٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٣٧ صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري ١: ١١٥.

(٤) صحيح البخاري ٣: ٢٠٧.

(٥) مسند أحمد ١: ٣٨٩، ٤٤٥٨، المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٣٨ صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٣٣٢، الجامع الصغير ٢: ٤٩٥ يرويه عن الترمذي والحاكم عن عائشة، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٥: ٥٦٧ قال المناوي: ورواه عنها أيضاً ابن منيع والديلمي ورواه أحمد عن ابن مسعود.

وعن ابن مسعود: قال النبيّ ﷺ: (إذا اختلف الناس فابن سمية مع الحقّ)[١]، وابن سمية هو عمّار.

وعن حبة العرني قال: ((دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن فقال: دوروا مع كتاب الله حيث ما دار، وانظروا الفئة الّتي فيها ابن سمية فاتّبعوها فإنّه يدور مع كتاب الله حيث ما دار قال: فقلنا له: ومَن ابن سمية؟ قال: عمّار، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: (لن تموت حتّى تقتلك الفئة الباغية تشرب شربة ضياح تكن آخر رزقك من الدنيا)))[٢].

وجاء في صحيح البخاري: ((عن علقمة قال: قدمت الشام قالوا: أبو الدرداء قال: أفيكم الّذي أجاره الله من الشيطان على لسان النبيّ ﷺ.

قال البخاري: حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا شعبة عن مغيرة وقال: الّذي أجاره الله على لسان نبيّه ﷺ يعني عمّاراً))[٣].

وعن عمّار نفسه قال في يوم صفين: ((والّذي نفسي بيده لو ضربونا حتّى بلغوا بنا سعفات هجر لعرفنا أنّ مصلحنا على الحقّ وأنّهم على الضلالة))[٤]. وفي رواية: ((والله لو قاتلوا حتّى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنّ صاحبنا على الحقّ وهم على الباطل))[٥].

وعن عائشة قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا لو شئت لقلت فيه ما خلا عمّاراً فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مُلئ إيماناً إلى مشاشه)[٦].

---

(١) المعجم الكبير ١: ٩٦، تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٤٠٣، ٤٠٦، سير أعلام النبلاء ١: ٤١٦، البداية والنهاية ٦: ٢٣٩، ٧: ٣٠٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣: ٤٤٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري ٤: ٩٤.

(٤) مجمع الزوائد ٧: ٢٤٣ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة وهو ثقة.

(٥) مجمع الزوائد ٧: ٢٤٣ وقال: رواه الطبراني ورجاله الثقات.

(٦) مجمع الزوائد ٩: ٢٩٥، قال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وعن عمرو بن العاص، وهو ممّن حارب عمّاراً في صفين وحرّض على قتله، قال: ((إنّي لأرجو أن لا يكون النبيّ ﷺ مات يوم مات وهو يحبّ رجلاً أن يدخل النار أبداً. قالوا: إنّا كنّا نراه يحبّك، ويستعين بك ويستعملك فقال: والله أعلم بحبّي ولكن كفى به وكنّا نراه يحبّ رجلاً. قالوا: ومن ذاك؟ قال: عمّار بن ياسر. قالوا: فذاك قتيلكم يوم صفين))(١).

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب عن الأعمش عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي رضي الله عنه بصفّين، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفّين إلا رأيت أصحاب محمّد ﷺ يتّبعونه كأنّه علم لهم، وسمعت عماراً يقول يومئذ لهاشم بن عقبة: يا هاشم تقدّم، الجنّة تحت الأبارقة، اليوم ألقى الأحبّة، محمّداً وحزبه...(٢).

وسنختم كلامنا عن عمّار بن ياسر المعروف بولائه وانقطاعه إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بهذه الرواية الواردة عن حذيفة، وحذيفة هو حافظ سرّ رسول الله ﷺ في المنافقين، ولكلامه معنى ومغزى أدق من غيره.

((عن سيار بن أبي الحكم قال: قالت بنو عبس لحذيفة: إنّ أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال: آمركم أن تلزموا عمّاراً. قالوا: إنّ عمّاراً لا يفارق عليّاً. قال: إنّ الحسد هو أهلك الجسد، وإنّما ينفّركم من عمّار قربه من عليّ! فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وأنّ عمّاراً لمن الأحباب، وهو يعلم أنّهم إن لزموا عمّاراً كانوا مع عليّ))(٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٤٢ وصححه، فضائل الصحابة للنسائي: ٥١، مجمع الزوائد ٩: ٢٩٤ قال: ((رواه الطبراني في الأوسط والكبير وزاد فيه: قالوا ذاك قتيلكم يوم صفين قال قد والله قتلناه...ورجال أحمد رجال الصحيح)) (انتهى).

(٢) الاستيعاب ٣: ١١٣٨ ، أسد الغابة ٤: ٤٦، المجموع شرح المهذّب ١٩: ١٦٢.

(٣) مجمع الزوائد ٧: ٢٤٣ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وبهذه الرواية نكتفي عن ذكر بقية الأحاديث الواردة في فضل عمّار بن ياسر ومكانته.

وقد اتّضح - بلحاظ ما تقدّم - أنّ رسول الله ﷺ لم يكتف ببياناته الخاصّة في وجوب موالاة عليّ عليه السلام واتباعه - الّتي تقدّم ذكرها، وإنّما نصب - مضافاً إلى ذلك - أعلام هداية من أصحابه البررة، منحهم أوسمة لا يرقى إليها الشك، ليُقتدى بهم في وجوب متابعة عليّ عليه السلام والاهتداء بهديه من بعده دون الناس كلّهم، فكان منهم، بل من أبرزهم عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه)، وبهذا المعنى، أي: كونه (رضوان الله عليه) داعية الهداية والحق، عرفه أصحاب رسول الله ﷺ كما تقدّم بيانه.

ولم يكن عمّار في سلوكه هذا الّذي عُرف به، وصدح به أصحاب رسول الله ﷺ في حقّه، يتعدّى ما أرشده إليه النبيّ ﷺ حين قال له: (يا عمّار إذا رأيت عليّاً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع عليّ ودع الناس، فإنّه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من هدى)[1] .. فتدبّر.

وهذا الواقع الّذي أرشد إليه النبيّ ﷺ وسار عليه هذا الصحابي الجليل (رضوان الله عليه) هادياً مهدياً إلى آخر يوم من حياته، هو نفسه الّذي يسير عليه الموالون لعليّ عليه السلام إلى يوم الناس هذا، فهم لا يختلفون فيه عن عمّار قيد أنمُلة حين يتمسّكون بالثقلين ـ القرآن وعلي عليه السلام (إذ كان عليه السلام هو سيّد العترة في زمانه) -، وهو يثبت أنّ التشيّع - الّذي يعني التمسّك بالكتاب والعترة - إنّما بذر بذوره الأولى النبيّ ﷺ منذ فجر الإسلام، وقد كان من مصاديقه عظماء الصحابة وأتقيائهم، وهو ليس أمراً طارئاً أو عارضاً كما يحاول المتنطعون أن يُظهروه للناس ليحرفوهم عن عقائدهم ودينهم الأصيل.. فليتّق المسلم ربّه، ولينفع العاقل نفسه!

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٥: ٣٨٤، تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧٢.

٢ ـ أبو ذر الغفاري

صحابي كبير، وزاهد من الطراز الأوّل، اختصّ بالنبيّ ﷺ وأهل بيته الطاهرين، خاف الناس على دينه وخافوه على دنياهم. أخبره رسول الله ﷺ بمحنته والتضييق عليه، وأنّه سيعيش بعده وحيداً، ويموت وحيداً، ويبعث وحيداً، وذلك بسبب مواقفه الّتي يتميّز بها في مواجهة الظلم والظالمين.

قال النبيّ ﷺ عنه: (يرحم الله أباذر يمشي وحده، يموت وحده، ويبعث وحده)[١]، وقال ﷺ: (ما تقل الغبراء ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم)[٢].

وهو أوّل من حيّا النبيّ ﷺ بتحية الإسلام فردّ عليه النبيّ ﷺ بها، وفي ذلك روى مسلم في صحيحه، والبيهقي في السنن، والبخاري في الأدب المفرد وغيرهم عن طريق أبي ذر نفسه قال: ((كنت أوّل من حيّاه ﷺ بتحية الإسلام فقلت: السلام عليك يا رسول الله فقال: وعليك ورحمة الله))[٣].

وهو بعد هذا أيضاً أحد أربعة أمر الله رسوله ﷺ بحبّهم، كما يروي ذلك الترمذي في الصحيح، وابن ماجة في السنن، والحاكم في المستدرك عن بريدة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (إنّ الله ﷻ أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنّه يحبّهم: عليّ وأبوذر والمقداد وسلمان)[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢: ٥٦، البداية والنهاية ٥: ١٢، كنز العمال ١١: ٦٦٨ يرويه عن الحاكم وابن عساكر.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ٣٨٥، والذهبي في ذيل المستدرك في نفس الصفحة، وصرّح كلّ منهما بصحته على شرط مسلم.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٥٤، السنن الكبرى ٥: ١٤٧، الأدب المفرد: ٢٢٢.

(٤) صحيح الترمذي ٥: ٢٩٩، سنن ابن ماجة ١: ٥٣، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤١ وصححه.

وأبو ذر أيضاً ثالث ثلاثة تشتاق إليهم الجنّة، أخرج البزار من طريق أنس بن مالك مرفوعاً: (الجنّة تشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وأبي ذر)[١].

إلا أنّ هذا الرجل الصالح قد ابتلي بعد رسول الله ﷺ بأُمراء يستأثرون بالفيء، ويتخذون مال الله دولاً، وعباده خولاً، فانتفض بوجههم ولم تأخذه في الله لومة لائم حتّى نفوه إلى الربذة فمات فيها[٢]، وكان النبيّ ﷺ قد أخبره بكلّ ما سيجري عليه.

أخرج أحمد في المسند، وأبو داود في السنن، أنّ النبيّ ﷺ قال لأبي ذر: (كيف أنت وأئمّة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟) قال: قلت: إذاً والّذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي ثمّ أضرب به حتّى ألقاك أو ألحق بك. قال: (أولا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ تصبر حتّى تلقاني)[٣].

ومن طريق أبي السليل يروي أحمد في مسنده من حديث عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ قال: (يا أباذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟) قال: قلت: إلى السعة والدعة أنطلق حتّى أكون حمامة من حمام مكة. قال: (كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟) قال: قلت إلى السعة والدعة من الشام والأرض المقدّسة. قال: (وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟) قال: إذاً والّذي بعثك بالحقّ أضع سيفي على عاتقي. قال: (أو خير من ذلك؟) قال: قلت: أو خير من ذلك؟ قال: (تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً)[٤].

وقد جرى على أبيَ ذر -الصابر الزاهد- جميع ما أخبره به النبيّ ﷺ.

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ٣٣٠ قال الهيثمي: إسناده حسن.

(٢) قال الحموي في (معجم البلدان)، مادة (ربذ): الربذة، بفتح أوله وثانيه وذال معجمة مفتوحة، من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبها قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (انتهى)

(٣) مسند أحمد ٥: ١٨٠ يرويه بطريقين وكلاهما صحيحان، سنن أبي داود ٢: ٢٤٧.

(٤) مسند أحمد ٥: ١٧٩، بسند رجاله كلّهم ثقات.

روى البلاذري في (أنساب الأشراف): «لمّا أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشّر الكانزين بعذاب أليم، ويتلو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر ناتلاً مولاه أن انته عمّا يبلغني عنك، فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله؟ فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضاه. فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وكفّ، وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر اقضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذر: يابن اليهوديين أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي! إلحق بمكتبك، وكان مكتبه بالشام إلا أنّه كان يقدم حاجّاً ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فيأذن له في ذلك، وإنّما صار مكتبه بالشام؛ لأنّه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعاً: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إذا بلغ البناء سلعاً فالهرب) فأذن لي آتي الشام فأغزو هناك فأذن له، وكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار، فقال: إن كانت من عطائي الّذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلةً فلا حاجة لي فيها، وبعث إليه حبيب بن مسلم الفهري بمائتي دينار فقال: أما وجدت أهون عليك منّي حين تبعث إليّ بمال؟ وردّها.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية. وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، والله إنّي لأرى حقّاً يُطفأ، وباطلاً يحيى، وصادقاً يكذّب، وأثرةً بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه. فقال

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٤.

حبيب بن مسلمة لمعاوية: إنّ أبا ذر مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة. فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد، فاحمل جندباً إليَّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجّه معاوية من سار به الليل والنهار، فلمّا قدم أبو ذر المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرّب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان: إلحق بأيّ أرض شئت. فقال بمكة. فقال: لا. قال: فبيت المقدس. قال: لا. قال فبأحد المصرين. قال: لا، ولكنّي مسيّرك إلى الربذة. فسيّره إليها فلم يزل بها حتّى مات))[1].

وفي رواية المسعودي: ((...فقال له عثمان: وار عنّي وجهك. فقال: أسير إلى مكة. قال لا والله. قال: فتمنعني من بيت ربّي أعبده فيه حتّى أموت؟ قال: أي والله. قال: فإلى الشام. قال: لا والله. قال: البصرة. قال: لا والله فاختر غير هذه البلدان. قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيّرني حيث شئت من البلاد. قال: فإنّي مسيرك إلى الربذة. قال: الله أكبر صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ. قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأنّي أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز. وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل: ابنته، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الربذة. فلمّا طلع عن المدينة ومروان يسيّره عنها، إذ طلع عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا عليّ إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أباذر في مسيره ويشيّعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه عليّ بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أذني راحلته وقال: (تنحّ نحّاك الله إلى النار) ومضى مع أبي ذر

(١) أنساب الأشراف ٦: ٢٤٣٤، ٢٤٣٥.

فشيّعه ثمّ ودّعه وانصرف. فلمّا أراد الانصراف بكى أبو ذر وقال: رحمكم الله أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله))[١].

وفي رواية اليعقوبي: ((..فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج عليّ والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر ينظرون، فلمّا رأى أبو ذر عليّاً قام إليه فقبّل يده ثمّ بكى وقال: إنّي إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتّى أبكي. فذهب عليّ يكلّمه، فقال مروان: إنّ أمير المؤمنين قد نهى أن يكلّمه أحد. فرفع عليّ السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: (تنحّ نحّاك الله إلى النار). ثمّ شيّعه وكلّمه بكلام يطول شرحه))[٢].

وأمّا الكلمات الّتي كلّم أمير المؤمنين عليه السلام أبا ذر (رضوان الله عليه) فهي: (يا أبا ذر، إنّك غضبت لله فارج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عمّا منعوك. وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً. ولو أنّ السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا ثمّ اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، ولا يؤنسنّك إلا الحقّ، ولا يوحشنّك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأمنّوك)[٣].

ولم يكن من شيء يثير عثمان وبنو أمية من هذا الصحابي الجليل، خريج المدرسة المحمّدية الأصيلة، سوى أمرين: الأوّل: طعنه عليهم لاستئثارهم بفيء المسلمين. الثاني: جهره بذكر فضائل العترة الطاهرة على مرأى ومسمع من الناس وبالخصوص على مرأى ومسمع التيار الأموي المبغض لها.

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٢.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٢، ١٣، وهناك كلمات تكلّم بها الحسن والحسين عليهما السلام وعقيل وعمّار (رضوان الله عليهما) نقلها ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ٨: ٢٥٣.

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج عن الواقدي: ((أنّ أبا ذر لمّا دخل على عثمان، قال له: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب! فقال أبو ذر: أنا جنيدب وسمّاني رسول الله (صلّى الله عليه) عبد الله، فاخترت اسم رسول الله الّذي سمّاني به على اسمي. فقال عثمان: أنت الّذي تزعم أنّا نقول: إنّ يد الله مغلولة، وإنّ الله فقير ونحن أغنياء! فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده، ولكنّي أشهد لسمعت رسول الله (صلّى الله عليه) يقول: (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دخلا)[1]. فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبيّ الله؟ فقالوا: ما سمعناه. فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر! أتكذب على رسول الله؟! فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنون أنّي صدقت؟! قالوا: لا والله ما ندري. فقال عثمان: ادعوا لي عليّاً، فدعي، فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذر: أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، فحدّثه، فقال عثمان لعليّ: هل سمعت هذا من رسول الله (صلّى الله عليه)؟ فقال عليّ عليه السلام: (لا، وقد صدق أبو ذر). قال عثمان: بم عرفت صدقه؟ قال: لأنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه) يقول: (ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر).

فقال جميع من حضر من أصحاب النبيّ (صلّى الله عليه): لقد صدق أبو ذر. فقال أبو ذر: ((أحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله (صلّى الله عليه) ثمّ تتهمونني! ما كنت أظن أنّي أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله!))[2].

وعن اليعقوبي في تاريخه قال: ((بلغ عثمان أنّ أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ويجمع إليه الناس فيحدّث بما فيه الطعن عليه، وأنّه وقف بباب المسجد فقال:

---

(١) دولا: أي يتداوله الأغنياء بينهم كما كان في الجاهلية، خولاً: أي خدماً وعبيداً، دخلاً: أي يدخلون في الدين ما ليس منه.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣: ٥٦، وقد رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ٥٢٧ مختصراً وصححه، ووافقه الذهبي عليه على شرط مسلم.

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] محمّد الصفوة من نوح، فالأوّل من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمّد، إنّه شرف شريفهم واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونة أضاء زيتها وبورك زبدها، ومحمّد وارث علم آدم وما فضّلت به النبيّون. وعليّ بن أبي طالب وصي محمّد، ووارث علمه. أيّتها الأمّة المتحيّرة بعد نبيّها أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله))[٢].

وروى الطبراني عن حنش بن المعتمر قال: ((رأيت أبا ذر الغفاري آخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ قال: (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطة في بني إسرائيل)))[٣].

فالولاء لأهل بيت النبوّة عليهم السلام والانقطاع إليهم بعد رسول الله ﷺ أمر ظاهر من سيرة أبي ذر رضي الله عنه، وأيضاً كان رضي الله عنه من المناهضين لبيعة السقيفة الّتي أسست لحكم الخلفاء الّذين حكموا بعد رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) سورة البقرة: الآيتين ٣٣، ٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧١.

(٣) المعجم الكبير ٣: ٤٦، تفسير ابن كثير ٤: ١٢٣.

(٤) تخلّف عن بيعة أبي بكر جماعة من كبار الصحابة أمثال: أبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمّار بن ياسر، وخالد بن سعيد العاص الأموي، وبريد الأسلمي، وأبي بن كعب، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي الهيثم بن =

وهذا كلّه، أي: الولاء لأهل البيت عليهم السلام مع مناهضة حكومة الخلفاء دليل واضح على تشيّع الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه وتمسّكه بالثقلين الكتاب والعترة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما لا يخفى على المتدبر.

٣ ـ المقداد بن الأسود الكندي

وهذا الصحابي الجليل ركن من أركان التشيّع في أوّل الإسلام، وفاضل من فضلاء الصحابة، وهو أحد النجباء الكبار، قال أبو عمر في (الاستيعاب): ((كان – أي: المقداد – من الفضلاء النجباء الكبار الخيار))[(١)].

هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلّها، أوّل من حارب فارساً في الإسلام، كان فارساً يوم بدر، ولم يثبت أنّه كان فيها على فرس غيره.

والمقداد أيضاً هو أحد السبعة الّذين أظهروا الإسلام، وأحد النجباء الأربعة عشر وزراء رسول الله صلى الله عليه وآله ورفقائه. وقد سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله: (أوّاباً) كما في حديث أخرجه أبو عمر في (الاستيعاب)[(٢)].

وهو أيضاً أحد أربعة من الصحابة الّذين يحبّهم الله وقد أمر رسوله صلى الله عليه وآله بحبّهم، كما في الحديث الّذي أخرجه الترمذي في السنن، وأحمد في المسند، وابن

التيهان، وسعد بن عبادة، وقيس بن سعد، والزبير، وزيد بن ارقم، إضافة لأمير المؤمنين عليه السلام وبني= = هاشم كلّهم، أُنظر: المختصر في أخبار البشر ١: ٢١٩، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤، أنساب الأشراف ٣: ٢٧١، ٢٧٢، العقد الفريد ٥: ١٣، تاريخ الطبري ٣: ٢٠٨، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥، ٣٣١، السيرة الحلبية ٣: ٣٥٦، أسد الغابة ٣: ٢٢٢، مروج الذهب ٢: ٣٠١.

(١) الاستيعاب ٤:١٤٨١، عمدة القاري ١١٧:١٧، ٨٥:٢٠

(٢) الاستيعاب ٤: ١٤٨٢، وأُنظر تهذيب التهذيب ١٠: ٢٥٤، الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ١٦٠، تهذيب الكمال ٢٨: ٤٥٣.

حجر في (الإصابة): (إنّ الله أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنّه يحبّهم: عليّ، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان)[١].

وأيضاً المقداد بن الأسود الكندي هو ممّن تشتاق إليه الجنّة، كما جاء في الحديث الّذي أخرجه أبو نعيم في الحلية: قال النبيّ ﷺ: (إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة: عليّ، وعمّار، وسلمان، والمقداد)[٢].

ولا يخفى على أهل التتبع والتحقيق أنّ الثلاثة المذكورين في هذا الحديث والحديث السابق أيضاً هم ممّن عُرفوا بتشيّعهم وولائهم المطلق لأمير المؤمنين عليه السلام وانقطاعهم إليه بعد رسول الله ﷺ. فهم جميعاً ممّن تخلّف عن بيعة أبي بكر، وقالوا في محاجّته كلاماً ذكره أرباب السير ومدوّني التاريخ.[٣]

وأيضاً كان للمقداد موقف آخر في أيام بيعة عثمان، ذكره ابن عبد ربه في (العقد الفريد)، قال: ((قال عمّار بن ياسر (لعبد الرحمن بن عوف): إنْ أردت أن لا يختلف المسلمون، فبايع عليّاً؟ فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار، إن بايعت عليّاً قلنا: سمعنا وأطعنا...

وبعد أن بايع عبد الرحمن عثمان، قال المقداد لعبد الرحمن: أما والله لقد تركته - يقصد عليّاً - من الّذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد! والله لقد اجتهدت للمسلمين، قال: لئن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين. ثمّ قال المقداد: ما رأيت مثل ما أُوتي أهل هذا البيت بعد نبيّهم، إنّي لأعجب من قريش

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٢٩٩، مسند أحمد ٥: ٣٥٦، الإصابة ٦: ١٦١، سنن ابن ماجة ١: ٥٣

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣٣٢، حلية الأولياء ١: ١٤٢، المعجم الكبير ٦: ٢١٥، تاريخ مدينة دمشق ٦٠: ١٧٦.

(٣) أُنظر من تخلّف عن بيعة أبي بكر فيما تقدّم من المصادر.

أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم منه، ولا أقضى بالعدل، ولا أعرف بالحقّ، أما والله لو أجد أعواناً))[١].

وهذه شهادة من المقداد بمظلومية أهل البيت عليهم السلام، وبأنّهم أهل الحقّ، وهذا المعنى الّذي تحدّث به هذا الصحابي الجليل هو نفسه الّذي تعتقده الشيعة الإمامية ولا تختلف فيه مع المقداد بحرف واحد، والكلام المشروط للمقداد مع عبد الرحمن ابن عوف بقوله: ((لئن كنت .. فأثابك الله))، لم يكن منه إلا لعلمه بنوايا القوم اتّجاه علي عليه السلام لذا علّق الإثابة على النية الصادقة من ابن عوف، وهي لم تكن كذلك، ويشهد لهذا استجابة دعاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحقّه هو وعثمان حين قال له بعد دعوته السابقة التي جابهه بها كما جابه المقداد من قبل فقال عليه السلام له: (إنّما أثرته بها لتنالها بعده، دقّ الله بينكما عطر منشم)[٢].

فاستجاب الله سبحانه لدعاء أمير المؤمنين عليه السلام ففسد بعد ذلك ما بين عثمان وعبد الرحمن، فلم يكلّم أحدهما صاحبه حتّى مات عبد الرحمن، وفي هذا يروي أحمد بن حنبل في مسنده: عن عاصم، عن شفيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه؟

فقال له عبد الرحمن: أبلغه أنّي لم أفرّ يوم حنين ـ قال عاصم: يقول أُحد ـ ولم أتخلّف يوم بدر، ولم أترك سُنّة عمر رضي الله عنه[٣]. انتهى

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣٢ في حديث بيعة عثمان، وأُنظر أيضاً: الكامل في التاريخ ٣: ٢٩، ٣٠، وذكر نحوه الطبري في تاريخه ٥: ٣٧.

(٢) السقيفة وفدك: ٨٩، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ١٨٨، ومنشم، بكسر الشين: اسم امرأة كانت بمكة عطارة، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، فكان يقال: أشأم من عطر منشم، فصار مثلا. صحاح الجوهري ٥: ٢٠٤١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ٦٨. وانظر: مجمع الزوائد ٧: ٢٢٦، قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني باختصار، والبزار بطوله بنحوه، وفيه: عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث، وبقيّة رجاله ثقات.

٤ ـ سلمان الفارسي

صحابي عظيم، جليل القدر، عُرف بتشيّعه لأمير المؤمنين عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحاله أعظم وأشهر من أن يخفى، كما أنّ لإسلامه قصة ذكرها المحدّثون في كتبهم كأحمد بن حنبل في مسنده تكشف عن علمه المسبق بظهور النبيّ صلى الله عليه وآله وبعلاماته الدالة عليه(١)، وكفاه فخراً أن يجتبيه النبيّ صلى الله عليه وآله وينسبه إليه بقوله صلى الله عليه وآله: (سلمان المحمّدي)، أو (سلمان منّا أهل البيت)(٢).

وأيضاً كفاه فخراً أن يكون أحد أربعة يحبّهم الله، وقد أمر رسوله صلى الله عليه وآله بحبّهم(٣)، وأيضاً أنّه ثالث ثلاثة أخبر جبرئيل النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ الجنّة تشتاق إليهم(٤).

وسلمان (رضوان الله عليه) بعد هذا من أهل العلم، وأحد المراجع الّذين يرجع إليه الصحابة، فقد روى أحمد والترمذي والنسائي والطبراني وغيرهم عن معاذ بن جبل لمّا حضرته الوفاة قال: التمسوا العلم عند أربعة رهط...وعدّ منهم سلمان الفارسي(٥).

وهذا الصحابي الكبير - كما هو معروف عنه - كان ممّن اختص بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وانقطع إليه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى قيل له: ما أشدّ حبّك لعليّ؟! فقال سلمان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (من أحبّ عليّاً فقد أحبني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني)(٦).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٥٤، ٤٣٨، وأُنظر المصنف للصنعاني ٨: ٤١٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ٦٩١، المعجم الكبير ٦: ٢١٣، الجامع الصغير ٢: ٥٣، قاموس الرجال ٤: ٤١٥.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٢٩٩، مسند أحمد ٥: ٣٥٦، سنن ابن ماجة ١: ٥٣.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٣٣٢، حلية الأولياء ١: ١٤٢، مجمع الزوائد ٩: ٣٠٧، ٣٤٤، المعجم الكبير ٦: ٢١٥.

(٥) مسند أحمد ٥: ٢٣٤، سنن الترمذي ٥: ٣٣٦، سنن النسائي ٥: ٧٠، المعجم الكبير ٩: ٩٥.

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣: ١٤١ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وهذه المودّة بين سلمان وأهل البيت عليهم السلام قد اشتهرت حتّى جاء ذكرها على لسان الشعراء في أشعارهم، ومن ذلك يقول أبو فراس الحمداني:

كانت مودّة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

وأيضاً لظهور اختصاصه بأمير المؤمنين عليه السلام وقربه منه، كان عليه السلام يُسأل عنه.

روى ابن عساكر عن زاذان بن عمر قال: ((كنت عند عليّ فوافقنا منه طيب نفس، فقلنا: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن أصحابك؟ قال: عن أيّ أصحابي تسألوني كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابي؟ قلنا: أصحابك الّذين رأيناك تلطفهم. قال: أيّهم؟ قالوا: سلمان. قال: ذاك عَلم العِلم (الأوّل)، وعلم الآخر، وقرأ كتاب الأوّل وكتاب الآخر))[1].

وفي رواية ابن سعد: ((سئل عليّ عن سلمان، فقال: (ذاك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم عَلم العلم الأوّل والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأوّل والكتاب الآخر، وكان بحراً لا ينزف)))[2].

وفي يوم السقيفة كان سلمان (رضوان الله عليه) ممّن أخذ جانب عليّ عليه السلام ولم يبايع لأبي بكر، وكان له في ذلك اليوم كلاماً ذكره الجوهري في كتابه (السقيفة وفدك) حيث روي: ((عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قال سلمان يومئذٍ: أصبتم ذا السن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيّكم، لو جعلتموها فيهم لما اختلف عليكم اثنان، ولأكلتموها رغداً))[3].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٤٢١.

(٢) الطبقات الكبرى ٤: ٨٥

(٣) السقيفة وفدك: ٤٩.

وفي رواية ابن أبي شيبة: ((حدّثنا هشيم عن العوام بن إبراهيم التيمي قال: لمّا بويع أبو بكر قال: قال سلمان: أخطأتم وأصبتم، أما لو جعلتموها في أهل بيت نبيّكم لأكلتموها رغداً))[١].

وعن البلاذري: ((أنّه قال بالفارسية: (كرداذ وناكرداذ)، أي: عملتم، وما عملتم، لو بايعوا عليّاً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم))[٢].

وقد وردت عن طريق سلمان (المحمّدي) أحاديث عديدة رواها المحدّثون في حقّ أهل البيت عليهم السلام جاء فيها بيان منزلة وحقّ أمير المؤمنين عليه السلام وأنّه الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، نذكر منها مارواه الطبراني في الكبير عنه أنّه قال: ((أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ وقال: (إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمّة يفرّق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين)))[٣].

وقد روى هذا الحديث ابن عبد البر في (الاستيعاب) بسنده عن أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه أوّل من يراني، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، هو الصدّيق

---

(١) المصنف ٨: ٥٨٦.

(٢) أنساب الأشراف ٢: ٧٧٦.

(٣) المعجم الكبير ٦: ٢٩٦، تاريخ دمشق ٤٢: ٤٢، در السحابة: ٢٠٥ بلفظ: هذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين، قال الشوكاني: أخرجه الطبراني في الكبير بإسناد رجاله ثقات (انتهى)... واليعسوب: ملك النحل، ومنه قيل للسيّد يعسوب قومه (الصحاح للجوهري ١: ١٨١)... وهذا الحديث له شاهد من قول عليّ عليه السلام رواه ابن ماجة في السنن ١: ٤٤، ٤٩ جاء فيه: أنا عبد الله وأخو رسوله صلى الله عليه وآله، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذّاب، صلّيت قبل الناس لسبع سنين، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات (انتهى).

الأكبر، وهو فاروق هذه الأمّة يفرّق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين))[١].

وعن سلمان أيضاً: ((قال رسول الله ﷺ: (إنّ وصيي وموضع سرّي، وخير من أترك بعدي، ينجز عدتي، ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب)))[٢].

٥ ـ حذيفة بن اليمان

صحابي جليل من نجباء أصحاب النبيّ ﷺ، وركن آخر من أركان التشيّع في فجر الإسلام، شهد أحد وباقي المشاهد، وقد منعه من شهود بدر أنّ كفار قريش تربّصوا به وبأبيه عند خروجهما إلى النبيّ ﷺ، وقالوا لهما: إنّكم تريدون محمّداً، فقالا: ما نريده، إنّما نريد المدينة، فأخذوا عليهما عهد الله وميثاقه ليصيرنّ إلى المدينة ولا يقاتلا مع النبيّ ﷺ، فلمّا جاوزاهم أتيا النبيّ ﷺ وذكرا له ما قاله كفّار قريش وما قالاه لهما فقال ﷺ: (نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم)، فانطلقا إلى المدينة ولم يشهدا بدراً[٣].

وحذيفة بعد هذا، صاحب سرّ رسول الله ﷺ في المنافقين أعلمه رسول الله ﷺ بأحوالهم وأسمائهم[٤]. وقد دعا له رسول الله ﷺ ولأُمّه بالمغفرة[٥]. وقال ﷺ: (ما حدّثكم حذيفة فصدّقوه)[٦].

---

(١) الاستيعاب ٤: ١٧٤٤.

(٢) المعجم الكبير ٦: ٢٢١، كنز العمال ١١: ٦١٠، شواهد التنزيل ١: ١٠٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٢٢.

(٤) أنظر صحيح البخاري ٤: ٢١٥ باب مناقب عمّار وحذيفة (رضي الله عنهما)، مسند أحمد ٦: ٤٤٩، سير أعلام النبلاء ٢: ٣٦٢.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٢٩.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٣٣٩ وحسّنه، مشكاة المصابيح ٣: ١٧٥٧.

وقد روى عنه مسلم وأحمد قوله: (والله إنّي لأعلم الناس بكلّ فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة)(١).

وكان حذيفة يقول: (والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته)(٢).

وقد كان حذيفة (رضوان الله عليه) بما منّ الله عليه من علم وإيمان، بواسطة رسول الله ﷺ، علامة الهدى وداعيته بين أصحاب رسول الله ﷺ، يقبل عليه مثل عمر بن الخطاب ليسأله: (يا حذيفة بالله أنا من المنافقين)(٣). وكانت تعقد له في مسجد الكوفة حلقة يجتمع فيها الخلق الكثير ليستمعوا إلى حديثه وما يرويه عن رسول الله ﷺ من الأخبار والفتن(٤).

وأمّا مواقفه في موالاة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فهي أشهر من أن تخفى، إذ كان من الّذين لم يبايعوا لأبي بكر يوم السقيفة، وانضم إلى المطالبين بأنّ الخلافة إنّما هي حقّ لعليّ عليه السلام وليس لغيره حقّ فيها، وكان له في ذلك موقف معلوم ذكره الجوهري في كتابه (السقيفة وفدك)(٥).

وأيضاً كان لحذيفة بن اليمان في الدعوة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومتابعته بعد رسول الله ﷺ منهجاً واضحاً يمكن ملاحظته بدون عناء من أحاديثه الّتي رواها أئمّة الحديث في كتبهم.

---

(١) صحيح مسلم ٨: ١٧٢، مسند أحمد ٥: ٣٨٨.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٢٩٩، فتح الباري ١١: ٤٣٤، عون المعبود ١١: ٢٠٦، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٣٣٦.

(٣) مقدّمة فتح الباري: ٤٠٢، وعدّه ابن حجر من الأحاديث الصحيحة.

(٤) مسند أحمد ٥: ٣٨٦، مسند أبي داود الطيالسي: ٥٩، سنن النسائي ٥: ١٧.

(٥) أنظر السقيفة وفدك: ٤٩.

روى الحاكم في مستدركه، والخطيب في (تاريخ بغداد)، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق)، وابن كثير في (البداية والنهاية)، وغيرهم: ((ذكرت الإمارة أو الخلافة عند حذيفة فقال: قال رسول الله ﷺ: (إن تؤمّروا أبا بكر تجدوه ضعيفاً في بدنه قوياً في أمر الله، وإن تؤمّروا عليّاً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم)))[1].

وقد روى هذا الحديث أبو نعيم في الحلية، وليس فيه استخلاف أبي بكر وعمر، ومنه يظهر تحريف يد الأمانة للحديث المذكور!

فقد جاء في الحلية بسند صحيح عن حذيفة قال: ((قال رسول الله ﷺ: (إن تستخلفوا عليّاً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً، يحملكم على المحجّة البيضاء)))[2].

ولهذا الحديث أيضاً شاهد من حديث عليّ عليه السلام يرويه أحمد بن حنبل في مسنده بسند جيد[3].

وأيضاً روى ابن حجر في (فتح الباري)، قال: ((أخرج البزار من طريق زيد بن وهب قال: بينا نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيّكم فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف. قلنا: يا أبا عبد الله فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك؟ قال: أُنظروا إلى الفرقة الّتي تدعو إلى أمر عليّ بن أبي طالب فإنّها على الهدى))[4].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٧٤، تاريخ بغداد ١١: ٤٨، تاريخ دمشق ٤٢: ٤١٩، ٤٢٠، البداية والنهاية ٧: ٣٩٧، كفاية الطالب: ١٦٣ قال الكنجي الشافعي: هذا حديث حسن عال.

(٢) حلية الأولياء ١: ٦٤.

(٣) مسند أحمد ١: ١٠٩، الإصابة ٤: ٤٦٨.

(٤) فتح الباري ١٣: ٤٦، مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦ قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات.

وروى الحاكم في المستدرك عن حبة العرني قال: ((دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن فقال: دوروا مع كتاب الله حيث ما دار، وانظروا الفئة الّتي فيها ابن سمية فاتّبعوها، فإنّه يدور مع كتاب الله حيث ما دار. قال: فقلنا له: ومن ابن سمية؟ قال: عمّار، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: (لن تموت حتّى تقتلك الفئة الباغية تشرب شربة ضياح تكن آخر رزقك من الدنيا)))[١].. ففي هذا الحديث يرشد حذيفة إلى اتّباع الفئة الّتي فيها عمّار بن ياسر، وهي إشارة واضحة إلى اتّباع عليّ عليه السلام، لأنّ عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) كان يلازم أمير المؤمنين عليه السلام ولا يفارقه كما تقدّم بيانه.

وروى الطبراني عن سيار بن أبي الحكم قال: ((قالت بنو عبس لحذيفة: إنّ أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال: آمركم أن تلزموا عمّاراً. قالوا: إنّ عمّاراً لا يفارق عليّاً قال: إنّ الحسد هو أهلك للجسد، وإنّما ينفركم من عمّار قربه من عليّ. فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وأنّ عمّاراً لمن الأحباب. وهو يعلم أنّهم إن لزموا عمّاراً كانوا مع عليّ))[٢].

وصيته الأخيرة

روى الحاكم في المستدرك عن بلال بن يحيى قال: ((لمّا حضر حذيفة الموت وكان قد عاش بعد عثمان أربعين ليلة قال لنا: أوصيكم بتقوى الله والطاعة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب))[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٤٢ وقال: هذا حديث صحيح عال ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) مجمع الزوائد ٧: ٢٣ قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٢٨.

فهل ترى - قارئي الحصيف - أنّ التشيّع الّذي عليه الموالون لأهل البيت عليهم السلام اليوم يختلف في شيء عن الّذي صدح به هذا الصحابي الجليل عند موته؟!

وحذيفة بن اليمان بعد هذا يعدّ من رواة الأحاديث الّتي وردت في فضائل ومناقب العترة الطاهرة، والّتي أبرزها حديث الثقلين (الكتاب والعترة)، وكذلك حديث (الغدير) الّذي ورد فيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه)[١].

وفي حديث يرويه أحمد في مسنده بسند صحيح: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لحذيفة: (...أما رأيت العارض الّذي عرض لي قبيل)، قال: قلت: بلى. قال: (فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة فاستأذن ربّه أن يسلّم عليّ ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة عليهم السلام)[٢].

٦ـ خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين)

صحابي جليل، وأحد السابقين الّذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، شهد بدراً وما بعدها، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته شهادة رجلين[٣]، وكان أيضاً ممّن شهد الجمل وصفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، واستشهد فيها[٤].

وهو القائل يوم بيعة أمير المؤمنين عليه السلام:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا ... أبو حسن ممّا نخاف من الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس أنّه ... أطب قريشاً بالكتاب وبالسنن

---

(١) أنظر رواياته هذه من مصادر أهل السنة في: موسوعة الغدير للعلامة الأميني ١: ٢٧.

(٢) مسند أحمد ٥: ٣٩١، ٣٩٢، ورواه الحاكم في مستدركه ٣: ١٦٤ مختصراً في باب مناقب فاطمة، ونصّ الذهبي على صحته كما في تلخيص المستدرك.

(٣) أنظر تفاصيل الحادثة في: الطبقات الكبرى ٤: ٣٧٩، أسد الغابة ٢: ١١٤، الإصابة ١: ٤٢٥.

(٤) الإصابة ٢: ٢٤٠، ٢٤١.

وإنّ قريشاً ما تشق غباره إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
وفيه الّذي فيهم من الخير كلّه وما فيهم كلّ الّذي فيه من حسن[١]

والقتل يوم الجمل:

أعائش خلي عن عليّ وعيبه بما ليس فيه إنّما أنت والده
وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ماكان من ذاك شاهده(٢)

وكان الخطيب البغدادي قد روى في (موضح أوهام الجمع والتفريق) بسند صحيح عن ابن أبي ليلى قوله: ((كنت بصفين فرأيت رجلاً راكباً متلثّماً قد أخرج لحيته من تحت عمامته، فرأيته يقاتل الناس قتالاً شديداً يميناً وشمالاً، فقلت: يا شيخ تقاتل الناس يميناً وشمالاً؟ فحسر عن عمامته ثمّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قاتل مع عليّ وقاتل)، وأنا خزيمة بن ثابت الأنصاري. قال الخطيب: وليس في الصحابة من اسمه خزيمة واسم أبيه ثابت سوى ذي الشهادتين، والله أعلم))[٣].

شهادته لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الرحبة

وقصّة هذه الشهادة: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بلغه اتّهام الناس له فيما كان يرويه من تقديم رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاه على غيره، ونوزع في خلافته حضر في مجتمع الناس بالرحبة في الكوفة واستنشدهم بحديث الغدير، ردّاً على من نازعه في الخلافة،

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١١٤ قال الحاكم: (هذه الأخبار الواردة في بيعة أمير المؤمنين كلّها صحيحة ومجمع عليها).

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ١٤٥.

(٣) موضح أوهام الجمع والتفريق ١: ٢٦٥.

فقال: (أشهد الله كلّ امرء سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: (من كنت مولاه فعليّ مولاه لما قام، ولا يقوم إلا من سمع رسول الله يقول) فقام بضعة عشر رجلاً فيهم: أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمرة بن عمرو بن محصن، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن ثابت الأنصاري، وحبشي بن جنادة السلولي، وخزيمة بن ثابت، وعبيد بن عازب الأنصاري..وغيرهم، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: (ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من بغضه)[1].

وقد امتثل خزيمة رضي الله عنه لأمر رسول الله ﷺ في هذا الحديث الّذي يروي أنّه شاهد وسمع رسول الله ﷺ يقوله على الملأ من المسلمين، فقد تخلّف عن بيعة أبي بكر شأنه في ذلك شأن كلّ الموالين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وأذخر نفسه للجهاد بين يدي الإمام عليه السلام امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ حين قال له: (قاتل مع عليّ وقاتل).

٧ ـ أبو أيوب الأنصاري

صحابي من عظماء الصحابة، اختار الله داره منزلاً لرسوله ﷺ من بين الأنصار، وحسبه ذلك شرفاً[2]، وهو من البدريين، شهد المغازي كلّها، وقد دعا له رسول الله ﷺ لمّا أخذ شيئاً من الأذى من كريمته الشريفة بقوله: (لا يصيبك السوء يا أبا أيوب)[3].

---

(١) يمكن مراجعة طرق المناشدة هذه وأسانيدها العالية الوثاقة في موسوعة الغدير ١: ١٦٧.

(٢) قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ٢: ٤٠٦: عن ابن عمر، قال: قال أهل المدينة لرسول الله ﷺ: ادخل المدينة راشداً مهدياً، فدخلها، وخرج الناس ينظرون إليه، كلّما مرّ على قوم، قالوا: يا رسول الله ها هنا، فقال: (دعوها، فإنّها مأمورة) يعني الناقة حتّى بركت على باب أبي أيوب (انتهى).

(٣) كنز العمال ١٣: ٦١٤، الإصابة ٢: ٢٠٠.

وقد استجيب دعاءه ﷺ في حقّ أبي أيوب فقد عاش معافى سليماً، صحيح العقيدة، ولا يخفى أنّ دعاءه ﷺ كان يشمل كلّ الأسواء سواء المادية منها والمعنوية كالخلل في العقيدة أو الانحراف عن الطريق المستقيم، وهذه كلّها قد أمِن أبو أيوب شرورها ببركة دعوة النبيّ ﷺ هذه.

قال ابن حجر في (الإصابة): ((أبو أيوب الأنصاري..من السابقين، روى عن النبيّ ﷺ وعن أبي بن كعب..شهد العقبة وبدراً وما بعدها، ونزل عليه النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة فأقام عنده، حتّى بنى بيوته ومسجده، وآخى بينه وبين مصعب بن عمير، وشهد الفتوح، وداوم الغزو، واستخلفه عليّ على المدينة لمّا خرج إلى العراق، ثمّ لحق به بعد وشهد معه قتال الخوارج))[1].

وروى الذهبي: ((عن الأصمعي، عن أبيه: أنّ أبا أيوب قبر مع سور القسطنطينية، وبني عليه، فلمّا أصبحوا، قالت الروم: يا معشر العرب، قد كان لكم الليلة شأن، قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبيّنا، والله لئن نُبش، لأضرب بناقوس في بلاد العرب، فكانوا إذا قحطوا، كشفوا عن قبره، فأمطروا))[2].

ولأبي أيوب (رضوان الله عليه) ـ بعد تخلّفه ومناهضته لبيعة السقيفة ـ مواقف عديدة تشهد بولائه وانقطاعه لأمير المؤمنين عليه السلام، نذكر منها: كلامه بعد خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يحثّ فيها أصحابه على جهاد أهل البغي، إذ قام أبو أيوب وقال: ((إنّ أمير المؤمنين أكرمه الله قد أسمع من كانت له أذن واعية، وقلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقّ قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ رسول

(١) الإصابة ٢: ٢٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢: ٤١٢.

الله صلى الله عليه وآله، وخير المسلمين، وأفضلهم وسيّدهم بعده، يفقّهكم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلين))[١].

وقال ابن مزاحم في كتابه (وقعة صفين): ((عن الأعمش قال: كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري صاحب منزل رسول الله (صلّى الله عليه) وكان سيّداً معظماً من سادات الأنصار، وكان من شيعة عليّ عليه السلام كتاباً[٢] قال ابن مزاحم: وكتب إلى زياد بن سمية -وكان عاملاً لعليّ عليه السلام على بعض فارس - كتاباً، فأمّا كتابه إلى أبي أيوب فكان سطراً واحداً: (لا تنسى شيباء أبا عذرتها، ولا قاتل بكرها)، فلم يدر أبو أيوب ما هو؟ فأتى به عليّاً وقال: يا أمير المؤمنين، إنّ معاوية ابن آكلة الأكباد، وكهف المنافقين، كتب إليّ بكتاب لا أدري ما هو؟ فقال له عليّ: وأين الكتاب؟ فدفعه إليه فقرأه وقال: نعم، هذا مثل ضربه لك، يقول: ما أنسى الّذي لا تنسى الشيباء، لا تنسى أبا عذرتها، والشيباء: المرأة البكر))[٣].

وقد مرّ بنا سابقاً أنّ أبا أيوب الأنصاري كان ممّن شهد لأمير المؤمنين عليه السلام في مناشدته يوم الرحبة، فراجع ثمّة!

وأيضاً يُعدّ أبو أيوب من رواة الفضائل الواردة في حقّ أهل البيت عليهم السلام، ومنها هذه الرواية الّتي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لفاطمة عليها السلام: (أما علمتِ أنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبيّاً، ثمّ اطّلع الثانية فاختار بعلك فأوحى الله إليّ فأنكحته واتّخذته وصيّاً)[٤].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٧٣.

(٢) وهذه شهادة صريحة من نصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢هـ بأنّ الصحابي الجليل أبا أيوب الأنصاري يعدّ من شيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

(٣) وقعة صفّين: ٣٦٦. وفي هذا الكتاب يستفاد أنّ معاوية لا ينسى قتلة عثمان، وقد عدّ أبا أيوب من قتلته!

(٤) المعجم الكبير ٤: ١٧١، كنز العمال ١١: ٦٠٤، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٣.

٨ ـ عبد الله بن عباس

حبر الأمّة، وترجمان القرآن، دعا له رسول الله ﷺ أن يفقّهه الله في الدين ويعلّمه التأويل، تكلّم يوماً وهو في الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسّر فانبهر له الناس، وقال البعض: ((ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت))[١].

قال عنه الذهبي في (تذكرة الحفاظ): ((عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الإمام البحر[٢]، عالم العصر، أبو العباس الهاشمي، ابن عمّ رسول الله ﷺ...مات رسول الله ﷺ ولعبد الله ثلاث عشرة سنة[٣]، وقد دعا له النبيّ ﷺ أن يفقّهه في الدين، ويعلّمه التأويل))[٤].

وقد ورد في ذكر دعاء النبيّ ﷺ له بالتفقه في الدين والعلم روايات كثيرة نقلها الحفاظ والمحدّثون في كتبهم :

قال الطبري في (ذخائر العقبى) في بيان ذكر دعاء النبيّ ﷺ لابن عباس: ((عن ابن عباس قال: ضمّني رسول الله ﷺ إليه وقال: اللّهمّ علّمه الحكمة. خرّجه الترمذي وقال: حسن صحيح، والبغوي في معجمه وأبو حاتم، خرّجه البخاري وقال: ضمّني إلى صدره، وفي رواية: اللّهمّ علّمه الكتاب، وخرّجه أبوعمر وزاد: تأويل القرآن ولم

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٦١٤ كتاب معرفة الصحابة، ذكر عبد الله بن عباس.

(٢) قال ابن حجر في (الإصابة) ١: ٨٨: (سمّي بحراً لسعة علمه وكثرته، وممّن سمّاه بذلك أبو الشعثاء جابر بن زيد أحد التابعين ممّن أخذ عنه، ووصفه بالبحر ثابت في صحيح البخاري) (انتهى).

(٣) وفي بعض الروايات عن ابن عباس نفسه: توفي النبيّ ﷺ وأنا ابن خمسة عشر، كما في المستدرك على الصحيحين ٣: ٦١٤.

(٤) تذكرة الحفاظ ١: ٤٠.

يقل ضمّني. وفي حديث آخر: وزده علماً وفقهاً في الدين. قال أبوعمر: وكلّها أحاديث صحاح))[١].

وقد كانت لابن عباس رضي الله عنه منزلة خاصّة عند أكابر الصحابة لفقهه وعلمه، وسعة اطّلاعه، قال الحاكم في (المستدرك): ((عن الزهري: قال المهاجرون لعمر بن الخطاب: ادع أبناءنا كما تدعو ابن عباس قال: ذاكم فتى الكهول إنّ له لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً))[٢].

وقال ابن عباس: ((كان عمر بن الخطاب يسألني مع الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم))[٣].

وقد جاء على لسان الصحابة والتابعين في حقّ ابن عباس ما يدلّ على عظيم شأنه وسموّ منزلته:

قال ابن سعد في (الطبقات): ((عن يعقوب ابن زيد عن أبيه قال: سمعت جابر ابن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفق بإحدى يديه على الأخرى: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمّة مصيبة لا ترتق)).

وروى ابن سعد أيضاً: ((عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم قال: لمّا مات ابن عباس قال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم))[٤].

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: ((ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلّهم من واد واسع))[٥].

---

(١) ذخائر العقبى: ٢٢٧.
(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ٦٢١.
(٣) الإصابة ١: ٥٦.
(٤) الطبقات الكبرى ٢: ٣٧٢.
(٥) الإصابة ١: ٥٦.

وجاء في المستدرك للحاكم: ((عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ما رأيت مثل ابن عباس قط، ولقد مات يوم مات وهو حبر هذه الأمّة))[١].

ابن عباس مبلّغ الحقائق إلى الأمّة

وقد كان هذا العَلَم الحبر والفقيه العظيم شاهداً على عصره، ومبلّغاً الحقائق والوقائع الّتي جرت في ذلك العصر إلى الأجيال كلّها، إذ تناقل عنه الرواة وقائع مذهلة ومواقف خطيرة تنبأ عن خفايا مؤلمة فيما يتعلّق بحقّ الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام، والّتي حاول الكثيرون طمسها أو التغاضي عنها، وعند التحقيق يجد المرء أنّ ما ذكره ابن عباس كان من الأسباب الرئيسة الّتي منعت الأمّة من السير على الهدى الّذي أراده الله ورسوله صلى الله عليه وآله لها بالسير عليه. وقد كانت – أي: هذه الوقائع – سبب نكبة الأمّة منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم الناس هذا. فلنطالع جانباً من هذه الوقائع والحقائق الّتي صدح بذكرها حبر الأمّة وترجمان قرآنها، والتي من أبرزها هذه الواقعة المؤلمة:

رزية يوم الخميس

هكذا كان يسمّيها ابن عباس، الراوي لها، وكان إذا تذكّرها يقول: ((يوم الخميس وما يوم الخميس!))، ثمّ يبكي حتّى يخضب دمعه الحصباء، كما تذكر ذلك الروايات الّتي رواها البخاري وغيره.

وحكاية هذه الرزية: أنّه في اليوم الّذي اجتمع فيه جمع من الصحابة عند رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الّذي توفّي به، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: (ائتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً)، فقال عمر ـ وكان من الحضور ـ : هجر

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٦١٦.

رسول الله ﷺ! فاختلف الموجودون في البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلّوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، أي يقول: هجر رسول الله ﷺ! وعندما كثر اللغط واللغو والاختلاف غضب النبيّ ﷺ وقال لهم: (قوموا عنّي). وفي رواية: (دعوني فأنا الّذي فيه خير ممّا تدعوني إليه). فكان ابن عباس يقول: ((إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم!))[1].

توقف وتساؤلات أمام الحادثة

وهذه الحادثة – في واقعها – تستدعي الكثير من التوقف والتساؤلات، ولعلّ أبرز هذه التساؤلات:

هذا السؤال المهم: ما الّذي أراد أن يكتبه النبيّ ﷺ للصحابة في هذا الكتاب، وقد صرّح لهم بأنّهم لن يضلّوا بعده أبداً، أي بعد العمل بمضمونه والأخذ به؟!

---

(١) هذه الرزية ينقلها بتفاصيلها وبألفاظ متعددة عن ابن عباس: البخاري في صحيحه ٥: ١٣٧ باب مرض النبيّ ﷺ، ٧: ٩ باب قول المريض قوموا عنّي، ٨: ١٦١ باب قول النبيّ ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، ومسلم في صحيحه ٥: ٧٣ كتاب الوصية، وأحمد في مسنده ١: ٣٢٤ وغيرهم... ولا يحتاج المتابع لهذه المصادر إلى كثير عناء ليعرف أنّ صاحب تلك الكلمة الّتي تجاوزت على الجناب الأقدس لنبي الرحمة ﷺ =

= – والّذي تغافل البعض عن ذكر اسمه – وسببت كلّ هذا اللغط والاختلاف هو عمر بن الخطاب، وقد صرّح بذلك: سبط بن الجوزي في (تذكره الخواص): ٦٢، والغزالي في (سر العالمين): ٢١، والشهاب الخفاجي في (نسيم الرياض) ٢٧٨:٤، وابن تيمية في (منهاج السنة) ٦: ٢٤، وآخرون غيرهم، ورغم اعتراف ابن تيمية بأنّ قائل تلك الكلمة هو عمر بن الخطاب إلا أنّه أراد أن يذب عن (الخليفة) بمحاولة تحويل هذه الجملة من خبرية إلى استفهامية، أي: من قوله (هجر رسول الله) إلى (أهجر رسول الله)، إلا أنّ هذه المحاولة لا تنفع في المقام، فإنّ الاستفهام بهذا المضمون لا يقل بشاعة عن الإخبار، مع أنّ البخاري قد صرّح بورود الخبرية في إحدى مروياته الّتي نقل بها الحادثة، فانظر الجزء الرابع من صحيحه الصفحة ٣١، كتاب الجهاد، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة!

والسؤال الثاني: لماذا تجرّأ عمر بن الخطاب بمثل تلك الجرأة، وخاطب النبيّ ﷺ بذلك الخطاب الّذي يهدف منه إلى تجريد النبيّ ﷺ عن قواه العقلية ليحيل بينه وبين كتابة ما يريد[1]؟!

والسؤال الثالث: لماذا لم يردّ الصحابة على عمر لجرأته هذه على النبيّ ﷺ، وكيف أنّهم - على العكس من ذلك - قد انقسموا إلى حزبين متنازعين، وأثاروا بينهم اللغط والتنازع بمسمع ومرأى من النبيّ الأقدس ﷺ ممّا اضطره ﷺ أن يخرجهم من غرفته؟!

والسؤال الرابع: لماذا لم يصرّ النبيّ ﷺ على كتابة هذا الكتاب، بل نجده قد أمرهم بالقيام عنه بعد أن رأى لغطهم وتنازعهم؟!

إنّ هذه الأسئلة وغيرها ترد على ذهن كلّ قارئ يطالع هذه الواقعة الّتي يتناقلها المسلمون في صحاحهم ومجامعهم الحديثية، ويتداولوها بينهم بأعلى درجات الصحة والوثاقة.

وهذه الأسئلة أيضاً - في حقيقة الأمر - لا تحتاج إلى كثير عناء للإجابة عليها أو معرفة مغاليقها الّتي حرمت المسلمين من خير رسول الله ﷺ على الأمّة بكتابة ذلك الكتاب الّذي أخبرهم ﷺ عنه بأنّه سيعصمهم من الضلال أبد الآبدين إذا ما نظروا في مضمونه وأخذوا به!

---

(١) لا يخفى على كلّ عارف بالعربية أو عاقل لبيب أن يدرك أنّ كلمة (يهجر)، تعني أنّ المتكلّم يهذي ولا يعي ما يقول (وهو معنى الكلمة كما في الصحاح للجوهري ٢: ٨٥١ وغيره)، وقد روى البعض - نتيجة لشعوره بفظاعة هذه الكلمة في حقّ رسول الله ﷺ - هذه الكلمة بالمعنى دون اللفظ، تخفيفاً لوطأتها على السامع المسلم، فقال: بأنّ عمر قال كلمة معناها غلب عليه الوجع...إلا أنّ الملاحظ لهذه العبارة يجدها أيضاً لا تختلف عن المعنى الأصلي كثيراً، إذ من الواضح أنّ الراد على مريض ما بمثل هذا الكلام فإنّه لا يتعدّى أن يريد: أنّ هذا المريض قد غلبه الوجع وأنّه لم يعد يضبط كلماته، أي: أنّه يهذي ولا يعي ما يقول! فالمؤدّى واحد في كلّ الأحوال.

ومن الواضح أنّ هذا الكتاب الّذي أراد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله كتابته لأمّته في أواخر أيامه لم يكن يهدف منه صلى الله عليه وآله إلى بيان أحكام الصلاة أو الصوم أو أيّ شيء آخر يتعلّق بأمور العبادات أو المعاملات بين المسلمين، فهذا الأمر كان قد تكفّل ببيانه على مدى ثلاث وعشرين سنة وبلّغه بأتمّ التبليغ. وهو صلى الله عليه وآله أيضاً لم يكن يهدف من كتابة هذا الكتاب إلى بيان شيء من المواعظ أو فيما يتعلّق بقضايا الأخلاق والآداب، فقد كان منبره الشريف يرزخ بمثل هذا العطاء في كلّ يوم عدّة مرّات من عمره المبارك الّذي قضاه بين ظهراني المسلمين.

إنّ الّذي أراد كتابته النبي صلى الله عليه وآله في هذا الكتاب هو النص على الخلافة في إنسان معيّن من بعده لئلا يقع نزاع وفتن في هذا الأمر يجرّ على الأمّة الويلات والخلافات إلى يوم القيامة.

وهذا المعنى هو الّذي نصّ عليه شرّاح الصحاح فيما بيّنوه عند شرحهم لهذا الحديث الشريف، كابن حجر في شرحه لصحيح البخاري، والنووي في شرحه لمسلم[1].

وقد كانت لابن عباس محاججات متعددة مع عمر بن الخطاب حول هذا الموضوع كشف فيها الأخير عن معرفته بهذا الأمر، وأنّ هذا ـ أي: معرفته بإرادة التصريح باسم الخليفة من قِبل النبي صلى الله عليه وآله ـ كان هو السبب الّذي دعاه للوقوف بوجه النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله ومواجهته بتلك الكلمة القارصة ليحيل بينه وبين ما يريد!

قال عمر بن الخطاب يوماً لابن عباس: كيف خلّفت ابن عمّك؟ قال: فظننته يعني عبد الله بن جعفر، قال: فقلت: خلّفته مع أترابه، قال: لم أعن ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت، قال: قلت: خلّفته يمتح بالغرب[2] وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قال: قلت:

(١) أُنظر: فتح الباري ٨: ١٠١، صحيح مسلم بشرح النووي ١١: ٨٩

(٢) الغرب: الدلو.

نعم، قال: أيزعم أنّ رسول الله نصّ عليه؟ قال ابن عباس: قلت: وأزيدك سألت أبي عمّا يدّعي إلى ذلك ـ من نصّ رسول الله عليه بالخلافة ـ فقال: صدق، فقال عمر: كان من رسول الله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعته من ذلك..[1]. وهذا الحديث كان قد ذكره - كما يشير ابن أبي الحديد وغيره - بسند معتبر عن ابن عباس أحمد بن أبي طاهر في كتاب (تاريخ بغداد)[2].

وأيضاً جاء في بيان آخر عن عمر بن الخطاب مع ابن عباس نفسه يذكر فيه الدوافع الّتي دفعته إلى هذا التصرّف، وكأنّه كان - بتصرّفه هذا - يعبّر بالنيابة عن اتّجاه أو تيار كان موجوداً بين الصحابة، ولم يكن له - أي: لعمر - سوى قصب السبق في التعبير عن تطلّعات هذا التيار وأهدافه.

ذكر الطبري في تاريخه: ((قال عمر لابن عباس: أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد؟ فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أدري فأمير المؤمنين يدريني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت. فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي وتميط عنّي الغضب تكلّمت، فقال: تكلّم يابن عباس، فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله ﷻ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود[3]، وأمّا قولك إنّهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة فإنّ الله ﷻ وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذَلِكَ

(١) اُنظر شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٢: ٢١.

(٢) أحمد بن أبي طاهر هو من أعاظم العلماء وكبار أعلام التاريخ، وله ٥٠ مصنفاً، أهمّها: تاريخ بغداد، راجع: الأعلام للزركلي ١: ١٤١.

(٣) وهذه إشارة واضحة من ابن عباس إلى أنّ اختيار أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة إنّما هو اختيار الله ﷻ.

﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[١]، فقال عمر: هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاً ما يزول، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإنّ قلب رسول الله ﷺ من قلوب بني هاشم، فقال عمر: إليك عنّي يابن عباس، فقلت: افعل، فلمّا ذهبت لأقوم استحيا منّي فقال: يابن عباس مكانك فوالله إنّي لراع لحقّك محب لما سرّك، فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ لي عليك حقّاً وعلى كلّ مسلم، فمن حفظه فحظّه أصاب، ومن أضاعه فحظّه أخطأ. ثمّ قام فمضى))[٢].

ولم يزل ابن عباس بعد هذا، مدافعاً عن حقّ أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة، لا يفتر عن خطاب، أو يضعف عن حجّة وجواب، وقد كانت لخطاباته ومحاججاته في هذا الشأن وقعاً شديداً على خصومه ومناوئيه.

أخرج ابن قتيبة في (عيون الأخبار): ((إنّ ابن عباس قال يوماً لمعاوية: ندّعي هذا الأمر بحقّ من لولا حقّه لم تقعد مقعدك هذا، ونقول كان ترك الناس أن يرضوا بنا ويجتمعوا علينا حقاً ضيّعوه وحظّاً حرموه...أمّا الّذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ فعهد منه إلينا قبلنا فيه قوله ودِنّا بتأويله، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الّذي نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك حقّه، إنّما العيب من يطلب ما ليس له، وكلّ صواب نافع، وليس كلّ خطأ ضار))[٣].

ومن كلمات ابن عباس المأثورة الّتي قالها لمعاوية حين جابهه الأخير بقوله: ((إنّ في نفسي منكم لحزازات يا بني هاشم، وإنّي لخليق أن أدرك فيكم الثأر وأنفي العار، فإنّ دماءنا قبلكم وظلامتنا فيكم))!

---

(١) سورة محمّد، الآية ٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٠، الكامل في التاريخ ٢: ٤٥٨ حوادث سنة ٢٣، السقيفة وفدك: ١٣٢، شرح نهج البلاغة ١٢: ٥٣، ٥٤.

(٣) عيون الاخبار ٢: ٥١ كتاب السلطان.

قال ابن عباس: ((والله إن رمت ذلك يا معاوية لتثيرنّ عليك أسداً مخدّرة، وأفاعي مطرقة، لا يفثؤها كثرة السلاح، ولا تعضها نكاية الجراح، يضعون أسيافهم على عواتقهم، يضربون قدماً قدماً من ناوأهم، يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب، لا يفاتون بوتر، ولا يسبقون إلى كريم ذكر، قد وطّنوا على الموت أنفسهم، وسمت بهم إلى العلياء هممهم..فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك، وكان أكبر همّك سلامة حشاشة نفسك، ولولا طغام من أهل الشام وقوك بأنفسهم، وبذلوا دونك مهجهم، حتّى إذا ذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بحلول الدمار، رفعوا المصاحف مستجيرين بها وعائذين بعصمتها، لكنت شلوا مطروحاً بالعراء، تسفي عليك رياحها ويعتورك ذئابها.. إلى آخر كلامه.

فقال له معاوية: لله درك يا بن عباس ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل ورأي أصيل، وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم، ولو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثّرهم. ثمّ نهض، فقام ابن عباس وانصرف))[1].

ويمرّ ابن عباس يوماً بقومٍ ينالون من عليّ عليه السلام ويسبّونه، فيقول لقائده ـ وهذا أيام ذهاب بصره ـ: أدنني منهم فأدناه، فقال: أيّكم الساب الله؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسبّ الله، فقال: أيّكم الساب لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: أيكم الساب عليّ بن أبي طالب؟ قالوا: أمّا هذه فنعم. فقال: أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (من سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ عليّ بن أبي طالب فقد سبّني).. فأطرقوا، فلمّا ولّى قال لقائده: كيف رأيتهم؟ فقال:

نظـــرُوا إليـــكَ بـــأعين محمـــرّةٍ   نَظَرَ التيوس إلى شِفارِ الجازرِ

قال ابن عباس: زدني فداك أبي:

(١) جمهرة خطب العرب ٢: ١١٠، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٦: ٣٠٣.

جـزر الحواجـبِ ناكِـسُوا أذقـانَهُم　　　نَظَـر الـذليل إلـى العزيـزِ القـاهرِ

قال: زدني فداك أبي، قال: ما عندي غيرهما. قال: لكن عندي:

أحيـاؤهم حزنـى علـى أمـواتهم　　　والميّتـــون مـــسبّة للغـــابر[١]

حديث الخصائص العشرة

وهذه المواقف من ابن عباس في الدفاع عن أمير المؤمنينعليه السلام والرد على خصومه لا تنتهي.

ففي حديث صحيح يرويه الحاكم، ووافقه الذهبي عليه قال ما نصّه: ((أخبرنا أبو بكر أحمد بن حمدان القطيعي ببغداد من أصل كتابه ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، ثنا يحيى بن حمّاد، ثنا أبو عوانة، ثنا أبو بلج، ثنا عمرو بن ميمون، قال: إنّي لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبيّ صلى الله عليه وآله:

(لأبعـثنّ رجـلاً لا يخزيـه الله أبـداً يَحـبُّ الله ورسـوله ويَحبُّـه الله ورسـوله). فاستشرف لها مستشرف، فقال: أين عليّ؟ فقالوا: إنّه في الرحى يطحن. قال: وما كان أحدهم ليطحن. قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يُبصر، قال: فنفث في عينيه، ثمّ هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء عليّ بصفية بنت حيي.

قال ابن عباس: ثمّ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله فلاناً بسورة التوبة فبعث عليّاً فأخذها منه وقال: (لا يذهب بها إلا رجل هو منّي وأنا منه).

---

(١) الرياض النضرة ٣: ١٢٢.

وقال النبيّ ﷺ لبني عمّه: (أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة) فأبوا، فقال لعليّ: (أنت وليّي في الدنيا والآخرة).

قال ابن عباس: وكان عليّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها.

قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

قال ابن عباس: وشرى عليّ نفسه فلبس ثوب النبيّ ﷺ ثمّ نام مكانه.

وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر رضي الله عنه وعليّ نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنّه رسول الله ﷺ قال فقال: يا نبيّ الله، فقال له عليّ: إنّ نبيّ الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار. قال: وجعل عليّ رضي الله عنه يُرمى بالحجارة كما كان يرمى نبيّ الله وهو يتضوّر، وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه فقالوا: إنّك للئيم، وكان صاحبك لا يتضوّر ونحن نرميه وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك.

قال: وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وخرج بالّذي معه فقال له عليّ: أخرج معك؟ قال: فقال النبيّ ﷺ: لا. فبكى عليّ فقال له: (أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه ليس بعدي نبيّ، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي).

قال: وقال له رسول الله ﷺ: (أنت ولي كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة).

وقال ابن عباس: سدّ رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب عليّ، فكان يدخل المسجد جُنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فإنّ مولاه عليّ)))[1].

(انتهى)

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

فالتصريح بولاية علي عليه السلام بهذه البيانات الشافية الوافية، والمواجهة الشديدة في الدفاع عن حقّ أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والجهر به لأدلّ دليل على تشيّع ابن عباس وامتثاله لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله في التمسّك بالكتاب والعترة من بعده.

٩ ـ أبو الهيثم مالك بن التيهان

صحابي جليل الشأن، يُعدّ من أكابر الصحابة، وأحد النقباء الاثني عشر الّذين اختارهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو من شيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من الّذين عرفوا الحقّ الّذي نطق به رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ عليّ عليه السلام فامتثلوا له، ولم يفارق أمير المؤمنين عليه السلام حتّى استشهد بين يديه في واقعة صفّين..تَذكّره أمير المؤمنين عليه السلام يوماً وهو قائم يخطب فندبه وتأوّه عليه وعلى نظرائه من الصحابة الأبرار.. جاء في (نهج البلاغة) عن نوف البكالي، قال: «خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، فقال: (الحمد لله الّذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر -إلى قوله عليه السلام -ماضرّ إخواننا الّذين سفكت دماؤهم وهم بصفّين أن لا يكونوا اليوم أحياء، يسيغون الغصص، ويشربون الرنق[٢]، قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم. أين إخواني الّذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟)[٣]، قال نوف: ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثمّ قال عليه السلام: (أوه

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٤، تلخيص المستدرك للذهبي، مسند أحمد ١: ٣٣١، سنن النسائي ٥: ١١٣، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ٦٢، البداية والنهاية ٧: ٣٧٤، ذخائر العقبى: ٨٧.

(٢) الرنق ـ بكسر النون وفتحها وسكونها ـ الكدر.

(٣) أي: أرسلت رؤوسهم مع البريد بعد قتلهم للبغاة للتشفّي منهم رضي الله عنهم.

على إخواني الّذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه)))[1].

مناقبه

يعدّ المحدّثون أبا الهيثم مالك بن التيهان أوّل من أسلم من الأنصار بمكة مع سعد بن زرارة، وأوّل من لقي رسول الله صلى الله عليه وآله قبل قومه، وأوّل من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وآله للبيعة، وهو من النقباء الاثنى عشر الّذين اختارهم رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠٣ – ١٠٩، نقول: ونحن إذ نذكر هنا هذه الخطبة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيها ما يدلّ على استشهاد ابن التيهان في صفين تجد من يذكر خلاف هذه الحقيقة كابن قتيبة في المعارف: ٢٧٠، أو ابن سعد في الطبقات: ٣: ٤٤٩ الّذي قال بأنّ ابن التيهان توفي سنة عشرين بالمدينة زمن خلافة عمر بن الخطاب.. إلا أنّ هذه الدعوى مردودة بأمور:

الأوّل: بما رواه ابن عبد البر في (الاستيعاب) ٤: ١٧٧٣ عن وفاة مالك بن التيهان حيث قال: وقيل: إنّه توفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين وقيل: إنّه أدرك بصفين وشهدها مع عليّ، وهو الأكثر. (انتهى)، وأيضاً بما رواه ابن الأثير في كامله ٣: ٢٢٥ بأنّ ابن التيهان شهد صفين مع عليّ عليه السلام سنة ٣٩هـ وقتل فيها، وبما ذكر في (أسد الغابة) ٥: ٣١٨: أنّه أدرك صفين وشهدها مع عليّ وقتل بها، وهو الأكثر (قال) وتقدّم ذكره في مالك أخرجه أبو نعيم وأبو عمر وأبو موسى (انتهى).

الثاني: بما رواه الطبري في تاريخه ٣: ٤٦٥، وابن الأثير في كامله ٣: ١١٣، وابن خلدون في تاريخه ٢: ١٥٤، وابن كثير في (البداية والنهاية) ٧: ٢٦١ بأنّ مالك بن التيهان ممّن استجاب لدعوة أمير المؤمنين عليه السلام في المسير من المدينة إلى البصرة لمحاربة أهل الجمل، وهذه الواقعة كما هو معلوم جرت سنة ٣٦ للهجرة.

الثالث: نفس الخطبة المروية أعلاه، وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فيها بأنّ ابن التيهان ممّن استشهد في صفين تدحض الدعوى المتقدّمة، وهذه الخطبة رواها الشريف الرضي المتوفي سنة ٤٠٣هـ عند جمعه لخطب أمير المؤمنين عليه السلام، ورواها الزمخشري في (ربيع الأبرار) في باب التفاضل والتفاوت، وفسّر ابن الأثير غريبها في النهاية في فقرتي (دهم) و(رجحن)، فراجع ثمة.

باختيار جبرئيل عليه السلام في بيعة العقبة الثانية، ولا خلاف في ذلك. وهو قد شهد بدراً وأحداً والخندق وبقية المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): ((قال الواقدي: كان أبو الهيثم يكره الأصنام ويؤفف بها، ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة، وكانا من أوّل من أسلم من الأنصار بمكة، ويجعل في الثمانية الّذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة، ويجعل في الستة، وفي أهل العقبة الأولى الاثني عشر، وفي السبعين[٢]، آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين عثمان بن مظعون، شهد بدراً والمشاهد، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر خارصاً[٣] بعد ابن رواحة.

قال الذهبي: وعن محمّد بن يحيى بن حبان أنّ أبا الهيثم بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله خارصاً، ثمّ بعثه أبوبكر فأبى، وقال: إنّي كنت إذا خرصت لرسول الله صلى الله عليه وآله فرجعت، دعا لي[٤].

موالاته لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام

تخلّف أبو الهيثم عن بيعة أبي بكر، ومال إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام وبقية المناهضين لبيعة السقيفة[٥]، ولم يزل على مواقفه تلك من المناهضة والمنابذة رافضاً حتّى التعاون والعمل مع الخلفاء فيما يكلّفونه به[٦]...وقد خطب يوماً بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بعد حادثة الشورى وظهور نتائجها لصالح عثمان، فقال: ((إنّ حسد

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٢٣، الطبقات الكبرى ١: ٢١٨، ٢١٩.

(٢) وهم عدة الّذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة الثانية.

(٣) الخرص: حرز ما على النخل من الرطب ثمراً، وهو تقدير بظن لا إحاطة.

(٤) سير أعلام النبلاء ١: ١٩٠.

(٥) أُنظر ما تقدّم ذكره من مصادر في الّذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر.

(٦) أُنظر: الطبقات الكبرى ٣: ٤٤٨، سير أعلام النبلاء ١: ١٩٠.

قريش إيّاك على وجهين، أمّا خيارهم فتمنّوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملك، وارتفاع الدرجة، وأمّا شرارهم فحسدوك حسداً أنغل القلوب، وأحبط الأعمال، وذلك أنّهم رأوا عليك نعمة قدّمك إليها الحظ، وأخّرهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوك حتّى طلبوا يسبقوك، فبعدت ـ والله ـ عليهم الغاية، وأسقط المضمار: فلمّا تقدّمتهم بالسبق، وعجزوا عن اللحاق بك بلغوا منك ما رأيت، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش...))[١].

استجابته للإمام عليه السلام في المسيرة إلى البصرة

قال الطبري في تاريخه عند حديثه عن نهضة عليّ عليه السلام إلى محاربة أهل الجمل: ((... ولمّا رأى من أهل المدينة ما لم يرض طاعتهم حتّى يكون معها نصرته، قام فيهم وجمع إليه وجوه أهل المدينة وقال: إنّ آخر هذه الأمّة لا يصلح إلا بما صلح أوله، فقد رأيتم عواقب قضاء الله عزّ وجلّ على من مضى منكم فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم، فأجابه رجلان من أعلام الأنصار أبو الهيثم بن التيهان وهو بدري وخزيمة بن ثابت))[٢].

ولابن التيهان شعراً يوم الجمل، يقول فيه:

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا ... نحن الّذين شعارنا الأنصار
نحن الّذين رأيت قريش فعلنا ... يوم القليب أولئك الكفار
كنّا شعار نبينا ودثاره ... يفديه منّا الروح والأبصار
إنّ الوصي إمامنا وولينا ... برح الخفاء وباحت الأسرار[٣]

(١) الأوائل ١: ٣١٦ـ٣١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ١٤٤.

وهـذا البيـان مـن مالـك بـن التيهـان نـصّ صـريح باعتقـاده بإمامـة أميـر المؤمنين عليه السلام، وأنّه الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّه (رضوان الله عليه) يكشف عن تمام عقيدته هنا، وأنّه لا مجال عنده بعد اليوم لإخفائها كما يدلّ عليه قوله (برح الخفاء وباحت الأسرار).

شهادته لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الرحبة

قال السمهودي الشافعي في كتابه (جواهر العقدين) عن أبي الطفيل: ((إنّ عليّاً رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم رجل يقول: إنّي نبئت وبلغني إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلاً، منهم: خزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد...وأبو الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش، فقال عليّ (رضي الله عنه وعنهم): هاتوا ما سمعتم، فقالوا: نشهد أنّا أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع، حتّى إذا كان الظهر خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر بشجيرات فشذبن، وألقى عليهن ثوب، ثمّ نادى بالصلاة، فخرجنا فصلينا، ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: (أيّها الناس ما أنتم قائلون؟) قالوا: قد بلّغت. قال: (اللّهمّ اشهد). ثلاث مرّات. قال: (إنّي أوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون)... ثمّ قال: (أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، نبّأني بذلك اللطيف الخبير). وذكر الحديث في قوله صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه)، فقال عليّ: (صدقتم، وأنا على ذلك من الشاهدين).

قال السمهودي: أخرجه ابن عقدة من طريق محمّد بن كثير عن فطر وأبي الجارود، كلاهما عن أبي الطفيل..))[1].

---

(١) جواهر العقدين: ٢٣٦، وينابيع المودّة ١: ١١٨ يرويه عن أبي نعيم، ويرويه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده مختصراً ٤: ٣٧٠، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٩: ١٠٤ ((رواه أحمد.. ورجاله رجال الصحيح غير فطر

١٠ـ حجر بن عدي (حجر الخير)

أحد الصحابة العدول، وراهب أصحاب النبيّ محمّد ﷺ كما قال عنه الحاكم في المستدرك[١]، ومن أفاضل الصحابة كما في (الاستيعاب) لابن عبد البر[٢]، والثقة المعروف وحجر الخير كما عند ابن سعد في الطبقات[٣]، وهو ممّن شهد له رسول الله ﷺ بالإيمان كما في الحديث المعروف عن موت أبي ذر في الربذة: (أنّه يموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين) وقد كان حجر بن عدي أحدهم[٤].

قال المرزباني: ((إنّ حجر بن عدي وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هاني بن عدي، وكان من عبّاد الله وزهّادهم، وكان باراً بأمّه، وكان كثير الصلاة والصيام))[٥].

وقال أبو معشر: ((كان عابداً وما أحدث إلا توضأ وما توضأ إلا صلّى ركعتين))[٦].

بن خليفة وهو ثقة))، ورواه بالطريق المذكور أيضاً ابن حجر في (الإصابة) ٧: ٢٧٤ في ترجمة أبي قدامة الأنصاري، وكذلك الزيلعي في (تخريج الأحاديث والآثار) ٢: ٢٣٩.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٣١.

(٢) الاستيعاب ١: ٢٥٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٦: ٢١٧، ٢٢٠.

(٤) مسند أحمد ٥: ١٥٥، الاستيعاب ١: ٢٥٣، الإصابة ٢: ٣٢، الطبقات الكبرى ٤: ٢٣٤، سير أعلام النبلاء ٢: ٧٧، صحيح ابن حبان ١٥: ٦٠، تاريخ ابن عساكر ٦٦: ٢٢١.

(٥) البداية والنهاية ٨: ٥٥.

(٦) نفس المصدر.

وعن ابن أبي الدنيا في كتابه (مكارم الاخلاق): ((كان حجر بن عدي بن الأدبر الكندي يلمس فراش أمه بيده فيتهم غلظ يده فيتقلّب عليه على ظهره فإذا أمن أن يكون عليه شيء أضجعها))[١].

وأيضاً كان حجر بن عدي (رضوان الله عليه) صاحب كرامة واستجابة في الدعاء مع تسليم وانقياد إلى الله، روى ابن الجنيد في كتاب الأولياء: إنّ حجر بن عدي أصابته جنابة فقال للموكل به: أعطني شرابي أتطهّر به ولا تعطني غداً شيئاً. فقال: أخاف أن تموت عطشاً فيقتلني معاوية، قال: فدعا الله فانسكبت له سحابة بالماء، فأخذ منها الّذي احتاج إليه. فقال له أصحابه: ادع الله أن يخلّصنا، فقال: اللّهمّ خر لنا[٢].

وقد قالت عائشة في حقّه: ((أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجّاجاً معتمراً))[٣]. وقالت أيضاً لمعاوية بعد قتله إيّاه: ((قتلت حجراً وأصحابه، أما والله لقد بلغني أنّه سيقتل بعذراء سبعة رجال (وفي لفظ: أناس، وآخر: نفر) يغضب الله لهم وأهل السماء))[٤].

وعن عبد الله بن زرير الغافقي كما في (البداية والنهاية)، قال: ((سمعت عليّ ابن أبي طالب يقول: (يا أهل العراق، سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود)، قال: فقتل حجر بن عدي وأصحابه))[٥].

وقد جاء عن الحسن البصري في ذمّ معاوية لقتله حجراً: ((ويل له من حجر وأصحاب حجر..ويل له من حجر وأصحاب حجر))[١].

---

(١) مكارم الأخلاق: ٧٦.

(٢) الإصابة ٢: ٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٨.

(٤) الجامع الصغير ٢: ٦١، كنز العمال ١٣: ٥٨٧، البداية والنهاية ٦: ٢٥٣.

(٥) البداية والنهاية ٦: ٢٥٢.

تشيّعه وولاؤه لأمير المؤمنين عليه السلام

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عند ذكر حجر بن عدي:((حجر بن عدي ابن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية الكندي، وهو حجر الخير، وأبوه عدي الأدبر، وكان قد طعن موليا، فسمّي الأدبر، الكوفي، أبو عبد الرحمن الشهيد، له صحبة ووفادة.

قال غير واحد: وفد مع أخيه هاني بن الأدبر، ولا رواية له عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وسمع من عليّ وعمّار.

روى عنه: مولاه أبو ليلى، وأبو البختري الطائي، وغيرهما.

وكان شريفاً، أميراً مطاعاً، أمّاراً بالمعروف، مقدماً على الإنكار، من شيعة عليّ رضي الله عنه شهد صفين أميراً، وكان ذا صلاح وتعبّد))[2].

وقال ابن حجر في (الإصابة): ((حجر - بضمّ أوّله وسكون الجيم - بن عدي ابن معاوية..وفد على النبيّ صلى الله عليه وآله هو وأخوه هاني بن عدي، شهد القادسية، وشهد بعد ذلك الجمل وصفين، وصحب عليّاً فكان من شيعته، وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية، وكان حجر هو الّذي افتتحها فقُدّر أن قتل بها))[3].

وروى اليعقوبي في تاريخه في معرض بيانه لأحداث وقعة صفين، قال: ((أغار الضحاك بن قيس على القطقطانة، فبلغ عليّاً إقباله، وأنّه قد قتل ابن عميش، فقام عليّ خطيباً فقال: يا أهل الكوفة اخرجوا إلى جيش لكم قد أصيب منه طرف، وإلى الرجل الصالح ابن عميش، فامنعوا حريمكم، وقاتلوا عدوّكم. (قال اليعقوبي) فردّوا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ٤٦٢، ٤٦٣.

(٣) الإصابة ٢: ٣٢.

رداً ضعيفاً (إلى أن يقول): فقام إليه حجر بن عدي الكندي فقال: يا أمير المؤمنين! لا قرّب الله منّي إلى الجنّة من لا يحبّ قربك، عليك بعادة الله عندك، فإنّ الحقّ منصور، والشهادة أفضل الرياحين، اندب معي الناس المناصحين، وكن لي فئة بكفايتك، والله فئة الإنسان وأهله، إنّ الشيطان لا يفارق قلوب أكثر الناس حتّى تفارق أرواحهم أبدانهم (قال): فتهلل - أي: أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام - وأثنى على حجر جميلاً، وقال: (لا حرمك الله الشهادة، فإنّي أعلم أنّك من رجالها)))[1].

ولحجر بن عدي شعراً قاله في يوم صفين في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، رواه ابن مزاحم في (وقعة صفين) جاء فيه:

يـــا ربّنـــا ســـلّم لنـــا عليّـــاً	ســلّم لنــا المبــارك المــضيا
المـــؤمن الموحّـــد التقيـــا	لا خطـــل الــرأي ولا غويـــا
بـــل هاديـــاً موفقـــاً مهـــديا	واحفظـــه ربّـــي واحفـــظ النبيـــا
فيـــه فقـــد كـــان لـــه وليّـــا	ثـــمّ ارتـــضاه بعـــده وصـــيّا[2]

قصة استشهاده

بعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام في محرابه أثر ضربة ابن ملجم (لعنه الله) سنة أربعين للهجرة، اشتدّ البلاء على شيعة الإمام عليه السلام ومحبّيه، وخاصّة بعد أن أمر معاوية ولاته بلعن عليّ عليه السلام على المنبر. ولمّا ولّى معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة سنة إحدى وأربعين قال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٦.

(٢) وقعة صفين: ٣٨١، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ١٤٥.

ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم.

فأقام المغيرة على الكوفة، عاملاً لمعاوية، سبع سنين وأشهراً، وهو من أحسن شيء سيرة وأشدّه حباً للعافية غير أنّه لا يدع ذمّ عليّ والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: بل إياكم فذمّ الله ولعن، ثمّ قام فقال: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾[1] وأنا أشهد أنّ من تذمّون وتعيّرون لأحق بالفضل، وأنّ من تزكّون وتطرون أولى بالذم. ولم يكن المغيرة يتعرّض لحجر جراء ذلك بشيء سوى بعض المناوشات الكلامية الّتي تحدث بينهما ثمّ يصفح عنه!

إلا أنّه بعد وفاة المغيرة وتولية زياد بن أبيه مكانه، وقع بينه وبين حجر ما كان يقع بين حجر وبين المغيرة. جاء في إحدى الروايات: أنّ زياداً أطال يوماً الخطبة، وأخّر الصلاة، فخشي حجر أن تفوت الصلاة، فنادى: الصلاة، فاستمر زياد في خطبته، فنادى حجر: الصلاة، إلى ثلاث مرّات، فضرب حجر يده إلى كف من الحصى في وجه زياد، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه إلى الصلاة، فقطع زياد خطبته، وصلّى بهم، ثمّ أمر الشرط أن يأتوا به، فمنعه قومه وأخفوه، حتّى استأمنوا له أن يرسله إلى معاوية، فأجابهم إلى ذلك، فسجنه وأحد عشر من أصحابه، ثمّ كتب عليه شهادة أنّه شتم الخليفة، ودعا إلى حربه، وأخرج عامله، وأنّه يزعم أنّ هذا الأمر لا يصلح إلا في آل عليّ بن أبي طالب... وشهد عليه بعضهم في الكتاب، وكتب في الشهود اسم شريح بن هاني، ثمّ أرسلهم مع الكتاب إلى معاوية، فلحق بهم شريح، فلمّا بلغوا إلى معاوية قرأ الشهادة على حجر، وقرأ كتاب شريح، فإذا فيه: بلغني أنّ

(١) سورة النساء: ١٣٥.

زياداً كتب شهادتي، إنّ شهادتي على حجر أنّه يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه. فقال معاوية: أمّا هذا فقد أخرج نفسه من شهادتكم، وحبس القوم بمرج عذراء (منطقة حول دمشق)، وشفع خواص معاوية في بعضهم فأطلقهم، وبعث إلى من بقي منهم يعرض عليهم البراءة من عليّ، واللعن له وإلا قتلهم، فقالوا: لسنا فاعلين ذلك، فحفروا لهم القبور، وأحضرت الأكفان، وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل، فلمّا كان الغد قدّموهم فقتلوهم[١].

وقد ثبت حجر وأصحابه البررة في هذه الواقعة، وأظهروا من الحزم والإصرار على مواقفهم في الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام ما لم يختلف عليه اثنان من نقلة الآثار التاريخية.

نقل الطبري في تاريخه عن صفي بن فسيل، أحد رؤوس أصحاب حجر، عندما جيء به إلى زياد، قال له زياد: يا عدوّ الله ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب! قال: ما أعرفك به! قال: ما أعرفه، قال: أما تعرف عليّ بن أبي طالب، قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب، قال: كلا، ذاك أبو الحسن والحسين عليهما السلام، فقال له صاحب الشرطة: يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت: لا، قال: وإن كذب الأمير وأشهد على الباطل كما شهد، قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذنبك، عليّ بالعصا، فأتي بها، فقال: ما قولك؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين، قال: اضربوا عنقه بالعصا حتّى يلصق بالأرض، فضرب حتّى لزم الأرض، ثمّ قال: اقلعوا عنه، إيه قولك في عليّ؟ قال: والله لو شرحتني بالموسى والمدى ما قلت إلا ما سمعت![٢]

---

(١) ملخصاً عن تاريخ الطبري ٤: ١٨٨ـ ٢٠٦، وتاريخ ابن الأثير ٣: ٣٢٦ـ ٣٣٨، وتاريخ ابن كثير ٨: ٥٤ـ ٦٠، وتاريخ ابن عساكر ٨: ٢٢، ١٢: ٢٢٣، ٥٠: ٣١، وتاريخ ابن خلدون ٣: ١٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٩٨.

وفي تاريخ ابن خلدون: بعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحسين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف البدري إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله فأتوهم وعرضوا عليهم البراءة من عليّ فأبوا، وصلّوا عامّة ليلتهم، ثمّ قدّموا من الغد للقتل، وتوضّأ حجر وصلّى وقال: لولا أن يظنّوا بي الجزع من الموت لاستكثرت منها، اللّهمّ إنّا نستعديك على أمّتنا، أهل الكوفة يشهدون علينا، وأهل الشام يقتلوننا[١].

وجاء في (البداية والنهاية): ثمّ تقدّم إليه –أي: إلى حجر –السيّاف، وهو أبو شريف البدوي، وقيل: تقدّم إليه رجل أعور فقال له: أمدد عنقك، فقال: لا أعين على قتل نفسي، فضربه فقتله، وكان قد أوصى أن يدفن في قيوده، ففعل به ذلك، وقيل: بل صلّوا عليه وغسّلوه. وروي أنّ الحسن بن عليّ قال: أصلّوا عليه ودفنوه في قيوده؟ قالوا: نعم، قال: حجّهم والله. والظاهر أنّ الحسين قائل هذا، فإنّ حجراً قتل في سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين، وعلى كلّ تقدير فالحسن قد مات قبله والله أعلم[٢].

على هذه العقيدة وبهذا الإصرار على الولاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام مضى حجر بن عدي (رضوان الله عليه) إلى ربّه شهيداً محتسباً هو وأصحابه النجباء البررة، وقد قيل فيه أنّه أوّل رجل قتل في الإسلام صبراً..وجاء عن ابن أبي شيبة في مصنّفه: ((عن هشام عن ابن سيرين، قال: كان إذا سئل عن غسل الشهيد حدّث بحديث حجر ابن عدي وقال: قال حجر بن عدي لمن حضره من أهل بيته: لا تغسلوا عنّي دماً، ولا تطلقوا عنّي حديداً، وادفنوني في ثيابي فإنّي ألتقي أنا ومعاوية على الجادة غداً))[٣].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣: ١٣.

(٢) البداية والنهاية ٨: ٥٧.

(٣) المصنف ٣: ١٣٩...على الجادة غداً: على الصراط يوم الحساب أمام ربّ العالمين.

وقد استنكر على معاوية فعله هذا بقتل هذا الصحابي العظيم، الّذي عُرف بتشيّعه لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومات محتسباً على هذا الولاء والتشيّع، جميع من علم بوقوع تلك الفاجعة.

قال الطبري: ((قالت عائشة لمعاوية: أما خشيتَ الله في قتل حجر وأصحابه؟! قال: لست أنا قتلتهم، إنّما قتلهم من شهد عليهم))[١].

ولئن تفذلك معاوية هنا أمام عائشة وتهرّب من جريمة قتله لحجر بن عدي وأصحابه إلا أنّه لم يفتأ يعترف بقتله إيّاه وشدّة وطأة هذا الأمر عليه.

روى ابن عساكرعن سفيان الثوري قال: ((قال معاوية: ما قتلت أحداً إلا وأعرف فيم قتلته ما خلا حجراً فلا أعرف فيم قتلته))[٢].

وعن أبي مخنف: ((قال معاوية عند موته: يوم لي من ابن الأدبر طويل (ثلاث مرّات) يعني حجراً)).

وعن ابن إسحاق قال: ((أدركت الناس وهم يقولون: إنّ أوّل ذل دخل الكوفة موت الحسن بن عليّ، وقتل حجر بن عدي، ودعوة زياد)).

وعن الحسن البصري قال: ((أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الولد للفراش وللعاهر الحجر..)، وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر (مرّتين)))[٣].

وقد روى الترمذي في السنن والطبراني في الأوسط عن ابن عباس أنّه سأله سائل فقال: يا أبا العباس: هل للقاتل من توبة؟ قال ابن عباس كالمتعجّب من شأنه:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٨.

(٢) فيض القدير ٤: ١٦٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٨.

ماذا تقول؟! فأعاد عليه مسألته، فقال: ماذا تقول؟! مرّتين أو ثلاثاً قال ابن عباس: سمعت نبيّكم ﷺ يقول: (يأتي المقتول متعلّقاً رأسه بأحدى يديه ملبباً قاتله باليد الأخرى تشخب أوداجه دماً حتّى يأتي به العرش فيقول المقتول لربّ العالمين: هذا قتلني، فيقول الله للقاتل: تعست ويذهب به إلى النار)[١].

وحجر بن عدي (رضوان الله عليه) بعد هذا وقبله قد شهد له النبيّ الأعظم ﷺ بالإيمان كما مرّ بيانه بالأدلة الصحيحة[٢]، وقد قضي هو وأصحابه البررة على حبهم وولائهم لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام واستشهدوا في سبيل هذا الحب والولاء، وقد كان حجر رضي الله عنه يصرّح بأنّ الخلافة لا تصلح إلا في آل عليّ بن أبي طالب، بنص شهادة زياد بن أبيه -الّتي مرّ ذكرها- ومن أشهدهم عليه حين أرسله إلى معاوية حتّى قضي في سبيل هذه العقيدة وهو لم يتبرأ منها حتّى الممات.

---

(١) مجمع الزوائد ٧: ٢٩٧ قال الهيثمي: رواه الترمذي باختصار آخره، ورواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، (انتهى)

(٢) قد مرّ علينا بيان ذكر الحديث الشريف الخاص بموت أبي ذر في الربذة وقوله ﷺ: (إنّه ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين)، وقد كان الّذين حضروا تجهيز أبي ذر (رضوان عليه) جماعة، منهم: مالك الأشتر، وحجر بن عدي، وعبد الله بن الفضل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي، وآخرون من وجوه أهل الكوفة والموالين لأمير المؤمنين عليه السلام، وعن ابن أبي الحديد المعتزلي في ((شرح نهج البلاغة)) ١٥ :١٠٠، قال: روى أبو عمر بن عبد البر قبل أن يروي هذا الحديث في أوّل باب جندب: كان النفر الّذين حضروا موت أبي ذر بالربذة مصادفة جماعة، منهم حجر بن الأدبر، ومالك بن الحارث الأشتر (يقول ابن أبي الحديد) قلت: حجر بن الأدبر هو حجر بن عدي الّذي قتله معاوية، وهو من أعلام الشيعة وعظمائها، وأمّا الأشتر فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة، قُرئ كتاب ((الاستيعاب)) على شيخنا عبد الوهاب بن سكينة المحدّث وأنا حاضر، فلمّا انتهى القارئ إلى هذا الخبر قال أستاذي عمر بن عبد الله الدباس -وكنت أحضر معه سماع الحديث-: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى والمفيد إلا بعض ما كان حجر والأشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدّمه، فأشار إليه الشيخ بالسكوت، فسكت. (انتهى)

ولنا أن نقول بعد هذا: فهل تراها ـ الشيعة الإمامية ـ تتجاوز في عقيدتها عقيدة حجر بن عدي هذه، أو تزيد وتنقص منها شيئاً، وهل ثمة شيء يعتقد به حجر بن عدي (رضوان الله عليه) ـ الّذي شهد له النبي ﷺ بالإيمان ـ لا يعتقده الشيعة الامامية؟! إنّ المنصف لا يجد خرقاً بين عقيدة الاثنين، فالشيعة الإمامية، وهذه كتبها العقائدية مطبوعة ومنشورة لا يُذكر فيها شيء يتجاوز عقيدة حجر بن عدي هذه من حيث الأساس، وهذه العقيدة بما ذكر فيها هي المائز الرئيس في الفرق بين الشيعة وغيرها من الفرق، ويكفيها – أي: الشيعة – هنا شهادة النبيّ الأعظم ﷺ لصاحب هذه العقيدة ومن كان معه من شيعة عليّ عليه السلام بالإيمان بأن تحيا وتموت على هذه العقيدة، الّتي مات عليها هذا الصحابي العظيم، وهي مطمئنة البال راضية النفس.. والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ولنا أن نقول أيضاً للتكفيريين ودعاة التشهير بأتباع أهل البيت عليهم السلام: إن كانت هذه العقيدة هي عقيدة أهل الإيمان – كما هو المستفاد من شهادة النبيّ ﷺ لحجر ابن عدي ومن كان معه من شيعة عليّ عليه السلام – فلم لا تدينون لله بها وتسيرون على هذا النهج الّذي سار عليه هذا السلف الصالح الّذي اتفق على جلالته وعظمته الجميع من دون استثناء؟! وهل تراه يسوغ لكم بعد هذا أن تكفّروا أو تقتلوا أصحاب هذه العقيدة لا لشيء سوى أنّهم يوالون عليّاً عليه السلام والأئمة الأطهار من أهل بيته عليهم السلام؟! إنّها أسئلة صريحة، تنتظر أجوبة صريحة وعندها يُعرف (السلفي) حقّاً من (المدّعي).

نخبة من التابعين الشيعة

استعرضنا سابقاً نخبة مصطفاة من الصحابة الأبرار، كانوا من سادات الصحابة بل ومن عظمائهم، من الّذين زخرت كتب الحديث بفضلهم ومناقبهم، وهم أيضاً ممّن عُرف بطاعته لله ورسوله صلى الله عليه وآله في موالاة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام واتّباعه، وكانوا من أوائل الشيعة وقادتهم الّذين ساروا على خطى النهج الّذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله للأمة في اتّباع أهل بيته عليهم السلام.

وها نحن الآن نستعرض عيّنة أخرى من التابعين لهم بإحسان، ومن سادات التابعين وعظمائهم أيضاً، من الّذين ساروا على ذات النهج الّذي سار عليه أولئك الصحابة الأبرار الّذين تقدّم ذكرهم، بما يقطع العذر على كلّ من يدّعي أنّه سلفي أو أنّه يتّبع السلف الصالح، وهو مع هذا لايتّبع هؤلاء البررة في سيرتهم ودينهم الّذي دانوا به لله سبحانه وتعالى، وهو الدين الحقّ نفسه الّذي تدين به الشيعة الإمامية اليوم وتسير على خطاه بعد أن سار عليه هذا السلف المبارك المشهود له بالجلال والعظمة.

أويس القرني (خير التابعين)

النبيّ صلى الله عليه وآله يبشّر بأويس القرني

روى أبو نعيم في (حلية الأولياء) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأبي هريرة: (يا أبا هريرة إنّ الله تعالى يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم إلا من كسب الحلال الّذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا). قالوا: يا رسول

الله كيف لنا برجل منهم؟ قال: (ذاك أويس القرني. قالوا: وما أويس القرني؟ قال: أشهل، ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره، رام بذقنه إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له، متزراً بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإنّ تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنّه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد أُدخلوا الجنّة، ويقال لأويس قف واشفع، فيشفع الله عَزَّوَجَلَّ في مثل عدد ربيعة ومضر)[١].

هذا، وقد روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن عمر بن الخطاب أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنّ خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم)[٢].

والأحاديث المتقدّمة الّتي بشّر بها رسول الله ﷺ الناس بأويس القرني جعلته (رضوان الله عليه) في حياته موضع اهتمام الناس وطلبهم، وكان عمر بن الخطاب في خلافته يسأل عنه ويطلبه ليستغفر له عند الله.

روى الحاكم في المستدرك عن أسير بن جابر قال: ((قال لي صاحب لي وأنا بالكوفة هل لك في رجل تنظر إليه؟ قلت: نعم، قال: هذه مدرجته وأنّه أويس القرني وأظنه أنّه سيمر الآن، قال: فجلسنا له فمر فإذا رجل عليه سمل قطيفة، قال: والناس يطئون عقبه، قال: وهو يقبل فيغلظ لهم ويكلّمهم في ذلك فلا ينتهون عنه، فمضينا مع الناس حتّى دخل مسجد الكوفة ودخلنا معه، فتنحى إلى سارية فصلّى ركعتين، ثمّ أقبل إلينا بوجهه فقال: يا أيها الناس مالي ولكم تطئون عقبي في كلّ سكة وأنا إنسان ضعيف تكون لي الحاجة فلا أقدر عليها معكم لا تفعلوا رحمكم الله، من كانت له إليّ حاجة فليلقني ها هنا. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل وفداً قدموا عليه: هل

(١) حلية الأولياء ٢: ٨١، ٨٢

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٨٩، مسند أحمد ١: ٣٨، المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٥٧ وصححه، ووافقه الذهبي،

سقط إليكم رجل من قرن من أمره كيت وكيت؟ قال الرجل لأويس: ذكرك أمير المؤمنين..))[١].

وفي طبقات ابن سعد عن أسير بن جابر قال: ((كان عمر بن الخطاب إذا أتت عليه أمداد اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ فلمّا كان من العام المقبل حجّ رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس القرني، قال: سمعت رسول الله يقول: (يأتي عليك أويس بن عامر من أمداد أهل اليمن من مراد.. بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)))[٢].

وهنا نتساءل ـ بحسب هذه الرواية ـ: هل استطاع (الخليفة) أن يحظى بأويس القرني ليسأله الاستغفار له كما وجهه النبيّ ﷺ إلى ذلك، إذ في قوله ﷺ: (إن استطعت) إشارة إلى إمكان عدم حصول مثل هذا الأمر؟

والجواب: إنّ الروايات في هذا المعنى مضطربة، ولعل المستفاد من بعضها عدم حصول لقاء بين أويس وعمر، وهناك روايات أخرى تشير إلى حصول مثل هذا اللقاء ولكن أويس لم يستغفر لعمر، بل انملس منه ـ أي: أفلت منه ـ كما في رواية الذهبي الآتية.

فقد روى ابن عساكر في تاريخه عن سعيد بن المسيب قال: ((نادى عمر بن الخطاب وهو على المنبر بمنى: يا أهل قرن، فقام مشايخ فقالوا: نحن يا أمير المؤمنين، قال: أفي قرن من اسمه أويس؟ فقال شيخ: يا أمير المؤمنين ليس فينا من اسمه أويس إلا مجنون يسكن القفار والرمال لا يألف ولا يؤلف، فقال: ذاك الّذي أعنيه، إذا عدتم إلى قرن فاطلبوه وبلّغوه سلامي، وقولوا له: إن رسول الله ﷺ بشّرني بك وأمرني

---

(١) تتمة الحديث في (المستدرك على الصحيحين) ٢: ٣٩٧، وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي كما في ذيل المستدرك، وقال: (صحيح على شرط مسلم).

(٢) الطبقات الكبرى ٦: ١٦٤، سير أعلام النبلاء ٤: ٢١، النهاية في غريب الحديث ٦: ١٦٤.

أن أقرأ عليك سلامه. قال: فعادوا إلى قرن فطلبوه فوجدوه في الرمال فأبلغوه سلام عمر وسلام النبيّ ﷺ، فقال: عرفني أمير المؤمنين وشهر باسمي، السلام على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله)، وهام على وجهه فلم يوقف له بعد ذلك على أثر، ثمّ عاد في أيام عليّ فقاتل بين يديه فاستشهد في صفين أمامه، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة من طعنة وضربة ورمية))[١].

ويستفاد من هذه الرواية جملة أمور:

أوّلها: عدم لقاء أويس القرني بعمر بن الخطاب بعد هذه الحادثة.

وثانياً: عدم ردّه السلام على عمر وتخصيصه السلام برسول الله ﷺ فقط.

ويستفاد أيضاً أنّ الصلاة على النبيّ ﷺ كانت كاملة عند الصحابة والتابعين وليست بتراء كما هو الشأن عند أهل السنة اليوم[٢].

وكما يستفاد منها أنّ أويس (رضوان الله عليه) ظهر في أيام أمير المؤمنين عليه السلام وقدّم نفسه كفدائي بين يدي الإمام عليه السلام ـ كما سيأتي بيانه أيضاً ـ في الوقت الّذي كان يستكثر مجرد ردّ السلام على عمر فضلاً عن اللقاء به، والفرق واضح بين الموقفين!!

وأمّا رواية الذهبي الّتي أشرنا إليها سابقاً فهي: ((قال عمر: فقدم علينا ها هنا فقلت: ما أنت ؟ قال: أنا أويس، قلت: من تركت باليمن؟ قال: أُمّاً لي، قلت: هل كان بك بياض فدعوت الله فأذهبه عنك؟ قال: نعم، قلت: أنت أخي لا تفارقني. فانملس منّي، فأنبئت أنّه قدم عليكم الكوفة))[٣]. انتهى

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٩: ٤٣٤، كنز العمال ١٤: ١٠ يرويه عن ابن عساكر، سير أعلام النبلاء ٤: ٣١. تاريخ الإسلام ٣: ٥٥٨.

(٢) وفي هذه تذكرة لمن يدّعي أنّه سلفي ولا يتّبع خير التابعين في صلاته على النبيّ ﷺ ويأتي بالصلاة البتراء دونها، قال النبي ﷺ: (لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء)، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال ﷺ: (تقولون اللّهمّ صل على محمّد وتمسكون، بل قولوا اللّهمّ صل على محمّد وعلى آل محمّد)، أُنظر الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤: ٢٤، مسند ابن المبارك: ٢٥، قال الجوهري في الصحاح ٣: ٩٨٠: يقال انملس من الأمر، إذا أفلت منه.

شفاعته (رضوان الله عليه)

مرّت بنا رواية أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (وإذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا في الجنّة، ويقال لأويس: قف واشفع، فيشفع الله عزّ وجلّ في مثل عدد ربيعة ومضر).

وفي (المستدرك على الصحيحين) قال الحاكم: ((عن عبد الله بن أبي الدعاء: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: (يدخل الجنّة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم). قال الثقفي: قال هشام: سمعت الحسن يقول: إنّه أويس القرني))[1].

وفي مسند أحمد يرويه بطريق آخر عن عبد الله بن الجدعاء: (أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: (ليدخلن الجنّة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم). فقالوا: يا رسول الله سواك، قال: (سواي سواي)[2].

وفي رواية ابن عساكر: (يدخل الجنّة بشفاعة رجل من أمتي يقال له أويس فئام[3] من الناس)[4].

وتوجد هناك العشرات من الروايات الواردة في هذا المضمون الّتي يمكن للقارئ متابعتها والاطّلاع عليها[5].

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٦١، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي كما في ذيل المستدرك.

(٢) مسند أحمد ٣: ٤٧٠.

(٣) فئام: الفئام مهموز: الجماعة الكثيرة كما في (لسان العرب) ١٢/ ٤٤٨، والنهاية لابن الأثير ٣: ٤٠٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٩: ٤٣٨.

(٥) أُنظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٣٢، المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٥٧، مصنف بن أبي شيبة ٧: ٥٣٩، كنز العمال ١٢: ٧٥، ٧٦، تاريخ الإسلام ٣: ٥٥٨، ميزان الاعتدال ١: ٢٨٢، لسان الميزان ١: ٤٧٤.

أويس القرني من شيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

ذكر الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق): ((أنّ أويس القرني عندما شهر باسمه عمر بن الخطاب وكان يطلبه هام على وجهه، ولم يوقف له بعد ذلك أثر دهراً، ثمّ عاد في أيام عليّ رضي الله عنه فاستشهد معه بصفين، فنظروا، فإذا عليه نيف وأربعون جراحة))[1].

فمن هذه الرواية، وغيرها من الروايات نلاحظ أنّ هذا الرجل العظيم الّذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخبر المسلمين عن منزلته وماله من الشأن في الدنيا والآخرة، والّذي كان لا ينطق بكلمة (غفر الله لك) في غير محلّها. يذكر نقلة الآثار عنه أنّه قد اعتزل الخلفاء قبل عليّ عليه السلام ولم يشارك في غزواتهم، إلا أنّه عند تسلّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام زمام الأمور يقبل على أمير المؤمنين عليه السلام ليقدّم نفسه كفدائي بين يديه،وهذا الفعل من أويس ـ وهو خير التابعين ـ عبرة بالغة لمن أراد الاعتبار بها والاستفادة منها في دنياه وآخرته.

روى الحاكم في مستدركه عن أبي مكين قال: ((رأيت امرأة في مسجد أويس القرني قالت: كان يجتمع هو وأصحاب له في مسجدهم هذا يصلّون ويقرؤن في مصاحفهم فآتي غداءهم وعشاءهم ها هنا حتّى يصلوا الصلوات قالت: وكان ذلك دأبهم ما شهدوا حتّى غزوا، فاستشهد أويس وجماعته من أصحابه في الرجالة بين يديَّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين))[2].

وأيضاً روى الحاكم في مستدركه من طريق الأصبغ بن نباته، قال: ((شهدت عليّاً يوم صفّين يقول من يبايعني على الموت، فبايعه تسعة وتسعون رجلاً فقال: أين

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٢، تاريخ مدينة دمشق: ٩/ ٤٣٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٤٦١، ولم يتعقبه الذهبي بشيء.

التمام؟ فجاءه رجل عليه أطمار صوف، محلوق الرأس فبايعه على القتل، فقيل: هذا أويس القرني، فما زال يحارب حتّى قتل))[١].

وقد أصبح أويساً (رضوان الله عليه) في جيش عليّ عليه السلام علامة أخرى من علامات الهدى الّتي اشتمل عليها هذا الجيش المبارك، يميّز به الناس ـ من الّذين اشتبهت عليهم الأمور ـ الحقّ من الباطل.

روى أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه ـ واللفظ له ـ والذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وابن سعد في الطبقات: عن يزيد بن زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: ((لمّا كان يوم صفين نادى مناد من أصحاب معاوية أصحاب عليّ: أفيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم، فضرب دابته حتّى دخل معهم، ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (خير التابعين أويس القرني)))[٢].

وممّا يجدر ذكره هنا أن نعرف بأنّه قد شهد مع عليّ عليه السلام يوم صفين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانون بدرياً، وخمسون ومائتان ممّن بايع تحت الشجرة[٣]، وفي رواية ابن عبد البر عن عبد الرحمن بن أبزى قال: ((شهدنا مع عليّ رضي الله عنه صفين في ثمانمائة من بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر))[٤].

وهكذا نجد أنّ هذا على الخط الّذي خطه النبيّ صلى الله عليه وآله للمسلمين في التشيّع والولاء لأهل بيته عليهم السلام من بعده مازال يحث الخطى العظماء فمن عظيم من الصحابة إلى عظيم من التابعين، ويتبعهم في هذا السير عليه المؤمنون صالح بعد صالح. قال

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٥٥ وصححه، الإصابة ١: ٣٦١.

(٢) مسند أحمد ٣: ٤٨٠، المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٥٥، سير أعلام النبلاء ٤: ٣١، الطبقات الكبرى ٦: ١٦٣، مجمع الزوائد ١٠: ٢٢ قال: رواه أحمد وإسناده جيد، الإصابة ١: ٣٦٠.

(٣) أُنظر المستدرك على الصحيحين ٣: ١١٢.

(٤) الاستيعاب ٣: ١١٣٨.

تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

كميل بن زياد (التابعي الشهير)

تابعي جليل، وعظيم من أعاظم خواص أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأصحاب سرّه، وإليه ينسب الدعاء المشهور الّذي يقرأه أتباع أهل البيت في كلّ ليلة جمعة، وقد ولاه عليّ عليه السلام مدينة هيت أيام خلافته.

قال عنه المزي في (تهذيب الكمال) بسنده عن محمّد بن عبد الله بن عمّار: (كميل بن زياد رافضي، وهو ثقة من أصحاب عليّ)، وفي موضع آخر ينقل المزي عن ابن عمّار قوله: (كميل بن زياد من رؤوساء الشيعة)[٢].

وقد وثّق هذا التابعي الشيعي (الرافضي) جماعة من كبار أئمّة الجرح والتعديل عند أهل السنّة من أمثال ابن سعد، وابن معين، والعجلي، وابن حبان، والهيثمي، وقال ابن حجر في حقّه ـ كما في الاصابة ـ: (كان شريفاً مطاعاً ثقة)، وفي موضع آخر، يقول عنه: ((التابعي الشهير له إدراك...قال ابن سعد: شهد صفين مع عليّ وكان شريفاً مطاعاً ثقة قليل الحديث وثّقه ابن معين وجماعة))[٣].

وقد روى الحاكم النيسابوري لكميل بن زياد في موردين من مستدركه وصحح حديثه، ووافقه الذهبي. ممّا يستفاد توثيقهما له أيضاً[٤]. وأيضاً روى له أحمد

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤: ٢١٩.

(٣) اُنظر على الترتيب أقوال علماء الجرح والتعديل المتقدم ذكرهم: الجرح والتعديل ٧: ١٧٤، معرفة الثقات ٢: ٢٢٩، الثقات ٥: ٣٤١، مجمع الزوائد ١٠: ٩٩، الإصابة ٣: ٣١٨، ٥: ٤٨٥، ميزان الاعتدال ٣: ٤١٥، تاريخ مدينة دمشق ٥: ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١.

(٤) اُنظر المستدرك على الصحيحين ١: ٦٩٨، ٣: ٣٥٨، وتلخيص المستدرك للذهبي.

في المسند حديثاً عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله[١]. وقد ذكره المدائني في عبّاد أهل الكوفة فقال: ((وفي أهل الكوفة من العبّاد: أويس القرني، وعمر بن عتبة بن فرقد..وكميل بن زياد النخعي))[٢].

روايته المشهورة عن أمير المؤمنين عليه السلام

روى الذهبي في (تذكرة الحفاظ) عن كميل بن زياد أنّه قال: ((أخذ عليّ رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلمّا أصحر جلس ثمّ تنفس فقال: يا كميل، القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك، الناس ثلاثة فعالم رباني، وعالم متعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال يُنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها باكتساب الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته وصنيعه، وصنيعة المال تزول بزوال صاحبه، مات خزّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، ها أنّ ها هنا ـ وأشار بيده رضي الله عنه إلى صدره ـ علماً لو أصبت له حملة، بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه يستعمل آله الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقاداً لأهل الحقّ لابصيرة له في إحيائه، يقتدح الشك في قلبه بأوّل عارض من شبهة، اللّهمّ لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللذة، سلس القياد للشهوات، أو مغري بجمع الأموال والادخار، ليسا من دعاة الدين، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللّهمّ بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجّة لئلا تبطل حجج الله وبيّناته،

---

(١) مسند أحمد ٢: ٣٠٩، ٢: ٥٢٠، ٥٣٥.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤: ٢١٩، تهذيب التهذيب ٨: ٤٠٢.

أولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عن حججه حتّى يؤدّوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، تلك أبدان أرواحها معلّقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده والدعاة إلى دينه، هاه هاه، شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك إذا شئت فقم))[١].

وهذا الأثر المبارك رواه جماعة من الحفاظ والمحدّثين، قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ((وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين، وله الأثر المشهور عن عليّ بن أبي طالب الّذي أوّله: (القلوب أوعية فخيرها أوعاها) وهو طويل، وقد رواه جماعة من الحفاظ الثقات، وفيه مواعظ وكلام حسن رضي الله عن قائله))[٢].

قصة استشهاده

(قُتل هذا التابعي الجليل بسبب تشيّعه وولائه لأمير المؤمنين عليه السلام)!

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: ((كان كميل من صحابة عليّ عليه السلام وشيعته وخاصته، وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة، وكان عامل عليّ عليه السلام على هيت))[٣]. وعن ابن حجر في (الإصابة): ((قال جرير عن مغيرة: طلب الحجاج كميل بن زياد فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلمّا رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفد عمري لا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم فخرج إلى الحجاج، فلمّا رآه قال له: لقد أحببت أن أجد عليك جميلاً، فقال له كميل: إنّه ما بقي من عمري إلا القليل فاقض ما أنت قاض فإنّ الموعد الله، وقد أخبرني أمير المؤمنين عليّ أنّك قاتلي

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ١١.

(٢) البداية والنهاية ٩: ٥٧، وانظر: كنز العمال ١٠: ٢٦٢ يرويه عن ابن الأنباري في المصاحف والمرهبي في العلم ونصر في الحجة وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر، تاريخ بغداد ٦: ٣٧٦، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧، ٥٠: ٢٥١، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٨: ٣٤٦، المعيار والموازنة: ٧٩، تهذيب الكمال ٢٤: ٢١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٧: ١٤٩.

قال: بلى، قد كنت فيمن قتل عثمان اضربوا عنقه، فضربت عنقه))[١]. وهذه الدعوى من الحجاج على كميل لم يأت عليها ببيّنة، وإنّما كانت طريقة له معروفة في ملاحقة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقتلهم. ويكفينا هنا أن نذكر ما نقله الأوزاعي عن عمر ابن عبد العزيز بحقّ الحجاج حين قال: ((لو جاءت كلّ أمّة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم))[٢]. وعن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال: ((ما بقيت لله حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج))[٣]... نقول: فأنّى للحجاج الخبيث الفاسق المرتكب للحرمات أن يقيم الحقّ أو يبطل الباطل بدعواه المتقدّمة! !

وبهذه الخاتمة كانت شهادة هذا العبد الصالح الموالي لأمير المؤمنين عليه السلام على يد أخبث الخلق، وهذه الشهادة ـ في الواقع ـ تعدّ من أشرف الشهادات، لأنّ المؤمن يخشى أن يبتلى بدمه إنسان شريف، وكما قال نافع بن هلال البجلي ـ أحد أصحاب الحسين عليه السلام ـ لقاتله شمر بن ذي الجوشن (وهو من شرار خلق الله): ((أما والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الّذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه))[٤].

زيد بن صوحان العبدي (زيد الخير)

تابعي كبير، وأحد المخضرمين، من الأخيار الأبرار الّذين ذكرهم النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يرهم، وهو كان قد أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله إلا أنّه لم تثبت له صحبة.

---

(١) الإصابة ٥: ٤٨٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٢: ١٨٦، تهذيب التهذيب ٢: ١٨٥، البداية والنهاية ٦: ٢٦٧.

(٣) البداية والنهاية ٦: ٢٦٧.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٧، البداية والنهاية ٨: ٢٠٠.

قال الذهبي في ترجمته: ((كان من العلماء العبّاد، ذكروه في كتب معرفة الصحابة، ولا صحبة له، لكنه أسلم في حياة النبيّ ﷺ، وسمع من عمر، وعليّ، وسلمان))[١].

وفي (الإصابة) لابن حجر: ((قال ابن الكلبي في تسمية من شهد الجمل مع عليّ: وزيد بن صوحان أدرك النبيّ ﷺ وصحبه، وتعقبه أبو عمر فقال: لا أعلم له صحبة وإنّما أدرك، وكان فاضلاً ديّناً، سيّداً في قومه))[٢].

وذكره الخطيب البغدادي وكذلك ابن عساكر في تاريخهما بأنّه كان ممّن يقوم الليل ويصوم النهار[٣]. وزيد (رضوان الله عليه) بعد هذا ممّن كان يحظى بثقة السيدة عائشة، كما سيأتي في كتاب لها إليه، وأيضاً كانت له المنزلة والمكانة عند عمر بن الخطاب... روى ابن سعد والذهبي وابن عساكر: أنّه وفد قوم من أهل الكوفة على عمر وفيهم زيد بن صوحان فجاءه رجل من أهل الشام يستمد فقال عمر: يا أهل الكوفة إنّكم كنز الإسلام وإن استمدكم أهل البصرة أمددتموهم، وإن استمدكم أهل الشام أمددتموهم، وجعل عمر يرحل ـ أي: يمسك زمام الراحلة ـ لزيد ويقول: هكذا فاصنعوا بزيد وإلا عذبتكم[٤].

وفي لفظ ابن أبي شيبة: ((دعا عمر زيد بن صوحان فصفنه ـ أي: فحمله ـ على الرحل كما تصفنون أنتم أمراءكم، ثمّ التفت إلى الناس فقال: افعلوا بزيد وأصحابه مثل هذا))[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٥.

(٢) الإصابة ٢: ٥٣٢.

(٣) تاريخ بغداد ٨: ٤٤٠، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٤٠.

(٤) الطبقات الكبرى ٦: ١٢٤، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٦، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٣٨.

(٥) المصنف ٦: ١٢٨.

وممّن وثّق زيد بن صوحان العبدي (رضوان الله عليه) ابن سعد في الطبقات، حيث قال: ((عن عليّ بن هاشم عن أبيه أنّ زيد بن صوحان أوصى أن يدفن معه مصحفة، وكان ثقة قليل الحديث))[١].

وأيضاً ذكره ابن حبان في (الثقات)[٢]، وقال عنه في (مشاهير علماء الأمصار): ((زيد بن صوحان من عبد القيس أبو سليمان كان من أوتي لساناً وبياناً، حضر يوم الجمل، وكان مع عليّ بن أبي طالب))[٣].

وزيد (رضوان الله عليه) قبل هذا كلّه كان ممن بشّر به النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخبر أنّه سيسبقه عضو من أعضائه إلى الجنّة، وقد عُدَّ هذا الإخبار من أعلام نبوّته صلى الله عليه وآله، وأيضاً من إرشاداته صلى الله عليه وآله ـ الّتي يدركها ذوي البصائر دون غيرهم ـ إلى الأمّة في اتّباع طريق الحقّ وأهله، إذ العلم بحسن عاقبة المرء دليل على حسن الطريق الّذي سار عليه وأوصله إلى الجنّة، وقد سار زيد بن صوحان ـ وهو المبشّر بسبق عضو من أعضائه إلى الجنّة ـ على طريق الولاء لعليّ عليه السلام حتّى استشهد بين يديه في واقعة الجمل كما سيأتي بيانه!

روى ابن سعد، وابن عساكر، والذهبي، وابن الأثير، وابن حجر، وآخرون غيرهم: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في سفر مع أصحابه، فنزل رجل من القوم فساق بهم ورجز، ثمّ نزل آخر، ثمّ بدا لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يواسي أصحابه فنزل فجعل يقول: (جندب وما جندب والأقطع الخير زيد)، ثمّ ركب، فدنا منه أصحابه فقالوا: يا رسول الله سمعناك الليلة تقول: جندب وما جندب والأقطع الخير زيد، فقال صلى الله عليه وآله: (رجلان يكونان في هذه الأمّة يضرب أحدهما ضربة تفرق بين الحقّ والباطل، والآخر تقطع

---

(١) الطبقات الكبرى ٦: ١٢٦.

(٢) الثقات ٤: ٢٤٨.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ١٦٢.

يده في سبيل الله، ثمّ يتبع الله آخر جسده بأوّله). وفي لفظ ابن عساكر: (والآخر يقال له زيد يسبقه عضو من أعضائه إلى الجنّة فيتبعه سائر جسده). قال يعلى بن عبيد: ((قال الأجلح: أمّا جندب فقتل الساحر عند الوليد بن عقبة، وأمّا زيد فقطعت يده يوم جلولاء، وقتل يوم الجمل))[١].

وروى ابن كثير في (البداية والنهاية): ((عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فلينظر إلى زيد بن صوحان). قلت: قتل زيد هذا في وقعة الجمل من ناحية عليّ))[٢].

وفي (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر: ((قال الحارث الأعور: كان ممّن ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله زيد الخير وهو زيد بن صوحان، قال صلى الله عليه وآله: (سيكون بعدي رجل من التابعين وهو زيد الخير يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة بعشرين سنة)، فقطعت يده اليسرى بنهاوند[٣]، ثمّ عاش بعد ذلك عشرين سنة، ثمّ قتل يوم الجمل بين يدي عليّ، وقال قبل أن يُقتل: إنّي قد رأيت يداً خرجت من السماء تشير إليّ أن تعال وأنا لاحق بها يا أمير المؤمنين فادفنوني في دمي فإنّي مخاصم القوم))[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى ٦: ١٢٣، تاريخ مدينة دمشق ١١: ٣١٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٥، أسد الغابة ٢: ٢٣٤، الإصابة ٢: ٥٣٣، كنز العمال ١١: ٦٦٨ يرويه عن ابن السكن وابن مندة وابن عساكر عن أبي ذر.

(٢) البداية والنهاية ٦: ٢٣٨، وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦: ٤١٦ أيضاً، ونقله ابن حجر عن أبي يعلى وابن مندة في الإصابة ٢: ٥٣٢.

(٣) في مكان قطع يد زيد بن صوحان قولان، وفي هذا يقول ابن الأثير في ((أُسد الغابة)) ٢/٢٣٤: ((زيد بن صوحان قطعت يده يوم جلولاء، وقيل بالقادسية في قتال الفرس، وقتل هو يوم الجمل)) (انتهى)، إلا أنّ الأكثر الّذي أثبته أهل الحديث والتاريخ أنّها قطعت يوم جلولاء كما عن الاستيعاب لابن عبد البر، والمعارف لابن قتيبة وغيرهم.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٣٤.

وقد روي عنه أيضاً ساعة موته أنّه قال: ((لا تنزعوا عنّي ثوباً إلا الخفين، ولا تغسلوا عنّي دماً ادفنوني في ثيابي وارمسوني في الأرض رمساً فإنّي رجل محاج أحاج يوم القيامة، وفي لفظ: فإنّي رجل مخاصم))[١].

وعن ابن حجر في (تعجيل المنفعة) قال: ((وفضائل زيد كثيرة، وقتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين))[٢].

النبيّ صلى الله عليه وآله لم يذكر إلا ثلاثة من التابعين وكلّهم كانوا شيعة لعليّ عليه السلام

الملفت للنظر أنّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله لم يذكر في أحاديثه عن التابعين، من الّذين لم يرهم ويرونه، سوى ثلاثة بشّر بهم أمّته، فذكر أسماءهم وذكر مواقفهم ومالهم من المنزلة والمكانة، وهؤلاء هم (أويس القرني ـ الّذي مرّ الحديث عنه ـ وجندب بن كعب، وزيد بن صوحان).

والمثير للانتباه في هذا الأمر بأنّ هؤلاء الثلاثة الّذين خصّهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالذكر كانوا كلّهم شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، إذ هم ممّن جاهد بين يديه عليه السلام واستشهد في المعارك الّتي خاضها الإمام عليه السلام ضدّ مناوئيه[٣]! وهذا الأمر ـ في واقعه ـ يُعدّ رسالة ذات مغزى كبير تعين الساعين في الوصول إلى الحقّ وأهله، وهي كغيرها من الإشارات الّتي أرسلها النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أُمّته في هذا الجانب، فليعتبر بها مَن يعتبر!

---

(١) السنن الكبرى ٤: ١٧، مصنف عبد الرزاق ٣: ٥٤٢، ٥: ٢٧٤، مصنف بن أبي شيبة ٣: ١٣٩، ٧: ٦٠٦، تلخيص الحبير ٢: ١٤٤ قال ابن حجر: قال ابن عبد البر: إنّه جاء بطرق صحاح، تفسير القرطبي ٤: ٢٧١، الطبقات الكبرى ٦: ١٢٥.

(٢) تعجيل المنفعة: ١٤٣.

(٣) أويس رحمه الله استشهد بصفين وقد مرّ بيانه، وجندب رحمه الله قاتل الساحر استشهد يوم صفين نصّ على ذلك الزبير بن بكار في الموفقيات، وزيد رحمه الله استشهد يوم الجمل كما مرّ بيانه.

جاء في سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود: ((سمعت أبا داود السجستاني يقول: ذكر النبيّ ﷺ ثلاثة من التابعين جندب العلقي، وأويس القرني، وزيد بن صوحان))[١].

وفي هذا أيضاً روى ابن عساكر: ((عن جابر، عن محمّد بن عليّ عليه السلام ومحمّد ابن المطلب وزيد بن حسن، قالوا: شهد مع عليّ بن أبي طالب في حربه من أصحاب بدر سبعون رجلاً، وشهد معه ممّن بايع تحت الشجرة سبع مائة رجل فيما لا يحصى من أصحاب رسول الله ﷺ، وشهد معه من التابعين ثلاثة بلغنا أنّ رسول الله ﷺ شهد لهم بالجنّة أويس القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير، فأمّا أويس القرني فقتل في الرجالة يوم صفين، وأمّا زيد بن صوحان فقتل يوم الجمل))[٢].

ومن المعروف أنّ جندب هو الّذي قال فيه رسول الله ﷺ: (يضرب ضربة تفرق بين الحقّ والباطل)[٣]، وفي لفظ ابن السكن وابن مندة وابن عساكر: (وإنّما جندب فيضرب ضربة يكون فيها أمّة وحده)[٤]، فهو الّذي قتل الساحر الّذي كان يقوم بألعابه وشعوذاته أمام الوليد بن عقبة الّذي كان والياً على الكوفة من قِبل عثمان ابن عفان، فصعد إليه واخترط سيفه وضربه ضربة فرّقت بين رأسه وجسده، ثمَّ قال مخاطباً له: إن كنت صادقاً أيّها الساحر فأحي نفسك. فأنكر عليه الوليد ذلك، ثمَّ أراد أن يقتله به فمنعه الأزد، فتراءى له أن يحبسه ثمّ يقتله غيلة، وقد كان على السجن الّذي وضعه فيه رجل نصراني كان قد تأثّر بجندب كثيراً لما رآه منه من قيام ليله وصيام نهاره، فكان من أمره أن أوكل بالسجن رجلاً، وخرج يسأل الناس هذا السؤال: من هو أفضل أهل الكوفة؟ فقالوا له: الأشعث بن قيس، فاستضافه فرآه ينام

---

(١) سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود ١: ١٨٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٤٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٦: ١٢٣، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٦، أسد الغابة ٢: ٢٣٤.

(٤) كنز العمال ١١: ٦٦٩ ينقله عن الثلاثة عن أبي ذر، الإصابة ٢: ٥٣٢.

الليل ثمّ يصبح فيدعو بغدائه، فخرج من عنده وسأل: أيّ أهل الكوفة أفضل؟ قالوا: جرير بن عبد الله، فذهب إليه فوجده ينام الليل ثمَّ يصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلة، وقال: ربّي ربّ جندب، وديني دين جندب، وأسلم[١].

وفي (مروج الذهب) : ((نظر السجّان إلى قيام ليله إلى الصبح، فقال له: انج بنفسك، فقال له جندب: تقتل بي، قال: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من أولياء الله، فلمّا أصبح الوليد دعا به وقد استعدّ لقتله، فلم يجده، فسأل السجّان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السجّان وصلبه بالكناسة))[٢].

ثبات زيد بن صوحان على المبدأ

وبالعودة إلى زيد (رضوان الله عليه) نقول: إنّ هذا الرجل العظيم ـ المبشّر بالجنّة ـ كان من أبرز الداعين إلى الحقّ وأهله، وكان من أهل الثبات على المبدأ لا يثنيهم في البقاء على موقفهم تنوّع وسائل الترغيب أو الترهيب الّتي تُعرض عليهم.

قال له سلمان يوماً: كيف أنت إذا اقتتل القرآن والسلطان؟ قال: إذا أكون مع القرآن، قال: نعم الزيد إذا أنت[٣].

ولمواقفه في الإصحار بالحقّ نجد مثل سعيد بن العاص والي الكوفة الجديد الّذي عيّنه عثمان بن عفان بدلاً عن الوليد بن عقبة يشتكي لعثمان من زيد بن صوحان وأصحابه أمثال مالك الأشتر، وكميل بن زياد النخعي، والحارث الهمداني، وجندب بن كعب الأزدي، من المعروفين بولائهم لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام والمناهضين لحكم بني أمية، فيأمره عثمان بتسييرهم إلى الشام، فيكتب معاوية من

---

(١) الأغاني ٥: ١٥٧، شرح نهج البلاغة ١٧: ٢٤٣، تهذيب الكمال ٥: ١٤٣ ـ ١٤٦، سير أعلام النبلاء ٥: ١٥٧، الإصابة ١: ٦١٦.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٣٨.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٢٠٥، ٨: ٦٤١، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٤١.

الشام إلى عثمان: ((إنّك بعثت إليَّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلّموهم ما لا يحسنونه حتّى تعود سلامتهم غائلة، واستقامتهم اعوجاجاً)) فكتب عثمان إلى معاوية أن يسيّرهم إلى حمص، ففعل وكان واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة.. ويقال: إنّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضج منهم سعيد ثانية فكتب في تسييرهم إلى حمص، فنزلوا الساحل[١].

وجاء في تاريخ الطبري: ((لمّا قدمت عائشة رضي الله عنها إلى البصرة كتبت إلى زيد ابن صوحان: من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أمّا بعد فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذّل الناس عن عليّ))[٢]، وفي شرح النهج للمعتزلي أنّها كتبت له: ((أمّا بعد فأقم في بيتك، وخذّل الناس عن عليّ، وليبلغني عنك ما أحب، فإنّك أوثق أهلي عندي، والسلام))[٣].

قال الطبري: ((فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّا بعد فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك وإلا فأنا أوّل من نابذك))، ثمّ نقل الطبري عن زيد بن صوحان قوله: ((رحم الله أم المؤمنين أُمرت أن تلزم بيتها وأُمرنا أن نقاتل، فتركت ما أُمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه))[٤].

وقد وقف زيد (رضوان الله عليه) بعد رسالته هذه إلى عائشة في أهل الكوفة يخطب فيهم ويحثّهم على المسير إلى نصرة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والقتال بين يديه. وعن الطبري وابن كثير: ((فقام زيد فشال يده المقطوعة...ثمّ قرأ ﴿ألم ۞

---

(١) أنساب الأشراف ٦: ١٥٦، وأنظر أيضاً: تاريخ المدينة لابن شبه النميري ٣: ١١٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦: ٢٢٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٢، البداية والنهاية ٧: ٢٦١.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا..﴾ إلى آخر الآيتين[١]، وقال: سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين، وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحقّ))[٢].

وعلى هذه العقيدة قاتل زيد بن صوحان بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام في واقعة الجمل قتال الأبطال حتّى نالت منه الجراحات مبلغاً، فأتاه أمير المؤمنين عليه السلام وبه رمق فوقف عليه وقال له: (رحمك الله يا زيد، فوالله ما عرفناك إلا خفيف المؤنة، كثير المعونة). قال: فرفع إليه رأسه فقال: وأنت يرحمك الله، فوالله ما عرفتك إلا بالله عالماً، وبآياته عارفاً، والله ما قاتلت معك عن جهل ولكن سمعت حذيفة بن اليمان يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (عليّ أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ألا وإن الحقّ معه، ألا وإنّ الحقّ معه يتبعه، ألا فميلوا معه)[٣]. رحم الله زيداً وأسكنه الجنّة مع إمامه أمير المتّقين عليه السلام.

وبهذا التابعي الجليل نكتفي بذكر هذه النخبة المباركة من سادات التابعين، بعد أن ذكرنا قبلهم نخبة مباركة من سادات الصحابة الّذين عُرفوا بولائهم وتشيّعهم لأمير المؤمنين عليه السلام في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، وبعد وفاته أيضاً، وقد كان ذلك منهم امتثالاً لأوامره صلى الله عليه وآله الّتي صدح بها منذ بداية البعثة في يوم الدار عند نزول آية الإنذار[٤] إلى يوم الرزية[٥]، أي: قبل التحاقه صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى ببضعة أيام. فإنّ تشيّع هؤلاء

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ١ و٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٩، البداية والنهاية ٧: ٢٦٣.

(٣) المناقب للخوارزمي: ١٧٧ يرويه عن ابن مردويه.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء، الآية ٢١٤) وقد تقدّم بيانه في أوّل الكتاب.

(٥) وهو اليوم المعروف برزية يوم الخميس، أُنظر صحيح البخاري ٤: ٣١ باب هل يستشفع إلى أهل الذمة، ٤: ٦٦ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ٥: ١٣٧ باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته...وقد تقدّم الحديث عن هذه الرزية عند ترجمتنا لجانب من حياة ابن عباس، فراجع ثمة.

الصحابة الأبرار المار ذكرهم ـ وهناك الكثير من الصحابة والتابعين غيرهم[١] ـ وتشيّع التابعين يدحض دعاوى المدّعين بأنّ التشيّع ظهر متأخّراً وبفعل عوامل سياسية ليس للشارع دخل فيها، ونقول لهؤلاء المدّعين هنا كما قال المولى سبحانه: ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[٢].

وفي الختام نقول للمتمسلفين ـ الّذين يدّعون أنّهم أتباع السلف الصالح ـ ألا يعدّ هؤلاء السادات، المتقدّم ذكرهم، من الصحابة العظام والتابعين الكرام، من الّذين علّق النبي ﷺ على صدورهم أوسمة الفضل والفخار وجعلها مناقب تتلوها الأجيال جيلاً بعد جيل، من أعيان السلف عندكم، الواجب عليكم اتّباع سيرتهم واقتفاء أثرهم وهم قد شهد بفضلهم القريب والبعيد؟! وقد كان من سيرتهم أنّهم امتثلوا لرسول الله ﷺ قوله باتّباع أهل بيته عليهم السلام ومولاتهم، فتسيروا كما ساروا وتهتدوا بهديهم كما اهتدوا.. أم أنّ (سلفيتكم) الأموية الهوى تنأى بكم عن كلّ ما يمت إلى أهل البيت عليهم السلام بصلة، وتأبى عليكم اتّباع هؤلاء الأخيار الأبرار؟!

ونقول لهؤلاء أيضاً: إن كنتم تنأون عن اتّباع هؤلاء الأبرار الّذين شهد النبيّ ﷺ لمعظمهم بالجنّة في أحاديث صحيحة لا يختلف عليها اثنان من أهل الإسلام، فهل تراه يعجبكم أن تتّبعوا ممّن شكك النبيّ ﷺ في حسن عاقبته ولم يقلّده وساماً كما قلّد الّذين تقدّم ذكرهم من الصحابة والتابعين؟! وهو البحث الّذي سنتناوله بالتحليل والتفصيل في الصفحات القليلة القادمة.

---

(١) بالإمكان مراجعة كتاب (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة) للسيد علي خان المدني للاطّلاع على طبقات الشيعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

(٢) سورة طه، الآية ٦١.

ماذا عن سلف القوم؟!!

(مواقف لابدّ من التأمل فيها)!

قال مالك في كتابه (الموطأ): ((عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، أنّه بلغه أنّ رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم)، فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله ﷺ: (بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي). فبكى أبو بكر، ثمّ بكى، ثمّ قال: أئنّا لكائنون بعدك؟))(١)

والحديث صريح في أنّ حسن العاقبة موقوف على ما سيحدثه البعض بعد رسول الله ﷺ من أحداث، ولم يصرّح النبيّ الأعظم ﷺ هنا لسائله بالجنّة، مع أنّ السائل كان يذكر للنبيّ ﷺ من الإيرادات والاحتجاجات ليحظى بشهادته ﷺ له بحسن العاقبة، إلا أنّ النبيّ ﷺ لم يمنحه ذلك الوسام واكتفى بقوله: (بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي)!!

وهذا المعنى الوارد في هذا الحديث ـ أي: الإحداث بعد رسول الله ﷺ ـ يتفق تماماً مع ما جاء ذكره من أحاديث الحوض المعروفة الواردة في صحاح أهل السنّة، والّتي جاء في بعضها قوله ﷺ: (يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا ربِّ أصحابي فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)(٢).

---

(١) الموطأ ٢: ٤٦١.

(٢) صحيح البخاري ٧: ٢٠٨ باب في الحوض وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

وأمّا الأحداث الّتي جرت بعد النبيّ ﷺ، والّتي أحدث فيها بعض الأصحاب ما خالفوا فيه الكتاب والسنّة فهي كثيرة، ولعل أبرزها هو الاعتداء على عترة النبيّ ﷺ وابتزاز حقّها، وأشدّ تلك المواقف هو السعي إلى حرق بيت الزهراء فاطمة عليها السلام بضعة المصطفى ﷺ ووديعته في أمّته، والّتي قال فيها النبيّ ﷺ: (فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها)[1]. والّتي قال النبيّ ﷺ فيها وفي بعلها وبنيها: (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)[2].

وفي هذه الحادثة الّتي طار صيتها، يقول حافظ إبراهيم شاعر النيل:

وكلمـــة لعلـــيّ قالهـــا عمـــر — أكـــرم بـــسامعها أعظـــم بملقيهـــا

حرّقت بيتك لا أبقي عليك بها — إن لـم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص بقائلها — يومـــاً لفـــارس عـــدنان وحاميهـــا

وقد اعترف أبو بكر بهذه الحادثة، ونعني بها حادثة الكشف عن بيت الزهراء عليها السلام ومحاولة الاعتداء عليه، حيث قال في مرض موته ـ فيما نقله المحدّثون والمؤرخون عنه ـ: ((أمّا أنّي لا آسي على شيء في الدنيا إلا على ثلاثة فعلتهن، وودت أنّي لم أفعلهنّ (ثمّ ذكر) فوددت أنّي لم أكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب))[3].

---

(١) الآحاد والمثاني ٥: ٣٦١.

(٢) مسند أحمد ٢: ٤٤٢، سنن الترمذي ٥: ٣٦٠ ح ٣٩٦٢ يرويه بسند صحيح إلى زيد بن أرقم، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦١ قال الحاكم: هذا حديث حسن...ثمّ ذكر له شاهداً بلفظ (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم) وكلا الحديثين لم يتعقبهما الذهبي بشيء.

(٣) المعجم الكبير ١: ٦٢، الأحاديث المختارة ١: ٨٩ وقال عنه حديث حسن، كنز العمال ٥: ٦٣٢ ينقله عن أبي عبيد في كتاب الأموال وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي في فضائل الصحابة وعن الطبراني في الكبير وابن عساكر وعن الضياء المقدسي صاحب المختارة، تاريخ دمشق ٣: ٤٢٢، معجم ما استعجم ٣: ١٠٧٧، الإمامة

وقد ذكر كلّ من البخاري ومسلم في صحيحيهما أنّ فاطمة عليها السلام غضبت على أبي بكر وهجرته عندما منعها إرثها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تزل مهاجرته حتّى توفيت[١].

هذا، مع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد شهد لابنته فاطمة عليها السلام في هذا المورد بالذات ـ أي: مورد الرضا والغضب ـ أنّ رضاها وغضبها لا يكون إلا عن حقّ، فقال صلى الله عليه وآله مخاطباً ابنته فاطمة عليها السلام: (إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[٢]، ومن المسلّم ضرورة أنّ رضى الله وغضبه لا يكون إلا للحقّ وبالحقّ!

وأيضاً قال النبيّ صلى الله عليه وآله: (إنّما فاطمة شجنة ـ أي: قرابة مشتبكة ـ منّي، يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها)[٣].

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله قبل هذا قد أوصى أمّته بأهل بيته عليهم السلام، وقال صلى الله عليه وآله مكرراً ذلك على أصحابه: (أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي)[٤].

والسياسة ١: ٢٤، وأمّا عن التهديد بالإحراق فيمكن مراجعة تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣، شرح نهج البلاغة ٦: ٤٨، السقيفة وفدك: ٧٣.

(١) صحيح البخاري ٤: ٤٢ باب فرض الخمس، صحيح مسلم ٥: ١٥٤. وهذه القضية، أي: منع أبي بكر لفاطمة عليها السلام إرثها أو نحلتها (على قول) من رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان ـ أي: هذا المنع ـ حقّاً لما سعى الّذين= =جاءوا من بعد أبي بكر في إرجاع الحقّ إلى أهله كما فعل عمر بن عبد العزيز (أُنظر سنن أبي داود ٢: ٢٤)، والجدير بالذكر هنا بأنّه قد أجمع العلماء على أنّ الخبر الّذي احتج به أبو بكر في منع فاطمة عليها السلام حقّها يعدّ خبراً واحداً، ومن المعلوم أنّ الخبر الواحد لا ينسخ ـ بالاتفاق ـ الكتاب الكريم الّذي صدح بمواريث الأنبياء!

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٧ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٣ قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن، المعجم الكبير ١: ١٠٨، ٢٢: ٤٠١ كنز العمال ١٢: ١١١، ذخائر العقبى: ٣٩، سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٤.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣: ١٦٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح مسلم ٧: ١٢٣ باب فضائل عليّ عليه السلام مسند أحمد ٤: ٣٦٧، سنن البيهقي ١: ١١٤، سنن النسائي ٥: ٥١، صحيح ابن خزيمة ٤: ٦٣، المعجم الكبير ٥: ١٨٣.

والسؤال الّذي يرد على الذهن إزاء هذا الحديث الّذي رواه مسلم وغيره، هو: ما هي علّة التكرار ـ وبهذا الشكل ـ في هذا الحديث؟ فهل تراه ﷺ كان يتوقع أمراً يُحدثه أصحابه ـ لأنّ الخطاب كان متوجهاً إليهم ـ في حقّ أهل بيته يكون خلاف الحقّ والإنصاف، ومن هنا شدد عليهم الخطاب بقوله: (أُذكّركم الله في أهل بيتي...أُذكّركم الله في أهل بيتي)؟!

وإن أردنا أن نغض الطرف عن ذلك بداهة ونقول: هل تراه قد حفظ الأصحاب هذه الوصية للنبيّ ﷺ في حقّ أهل بيته وأحلّوهم محل التكريم والتقدير اللائق بهم في الأمّة، ولم يأتوا بالحطب ليحرقوا دارهم عليهم بعد أيام من وفاته ﷺ، وأيضاً لم يخرجوا عليهم ليقاتلوهم أويحرّضوا الناس على قتالهم في الجمل وصفين والنهروان، وكذلك أيضاً لم يعلنوا سبّهم على المنابر الّتي شيّدها لهم سيّد هذا البيت النبيّ الأعظم ﷺ، ولم يذبحوا أبناءه أو يسبوا نساءهم كما فعلوا في فاجعة كربلاء وغيرها؟!

إنّها مجرد أسئلة نطرحها على عشاق الحقيقة وطلابها عسى أن يجدوا في الإجابة عليها بصيص النور الّذي أراد إضاءته لهم النبيّ ﷺ في حديث الوصية هذا!

وهنا قد يقول قائل: إنّ بعض من أُشير إليه ها هنا – ومن سيأتي ذكره لاحقاً – هو من المبشّرين بالجنّة، وحديث العشرة المبشرة خير دليل على ذلك!

نقول: إنّ هذا الحديث باطل وغير صحيح، إذ لا يوجد في طرقه إسناد صحيح يصح الاحتجاج به، لمحل الخدش في الرواة، وهو تفوح منه رائحة السياسة الأموية المعلومة الأهداف، والتي أشاعت وضع الأحاديث في فضائل الصحابة كيداً لأهل البيت عليهم السلام[١]، وأيضاً نص الرواية لا يمكن التعويل عليه لمحاولته الجمع بين الأضداد.

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١١: ٤٥، والنصائح الكافية: ٩٨.

فالحديث الّذي يرويه سعيد بن زيد ـ وهو أحد العشرة المبشّرين حسب روايته ـ لم يظهر إلا في زمن معاوية[١].

أمّا الرواية الأخرى للحديث الّتي يرويها عبد الرحمن بن حميد الزهري، عن أبيه حميد، عن عبد الرحمن بن عوف تارة، وعن رسول الله ﷺ أخرى[٢]، فهي لا تصح أيضاً، لأنّ هذا الإسناد باطل لا يتم، نظراً لوفاة حميد بن عبد الرحمن ـ وهو ليس صحابياً وإنّما كان من التابعين ـ سنة ١٠٥هـ[٣] عن ٣٧ عاماً، وهذا يعني أنّه مولود سنة ٦٨ هـ، أي: في سنة وفاة عبد الرحمن بن عوف أو بعدها بسنة، ولذلك يرى ابن حجر رواية حميد عن عمر وعثمان منقطعة قطعاً[٤]، وعثمان قد توفي بعد عبد الرحمن بن عوف.

ومن أراد الاطّلاع التفصيلي على بطلان هذا الحديث بمختلف طرقه وتهافت متنه فلينظر الجزء العاشر، الصفحة الثامنة عشر بعد المائة، من موسوعة العلامة الأميني (الغدير). وأيضاً الجزء الواحد والأربعين من مجلة (تراثنا) الّتي تصدر عن مؤسسة آل البيت عليهم السلام في قم المقدّسة... بل ولدعاة البحث الموضوعي والطرح الجاد ننصح بالعودة إلى الأجزاء ٥ (ص ٢٨٥ ـ ٣٠٦)، و٧ (ص ٨٧ ـ ٩٦)، و١٠ (ص ٧٣ ـ ١٣٢) من الموسوعة المتقدّمة ليقفوا بالتحقيق على صحة الفضائل المنسوبة للبعض من عدمها... وليس علينا أن نأخذ شيئاً أو نعتقد به ما لم نقطع بصدقه أو صحته، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

---

(١) أُنظر: سنن أبي داود ٢: ٤٠١، سنن الترمذي ٥: ٣١١، ٣١٥، مسند أحمد ١: ١٨٧، ١٨٨.

(٢) أُنظر: سنن الترمذي ٥: ٣١١، مسند أحمد ١: ١٩٣، أُسد الغابة ٢: ٣٠٧.

(٣) كما اختاره أحمد، والفلاس، والحربي، وابن أبي عاصم، وابن خياط، وابن سفيان، وابن معين؛ أُنظر: تهذيب التهذيب ٣: ٤١.

(٤) تهذيب التهذيب ٣: ٤٦.

مَسْؤُولاً﴾[١]. وقال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: (اغد عالماً أو متعلّماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك، والخامسة: أن تبغض العلم وأهله)[٢]. وعن عليّ عليه السلام قال: (أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت)[٣].

ونقول أيضاً للمتمسلفين ـ أدعياء اتّباع السلف الصالح ـ الّذين يرغبون عن اتّباع السادات العظام الّذين مرّ ذكرهم من الصحابة والتابعين الّذين ساروا على هدى الثقلين الكتاب والعترة معاً: هل تراه يعجبكم أن تتابعوا من شكّك بنبوّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله مع أنّه كان قد صاحب النبيّ صلى الله عليه وآله مدّة عشرين عاماً، أي: من يوم إسلامه إلى اليوم الّذي ظهر فيه هذا الشك منه وهو يوم الحديبية؟! وقد كان الشيء الّذي أثار هذا الصحابي ودعاه للتشكيك بنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله هو الصلح الّذي أجراه النبيّ صلى الله عليه وآله مع المشركين، فأقبل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله يكلّمه بكلّ جرأة، ويقول له: ألست نبيّ الله حقاً؟ فقال له النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله: (بلى)، قال: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال صلى الله عليه وآله: (بلى)، قال: فلم نعطي الدنية من ديننا إذن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ـ ليعيد هذا الصحابي إلى رشده بعد أن تمادى في شكّه، وليعلمه إنّما يُكلّم نبيّاً مرسلاً مؤيداً ومسدداً من قبل السماء، وهو الأمر الّذي لا ينبغي أن يغيب عن ذهن هذا الصحابي الّذي رافق النبيّ صلى الله عليه وآله مدّة عشرين عاماً قبل هذه الحادثة ـ: (إنّي رسول الله ولست أعصيه)! وفي كلامه صلى الله عليه وآله هنا إشارة إلى أنّ فعل الصلح الّذي صدر منه صلى الله عليه وآله في الحديبية إنّما كان

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) مجمع الزوائد ١: ١١٩ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الثلاثة والبزار ورجاله موثقون.

(٣) الموسوعة الفقهية الميسرة ٢: ١٠٣.

وأقول: يكفي أن تلاحظ عدم وجود مصداقية لحديث العشرة المبشرة بأن تجد مثل عمر بن الخطاب – وهو أحد العشرة المبشرة بحسب هذا الحديث ـ يقدم على حذيفة بن اليمان ويسأله: يا حذيفة بالله أنا من المنافقين؟! مقدّمة فتح الباري: ٤٠٢، فتأمّل ذلك وتدبّره.

بأمر من الله سبحانه وتعالى،(وهو ناصري)، وفيه إشارة إلى التأييد والتسديد الّذي يتلقاه (صلوات الله وسلامه عليه) من المولى سبحانه.

ولكن، هل تراه اكتفى هذا الصحابي بهذه البيانات النبوية الواضحة والصريحة الواردة في كلامه ﷺ فيما أشكل عليه، ولم يتابع أقواله المتقدّمة بقوله الآتي: أو لست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟! فقال له النبيّ الأعظم ﷺ: (بلى، فأخبرتك أنّا نأتيه العام)؟ قال: لا، قال النبيّ ﷺ له: (فإنّك آتيه ومطوّف به).

ومع هذا لم يكتف هذا الصحابي بما واجه به النبيّ ﷺ من كلام مشكك بالنبوّة هنا، ولا بما استمع إليه من جواب منه ﷺ، بل ذهب إلى أبي بكر وواجهه بمثل ما واجه به النبيّ الأقدس ﷺ من الكلام، وأيضاً بنفس العبارات التشكيكية المتقدّمة بل وأشدّ منها، حيث قال لأبي بكر: ((يا أبا بكر أليس هذا (!!) نبيّ الله حقّا؟!)).

طبعاً وللمرء أن يتصوّر معنى الإتيان باسم الإشارة (هذا) في مثل هذا السياق، ومن حقّ القارئ أن يطالب علماء المسلمين وبالأخص علماء التفسير في تشخيص الّذين أساؤوا إلى النبي ﷺ ولم يمتثلوا لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾[(١)]، ويظهروهم للأمّة بأسمائهم وأفعالهم كي لا يشتبه على الأمّة الأمر في سلفها! وهنا قال أبو بكر لهذا الصحابي المشكك: ((بلى))، قال: ((ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل))؟ قال: ((بلى))، قال: ((فلم نعطي الدنية من ديننا إذن؟))[(٢)].

وهكذا يستمر هذا (الصحابي) في تشكيكاته وإيرادته المخدشة بحقّ النبيّ ﷺ حتّى بعد استماعه لكلام النبيّ الأعظم ﷺ وردوده المباشرة على هذه الإيرادات، بل وحتّى بعد استماعه لكلام صاحبه أبي بكر ابتداءً، فقد أصرّ على

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٢.

(٢) راجع تمام الحادثة في صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، وصحيح مسلم في باب صلح الحديبية.

إطلاق تلك العبارات المخدشة بالنبي ﷺ، مع أنّ المولى سبحانه قال: **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾**[١].

ولا يتصورنّ أحداً أنّ هذا الصحابي المشكك بنبوّة النبيّ محمّد ﷺ، وبعد عشرين سنة من صحبته له أنّه رجل عادي في الترتيب السلفي عند القوم، بل الأمر على العكس من ذلك تماماً، فهو يقف على قمة الهرم عندهم، ومنه يأخذون دينهم، وعنه تصدر عقائدهم وانتماءاتهم للإسلام!

ثمّ قيل بعد ذلك أنّ عمر بن الخطاب كان يقول في هذه القضية: «ما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الّذي صنعت مخافة كلامي الّذي تكلّمت به يومئذ»[٢].

موقف آخر!

لم يكن الموقف المتقدّم هو الموقف الوحيد من هذا الصحابي بحيث لم تتبعه مواقف أخرى تبرز فيها جرأته واضحة للعيان على الجناب الأقدس للنبيّ ﷺ كهذه الحادثة الّتي يذكرها المحدّثون أنّه قام بجذب رسول الله ﷺ من ثوبه وأمام الناس، وفي رواية أنّه قام في صدره (!!) وذلك كي يمنعه من أداء الصلاة على عبد الله بن أبي سلول!

والمثير في الأمر بل المحزن حقاً أنّ هذا الصحابي الّذي يعدّه القوم من المحدّثين والملهمين عندهم ـ كما تصفه بذلك رواياتهم[٣] ـ كيف غاب عنه ذلك

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٢٥، تفسير ابن كثير ٤: ٢١١، تاريخ الطبري ٢: ٢٨٠.

(٣) جاء في صحيح البخاري ٤: ١٤٩ أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنّه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدّثون، وإنّه إن كان في أمتي فإنّه عمر بن الخطاب)!

التحديث والإلهام المدّعى في إدراك المصلحة في هذا الفعل من النبيّ ﷺ والفعل الّذي سبق الحديث عنه، وكيف لم تسعفه موافقاته الّتي ينسبها لنفسه مع ربّه[1] كي تجنّبه ـ على الأقل ـ إساءة الأدب مع النبيّ الأعظم ﷺ في هذا الموقف والمواقف الأخرى، وقد جاءت الأوامر الإلهية للصحابة جميعاً ومن دون استثناء ـ كما مرّت الإشارة إليه سابقاً ـ واضحة وصريحة بأن يحسنوا خطابهم مع النبيّ ﷺ في آيات عديدة، وفي بعضها نهاهم المولى سبحانه حتّى عن رفع أصواتهم إن كانوا في حضرته المقدّسة فضلاً عن جذب ثوبه أمام الناس ومخاطبته بكلام يشتمل على الأمر والنهي، وهو ممّا لا يصح صدوره عن تلميذ في حقّ أُستاذه فضلاً عن مسلم في حقّ نبيّه الأعظم ﷺ!!

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾، وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]. فالمولى سبحانه قد جعل غض الصوت والاستكانة في الحضرة النبوية المقدّسة علامة الامتحان للتقوى والبشارة بالمغفرة والأجر العظيم، وما خالف ذلك يكون محبطاً للأعمال من حيث لا يشعر المرء!

والحادثة باختصار: أنّه لمّا توفي عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين في حياة رسول الله ﷺ جاء ابنه عبد الله[3] وأهله فسألوا رسول الله ﷺ أن يصلي عليه، فقام النبيّ ﷺ بين يدي الصف يريد ذلك فجاء عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، وفي

---

(١) كما في رواية أحمد في المسند ١: ٢٣ عن عمر بن الخطاب أنّه قال: (وافقت ربّي في ثلاث...((الخبر)).

(٢) سورة الحجرات، الآيتين: ٢، ٣.

(٣) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٩٤٠ في ترجمة عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول: ((.. وكان اسمه الحباب فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وكان أبوه عبد الله بن أبي سلول يكنّى أبا الحباب بابنه الحباب، وهو [أي: عبد الله الابن] من فضلاء الصحابة وخيارهم شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ)) (انتهى)

لفظ (عن عمر نفسه): تحوّلت حتّى قمت في صدره، وفي لفظ: فجذبه من خلفه. وقال ـ أي: عمر ـ: ألم ينهك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال النبيّ ﷺ: (إنّي خُيِّرت فاخترت فقيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾)[1].

فهل ترى ـ أيها القارئ الحصيف ـ أنّ هذه الجرأة، وهي واضحة وجلية للعيان، لم تحبط عمل هذا الصحابي ـ كما تنص عليه الآية المتقدّمة ـ بل عدّها البعض كرامة من كراماته، ومن موافقاته لربّه، لأنّه نزل عقيب هذه الحادثة قوله تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾[2].!!

والطريف في الأمر، بل هو المؤلم حقاً: أنّ هؤلاء المدّعين يريدون القول بأنّ النهي الوراد في الآية الّتي نزلت بعد تلك الحادثة، كان ممّا ألهمه عمر وحرّمه رسول الله ﷺ! فهل رأيتم أشنع وأفضع من هذا الغلو الفاضح والتجنّي الظاهر؟! فالحادثة السابقة واضحة، وهي تحكي في بعض نصوصها أنّ عمر قال للنبيّ ﷺ: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال لك: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[3]؟![4]

فهذا النص يدل على أنّ عمر قد استفاد النهي وفهمه من هذه الآية نفسها لا بالإلهام والموافقات كما يحاول البعض فذلكته!! مع أنّ الآية الآنفة الذكر لا تدل على هذا المعنى بشيء، فإنّك لو عرضتها على أيّ عالم من علماء الأصول عند المسلمين وأخبرته عن دلالتها على النهي لقال لك: إنّها لا تفيد النهي بشيء، وإنّما هي مجرد إخبار بعدم انتفاعهم باستغفاره ﷺ لهم، وأنّ هذا الاستغفار لهم وإن كثر،

---

(١) أُنظر الحادثة في: صحيح البخاري ٥: ٢٠٧ باب قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، مسند أحمد ١: ١٦، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٢: ٥٥.

(٢) أُنظر القرطبي في تفسيره ٨: ٢١٩..والآية المذكورة أعلاه هي الآية ٨٤ من سورة التوبة.

(٣) سورة التوبة :٨٠.

(٤) صحيح البخاري ٧: ٣٦ كتاب اللباس.

فهو وعدمه على حدّ سواء في عدم الانتفاع. وأمّا النهي عن الصلاة على المنافقين فهو قد جاء بقوله تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾[١]، والّتي هي بالإجماع نزلت بعد هذه الواقعة، ومن هنا نجد أنّ النبيّ ﷺ قال لعمر قبل نزول آية النهي: (أخّر عنّي يا عمر إنّي خُيِّرت)[٢].

فالأمر ـ الّذي يراد تلبيسه على الأمّة ـ بأنّ النواهي الواردة في القرآن الكريم يفهمها ويدركها صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ ويغفل عنها النبيّ ﷺ وهو الموكّل ببيان الآيات وأحكامها للمسلمين من قبل المولى سبحانه كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، فهل يعقل هذا؟!

وصلاته ﷺ على هذا الرجل إنّما كانت جرياً على ظاهر الإسلام، ولم يكن يومئذ نهي عن الصلاة على المنافقين كي يمتثل له النبيّ ﷺ، وأيضاً كانت هذه الصلاة منه ﷺ استئلافاً للخزرج (قبيلة عبد الله بن أبي)، فقد نُقل ـ كما أثبت ذلك المؤرخون والمحدّثون ـ أنّه قد أسلم منهم ـ أي: الخزرج ـ عقيب هذا الموقف من رسول الله ﷺ تجاه زعيمهم ـ والّذي كان رأساً فيهم ـ ألف رجل، الأمر الّذي يمكن عدّه فتحاً فتحه الله على المسلمين ببركة حكمته ﷺ وتصرفه يومذاك[٤].

وقد اعترف عمر ـ وهذا الأمر يسقط دعوى الإلهام والموافقة بالمرّة ـ بما تقدّم من جرأته هذه على رسول الله ﷺ إذ قال: ((أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط، أراد رسول الله ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أبي فأخذت بثوبه فقلت له:

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٨٤

(٢) صحيح البخاري ٢: ١٠٠ باب ما يكره من الصلاة على المنافقين، مسند أحمد ١: ١٦.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٤) قال القسطلاني ـ كما في إرشاد الساري ٨: ٤٢٣ كتاب اللباس ـ: (إنّما فعل ذلك ـ أي: صلاة النبيّ ﷺ على ابن أبي ـ على ظاهر الإسلام واستئلافاً لقومه، مع أنّه لم يقع نهي صريح، وروي أنّه أسلم ألف رجل من الخزرج)، ونقل ابن حجر في (فتح الباري) ٨: ٢٥٤ عن النبيّ ﷺ قوله في هذه الحادثة: (وما يغني عنه قميص من الله وإنّي لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه) (انتهى).

والله ما أمرك الله بهذا لقد قال الله لك:﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾(١) (قال) فقال رسول الله: (خيّرني ربّي)، فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) فاخترت...))(٢).

وفي رواية: فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ، والله ورسوله أعلم(٣).

وكما تري لايمكن أن يستقيم معنى الهفوة والجرأة على رسول الله ﷺ ـ باعتراف صاحب الشأن نفسه ـ مع دعوى الإلهام والموافقات الربانية!!

ومحاولة البعض الجمع بين هذه الأمور ـ أي: بين الهفوات والموافقات ـ إنّما هو في حقيقته جمع بين المتناقضات، لا نعرف كيف يساغ للبعض الاعتقاد به، ونراه في أساليب الترميز والتقديس التي تريد أن تلبس على الأمّة حقيقة سلفها!! والله المستعان على التفوه به، بل محاولته حمل الأمّة على الاعتقاد به وترميز صاحبه وتقديسه؟!

ولم تكن هذه الحادثة هي الحادثة الأخيرة وخاتمة التجرآت الّتي صدرت من هذا الصحابي في حقّ رسول الله ﷺ!!

فالتاريخ الصريح يخبرنا أنَّ هذا الصحابي قد ختم تجرآته هذه بختام لم يسبقه إليه أحد من المسلمين، ولا نظن أنَّ أحداً من المسلمين يجرأ أن ينطق بما نطق به هذا الصحابي في حضرة النبيّ ﷺ وما أسمعه أياه جهاراً نهاراً، ووجهاً لوجه في محضر غفير من أصحابه ﷺ في أيامه الشريفة الأخيرة، ولا نظن أنَّ أحداً من المؤمنين يقدر

---

(١) سورة التوبة، الآية ٨٠

(٢) كنز العمال ٢: ٤١٩ يرويه عن ابن أبي حاتم عن الشعبي.

(٣) صحيح البخاري ٢: ١٠٠ باب التبسم، كنز العمال ٢: ٤١٩ يرويه عن أحمد في مسنده والبخاري والترمذي ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في السنن.

أن ينطق بما نطق به هذا (الصحابي) حتّى في غيابه ﷺ، بل وبعد وفاته ﷺ إلى يوم القيامة!!

وإليك الحادثة: روى البخاري في (باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير): «حدّثنا قبيصة حدّثنا ابن عيينة عن سلمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً)، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع. فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال ﷺ: (دعوني فالّذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه)»[1].

ويكفينا أن نعرف وبمطالعة يسيرة أنّ قائل هذه الكلمة (هجر)، الشديدة الوقع على مؤمني أهل السماوات و الأرض (لما تعنيه من الإهانة لرسول الله ﷺ بأنّه . حاشاه ثمّ حاشاه . يهذي أو يخرّف) إنّما هو عمر بن الخطاب دون غيره، ولا يعقل أن لا يكون لهذه الكلمة من قائل ألبتة وهي قد نقلت في أمّهات الكتب الحديثية عند القوم وبالأسانيد المعتبرة العالية!

ولأهمية هذه الحادثة سنكرر وبشكل أوسع ما كنّا قد ذكرناه سابقاً من صور الحادثة عند ترجمتنا المتقدّمة عن ابن عباس الراوي لها، وذلك لتتضح معالم هذه الحادثة الخطيرة بشكل أوسع وأكبر:

الصورة الأولى: ((واختلف أهل البيت فاختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيّ ﷺ قال لهم: (قوموا عنّي)))[2].

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٣١.

(٢) صحيح البخاري ٨: ١٦١ باب كراهية الخلاف.

فهذه الرواية، لم تصرّح باسم قائل في الواقعة سوى عمر، ومن خلال الجمع بين الروايات الواردة عن الواقعة ـ وهي واقعة واحدة لاغير ـ يستفاد أنّ قولهم ـ الوارد في الرواية السابقة ـ: ((هجر رسول الله ﷺ))، إنّما كان هو قول عمر لا غير، بل إنّ بعض الروايات قد أشارت من طرف خفي إلى هذا المعنى عندما أظهرت اسم عمر دون غيره من الحاضرين، وهم كانوا من كبار الصحابة أيضاً، كما في هذه الرواية الّتي تقول: ((لمّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبيّ ﷺ: (هلم أكتب...)))[1]. فتدبّر!

الصورة الثانية: ((عن ابن عباس قال: ((لمّا اشتد بالنبيّ ﷺ وجعه قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده) قال عمر: إنّ النبيّ ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وأكثروا اللغط. قال: (قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع) فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيئة كلّ الرزيئة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه))[2].

وفي هذه الرواية أيضاً لا تعوز المرء الفطنة الشديدة ليدرك معنى هذه الجملة: (غلبه الوجع)، إذا قيلت في وجه مريض يطلب أمراً ولا يُنفّذ طلبه ويقرع بها ليحال بينه وبين ما يريد، فهذه الجملة تنتهي من حيث المعنى إلى نفس ما تعنيه كلمة (هجر) من عدم أهلية هذا المريض لأن يكتب ما يريد كتابته، مع أنّ بعض الصور المنقولة عن الحادثة تذكر أنّ هذه الجملة إنّما ذكرت في هذه الروايات من باب النقل بالمعنى دون اللفظ كما سيأتي بيانه في الصورة الثالثة، ولعل هذا النقل بالمعنى كان الغرض منه التخفيف من وقع اللفظة الحقيقية (هجر) على نفس السامع المسلم!!

---

(١) صحيح البخاري ٧: ٩ باب قول المريض قوموا عني.

(٢) صحيح البخاري ١: ٣٦ باب كتابة العلم.

الصورة الثالثة: ((لمّا حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر ابن الخطاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ائتوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي) فقال عمر كلمة معناها أنّ الوجع قد غلب على رسول الله صلى الله عليه وآله.. (الرواية)))[١].

نقول: ومع توارد هذه الصور المختلفة عن الحادثة قد كفانا علماء القوم مؤونة الجمع بين هذه الصور، والّتي تكاد أن تكون رواياتها من الروايات القليلة المتواترة، وذلك حين أفصحوا عن قائل تلك العبارة المؤلمة والمفجعة ـ بعد أن أعيتهم السبل عن إنكارها ـ فصرّحوا بأنّ القائل إنّما هو عمر بن الخطاب وليس غيره.. إلا أنّهم ارتكبوا من أجل تأويل هذه اللفظة وتمريرها على العوام جهوداً جبارة تكشف عن منتهى الإعياء والتعب في إقالة هذه العثرة الّتي لا تقال أبد الدهر.. ولا يسعنا أن نقول هنا سوى ما قاله الحقّ تبارك وتعالى في أمثال هذه الموارد: ﴿**بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾[٢].

قال ابن الأثير في مادة (هجر): ((ومن حديث مرض النبيّ صلى الله عليه وآله قالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ أي: اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الاستفهام، أي: هل تغيّر كلامه واختلط لأجل ما به من المرض؟ وهذا أحسن ما يقال فيه، ولا يجعل إخباراً، فيكون إمّا من الفحش أو الهذيان. والقائل كان عمر، ولا يظن به ذلك))[٣] (انتهى).

فأنت ترى محنة التأويل الّتي دخل فيها أتباع مدرسة الخلفاء من أجل تمرير هذه (الفاجعة) ليبلغوا جهدهم ويقولوا بعدها: (وهذا أحسن ما يقال فيه)، أو: (لا يظن بقائلها ذلك)!

إلا أنّا نقول: كيف تستقيم دعوى الاستفهام والإنشاء هذه مع ما نقلتموه في صحاحكم أنّها قد وردت على سبيل الإخبار لا الإنشاء؟!

---

(١) السقيفة وفدك: ٧٦، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٦: ٥١.

(٢) سورة القيامة، الآيتين: ١٤، ١٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٤٦.

فأنظر ما نقلناه قبل قليل عن صحيح البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب السير والجهاد لتقف على هذه الحقيقة بأنّ هذه اللفظة وردت على سبيل الإخبار لا الإنشاء! ولو سلّمنا بأنّ هذه الكلمة وردت مورد الاستفهام والإنشاء دون الإخبار، فهل يراها ـ عباقرة التأويل ـ تقل بشاعة وفظاعة عن صيغة الإخبار، مع أنّهم يفسّرونها وبكلّ صراحة أنّها تعني: (هل تغيّر كلامه واختلط لأجل ما به من المرض)؟.. أفلا يرى المتكلمون بمثل هذا الكلام وما تلوكه ألسنتهم هنا بأنّه ينافي العصمة الثابتة للنبيّ ﷺ بالإجماع عند المسلمين بعد البعثة ؟! وسيأتي ـ بعد قليل ـ دفعه ﷺ عن نفسه تهمة الهذيان أو الخلط، وأنّه ﷺ لا يقول إلا حقّاً في الحالات جميعها سواء في حالة المرض أم غيره!

وقول ابن الأثير: ((ولا يظن به ذلك..))، نقول: إنّ المتابع لأفعال هذا الصحابي وتجرآته على النبيّ ﷺ ـ وقد مرّ بيان بعضها ـ يظن به ذلك، بل إنّ هذه الفظاظة والغلظة كانت موضع الشكوى من الصحابة أنفسهم!

فقد ذكر المؤرخون أنَّ أبا بكر عندما نصّ على تعيين عمر بن الخطاب خليفة له من بعده أقبل إليه أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا له: ما تقول لربّك وقد ولّيت علينا فظاً غليظاً؟[1].

وفي أحد المصادر ذُكر أنّ المتكلم كان طلحة[2] ـ وهو أحد العشرة المبشرة على رواية القوم ـ وفي بعضها الآخر: قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، إنّا كنّا لا نحتمل شراسته وأنت حي تأخذ على يديه، فكيف يكون حالنا معه وأنت ميت وهو الخليفة[3]؟

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٤٨٥، ٨: ٥٧٤، تاريخ مدينة دمشق ٣: ٤١٣، نوادر الأصول ٣: ١٣٨، لسان العرب ٨: ١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ١٦٤.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٦: ٣٤٣، تاريخ المدينة ٢: ٦٧١.

وأيضاً ممّن صرّح بأنّ قائل تلك الكلمة (هجر) أو (أهجر) إنّما هو عمر بن الخطاب دون غيره، ابن تيمية في (منهاج السنّة)، الجزء السادس، الصفحة ٣١٥، وهو أيضاً تكلّف كغيره محنة التأويل كما تقدّم الأمر عن ابن الأثير، إلا أنّ كلامه لم ينهض بالدفاع عن (الخليفة)! بعد أن ثبتت الحادثة بالكيفيات البيانية المختلفة الّتي لا تقبل التأويل!!

وممّن صرّح بأنّ قائل تلك الكلمة عمر بن الخطاب اللغوي الشهير ابن منظور الأفريقي في (لسان العرب)[١]، وكذلك ابن الجوزي في (تذكرة الخواص)[٢]، والغزالي في (سرّ العالمين)[٣]، والخفاجي في شرحه على الشفا[٤].

وعلى أية حال، فإنّ الروايات الناقلة للحادثة لم تنقل أو تذكر لنا اسم قائل في هذه الحادثة سوى عمر بن الخطاب، وقد صرّح بهذا المعنى بشكل واضح جمع من أعلام أهل السنّة كما أسلفنا، ولكنهم إنّما يحاولون تأويل ما قاله عمر ليخففوا من فظاعة وبشاعة هذه المقالة و(الرزيئة) الكبرى، وقد وجدنا أنّ هذا التأويل لا يسمن ولا يغني من جوع، لأنّ لازم الكلام أو صريحه ـ على مختلف التأويلات ـ ينافي العصمة ولا يلائم الاعتقاد بالنبوّة والرسالة، مع أنّهم قد أجمعوا قولاً واحداً على عصمته صلى الله عليه وآله بعد البعثة[٥].

(١) لسان العرب ٥: ٢٥٠ مادة (هجر).

(٢) تذكرة الخواص: ٩٩.

(٣) سرّ العالمين وكشف ما في الدارين: ٤٠.

(٤) نسيم الرياض ٤: ٢٧٨.

(٥) اُنظر: إرشاد الفحول: ٦٩.

كلمة (هجر) ومنافاتها للعصمة!

قال أهل اللغة في تفسير الكلمة المتقدّمة: إنّ معنى قوله هجر: هذي.. قال الجوهري في كتاب الصحاح في اللغة في باب الراء فصل الهاء، الهجر: الهذيان، وقال ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحقّ[(١)].

وهذا المعنى – أي: الهذيان وقول غير الحقّ – منفي عن رسول الله ﷺ بدليل قوله تعالى في سورة النجم: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ... إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[(٢)].

وأيضاً جاء في الحديث الصحيح ـ فيما رواه أهل السنّة أنفسهم ـ أنّ عبد الله ابن عمرو بن العاص كان يكتب كلّ ما يسمعه من رسول الله ﷺ فنهته قريش عن ذلك وقالوا له: إنّك تكتب كلّ شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله بشر يتكلم في الرضا والغضب، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له: (اكتب فوالّذي بعثني بالحقّ ما يخرج منه إلا الحقّ) وأشار إلى لسانه[(٣)]. وكلامه ﷺ هنا عام ومطلق، وهو لا يبقي لأهل التأويل أيّ شيء يمكنهم الاستناد إليه في تمرير العثرة المتقدّمة!

بل ورد عنه ﷺ أنّه حتّى في حالات الممازحة والمداعبة لا يقول إلا حقّاً، فقد قال له بعض أصحابه يوماً وكان يداعبهم: فإنّك تداعبنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: (إنّي لا أقول إلا حقّاً)[(٤)]، وهذا الحديث كسابقه في الدلالة على أنّ النبيّ المعصوم (عليه الصلاة والسلام) لا يعتريه ما يعتري بقية الناس من حالة الاضطراب في الكلام،

---

(١) الصحاح ٢: ٨٥١

(٢) سورة النجم، الآيات ٢ ـ ٥.

(٣) مسند أحمد ٢: ١٦٢، سنن أبي داود ٢: ١٧٦، سنن الدارمي ١: ١٢٥، المستدرك على الصحيحين ١: ١٨٦ صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، تفسير ابن كثير ٤: ٢٦٤، فتح الباري ١: ١٨٥.

(٤) سنن الترمذي ٣: ٢٤١ وحسّنه، مجمع الزوائد ٩: ١٧ قال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، الأدب المفرد: ٦٦.

أو يكون ضحية لمزاجه أو هواه في حالات معينة كحالة الغضب والممازحة أو حالات الوجع والمرض، مع أنّ حالات الغضب والممازحة هي أشدّ من غيرها في تحقيق الاضطراب عند المتكلم منه في حالة المرض، ومع هذا فقد أخبر النبيّ ﷺ أنّه حتّى في هذه الحالات لا يقول إلا حقّاً.

قال المباركفوري في شرحه للحديث: ((لا أقول إلا حقّاً) أي: عدلاً وصدقاً، لعصمتي من الزلل في القول والفعل ولا كلّ أحد منكم قادر على هذا الحصر لعدم العصمة فيكم))[1].

وإن كان العجب ينقضي في مورد ما، فهو لا ينقضي من التصرّفات المتباينة لهذا الصحابي، ففي الوقت الّذي نراه يقف أمام النبيّ الأعظم ﷺ ويتجاوز بكلّ جرأة على الجناب الأقدس ليصدّه عن كتابة كتاب هام للمسلمين أملته شفقة هذا النبيّ العظيم بأمّته وما أراده ﷺ لها من عدم الضلالة من بعده أبد الآبدين كما صرّح ﷺ بذلك، فإنّنا نجده يقبل تماماً، بل ولا يصف قائله أو كاتبه بالهجر، لا إخباراً ولا إنشاءً ـ كما تفنن دعاة التأويل في الحادثة السابقة ـ وأيضاً لا الاتهام بغلبة الوجع، بل ولا بأيّ شيء آخر، وإنّما نجده يسكت سكوتاً مطبقاً مع التسليم التام والانقياد الكامل، وذلك عندما أملى أبو بكر على عثمان بن عفان وهو في حالة الإغماء وعدم الوعي(!!) بأن يكون الخليفة من بعده عمر بن الخطاب!! فتأمل ذلك عزيزي القارئ، ومن حقّك أن تعجب.. ولِمَ لا تعجب وأنت ترى مثل هذا التباين والتناقض الظاهر في المواقف؟!

وإليك الحادثة برواية الطبري: ((دعا أبو بكر عثمان خالياً فقال له: اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين: أمّا بعد...، قال: ثمّ أُغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان: أمّا بعد: فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن

---

(١) تحفة الأحوذي في شرح الترمذي ٦: ١٠٨.

الخطاب ولم آلكم خيراً منه، ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ فقرأ عليه فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي! قال: نعم! قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرّها أبو بكر رضي الله تعالى عنه من هذا الموضع))[١].

فهذا الكتاب تقبّله عمر قبولاً تاماً ولم يخالفه أو يعترض عليه بشيء، ولم ينسب إلى قائله ـ وهو في حالة الإغماء ـ، أو إلى كاتبه ـ وقد أملى بغير إرادة القائل المغمى عليه ـ أيّ شيء من حالات الهجر والهذيان أو غلبة الوجع، بل كان ذلك كلّه ـ برأيه كما سنقرأ ـ حقّاً، وخيراً وفيراً أفاضه الله على المسلمين ببركة هذا الكتاب، فانظر إلى سعي عمر على حمل الناس على إطاعة ما أملاه (الخليفة) وهو في حالة الإغماء.. روى الطبري عن إسماعيل بن قيس،قال: ((رأيت عمر بن الخطاب وهو يجلس والناس معه وبيده جريدة وهو يقول: ((أيّها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ إنّه يقول لكم إنّي لم آلكم نصحاً. قال ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد معه الصحيفة الّتي فيها استخلاف عمر»[٢]. بل ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ما يستفاد منه بأنّ عمر كان حاضراً عند كتابة هذا الكتاب أيضاً، قال: «فخرج – أي: عثمان – بالكتاب مختوماً ومعه عمر بن الخطاب وأسيد بن سعيد القرظي))[٣].

فهنا من حقّنا أن نتساءل، بل ومن حقّ كلّ إنسان حين يقرأ هذه المتباينات أن يتساءل أيضاً، ويقول: فهل يا ترى أنّ أبا بكر كان أكثر وعياً وحضوراً ذهنياً من النبيّ محمّد ﷺ حين كتابة هذا الكتاب، فيؤخذ بكتابه وما كتب فيه، بينما يرمى رسول الله ﷺ بالهجر والهذيان دون ذلك ويمنع من كتابة كتابه الّذي أراد؟!!

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦١٨، تاريخ مدينة دمشق ٣: ٤١١، الطبقات الكبرى ٣: ٢٠٠، الثقات ٢: ١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٦١٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٢٠٠، تاريخ مدينة دمشق ٣: ٤١١، أسد الغابة ٤: ٦٩.

إنّنا وعلى الرغم من المرارة الّتي نشعر بها ويشعر بها كلّ مسلم غيور على نبيه ﷺ لهذا الموقف، لا يفوتنا أن نشير إلى أنّ القوم المعترضين على كلام رسول الله ﷺ، ورأسهم عمر بن الخطاب، قد افتضح أمرهم في نفس الموقف الذي اعترضوا فيه على النبيّ ﷺ ورموه بالهجر والهذيان، فقد تباينت تصرّفاتهم واختلفت ممّا لا يحتاج معه إلى ذكر مواقف أخرى تفضح هذا التباين في التصرّفات، فهم في الوقت الذي تراهم يعصون أوامر النبيّ ﷺ ويتخلّفون عن إطاعته بجلب الكتف والدواة له ليكتب لهم كتاباً لا يضلّوا بعده أبداً ويرمونه بالهجر أو غلبة الوجع، نراهم في نفس هذا الوقت، وفي اللحظة ذاتها يمتثلون لأمره ﷺ بالخروج من الغرفة حين قال لهم ﷺ: (قوموا عنّي...)!

نقول: فهلا وجدوا كلامه الأخير هجراً وهذياناً أيضاً ـ حاشاه ـ ككلامه الأوّل ـ لاتّحاد الزمان والمكان والشخص ـ لا يستحق منهم الامتثال والطاعة فيمتنعون عن الخروج من الغرفة ويصرّون على البقاء ـ ولو مجاملة ـ اشفاقاً منهم على نبيّهم و(حبيبهم) المصطفى ﷺ الّذي صرّحوا بأنّه يهذي ويخلط في كلامه؟!

ومع هذا يبقى السؤال عن السبب الذي من أجله أخذ عمر بن الخطاب بكلام أبي بكر وهو في حالة الإغماء، وقد سمعه يقول وهو في تمام وعيه: ((إنّ لي شيطاناً يعتريني))[1]، بينما يُمنع رسول الله ﷺ من كتابة كتابه الّذي أراد، بحجّة أنّه في حالة المرض والإعياء، مع أنّه قد ثبت بالأدلة القطعية بأنّ النبيّ ﷺ لا يقول إلا حقّاً في الحالات كلّها، سواء المرض أم غيره؟!

وأمّا الاعتذار عن عمر بأنّه قد تكلّم بمثل هذا الكلام من باب الشفقة على النبيّ ﷺ لحالته هذه، فهو نكتة ظريفة يُحسن عرضها على الثكالى ليضحكن منها

---

(١) أنظر عباراتهم واعتذاراتهم المختلفة لكلمته عن عمر الّتي قالها في وجه رسول الله ﷺ لمنعه من كتابة كتابه الّذي أراد بأنّها كانت من شفقته على النبي ﷺ وعلى الأمة بأن يقول النبي ﷺ كلاماً مهماً يتقرر به مصير الأمة وهو في حال من الجهد والإعياء!!

ويرفّهن من أنفسهن بعض الشيء.. وإلا فهذا الاعتذار لا يصلح ذكره في مجالس أهل العلم والتفكّر .. وقد بيّنا فيما سبق ـ عند ترجمتنا لابن عباس ـ السبب الحقيقي لهذا التصرّف من عمر بن الخطاب في حضرة النبيّ الأقدس ﷺ، فراجع ثمة!!

نموذج آخر ممّا عدّ سلفاً للقوم:

وسوف لا نستعرض من أمر هذا (السلف) سوى أمرين فقط:

الأوّل: (أمانته) البالغة في تعيين الولاة (العدول) من أهل (الصلاح) و(التقوى) وتسليطهم على رقاب المسلمين ليهنؤوا بعزّ (عدلهم) وبركة (تسلّطهم)!

الثاني: عطاءاته من بيت مال المسلمين لذويه وقرباه والمقرّبين منه بـ(بالعدل والسوية)، تماماً كما أمره الله سبحانه وكما كان يفعل رسول الله ﷺ!!

وقبل أن نبدأ ببيان واقع الحال في الأمر الأوّل، لاضير أن نطالع شيئاً من الأحاديث النبوية الّتي وردتنا في هذا الجانب المتحدّث عنه.

قال النبيّ الأكرم ﷺ: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتّى يدخله جهنّم)[1]، وقال ﷺ: (من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنّة نبيّه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين)[2]، وقال ﷺ: (ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرّم الله عليه الجنّة)[3]، وفي رواية أخرى: (ما من أمير يلي أمر المسلمين ثمّ لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنّة)[4].

---

(١) مسند أحمد ١: ٦، المستدرك على الصحيحين ٤: ١٠٥ وصححه، تاريخ مدينة دمشق ٦٥: ٢٤٦.

(٢) سنن البيهقي ١: ١١٨، المعجم الكبير ١١: ٩٤، المستدرك على الصحيحين ٤: ١٠٤ وصححه، نصب الراية ٥: ٣٧، ٣٨، الجامع الصغير ٢: ٥٦٧.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٠٧ باب من استرعى رعية فلم ينصح، صحيح مسلم ١: ٨٨.

(٤) صحيح مسلم ١: ٨٨ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.

وقد وردت في مضمون هذه الأحاديث أحاديث أخرى رواها الحفّاظ في كتبهم، ولا بأس هنا أن نستأنس بأقوال شرّاحها والمستفيدين الأحكام منها من علماء أهل السنّة لنقف على مطلبنا بشكل تام وواضح.

قال الصنعاني في كتابه (سبل السلام في شرح بلوغ المرام) لابن حجر العسقلاني: ((ويتعيّن على الإمام أن يبحث عن أرضى الناس وأفضلهم فيولّيه، لما أخرجه الحاكم والبيهقي أنّ النبيّ ﷺ قال: (من استعمل رجلاً على عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله تعالى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين). وإنّما نهي عن طلب الإمارة لأنّ الولاية تفيد قوّة بعد ضعف، وقدرة بعد عجز تتخذها النفس المجبولة على الشر وسيلة إلى الانتقام من العدو، والنظر للصديق، وتتبع أغراض فاسدة، ولا يوثق بحسن عاقبتها ولا سلامة مجاورتها، فالأولى أن لا تطلب ما أمكن، وإن كان قد أخرج أبو داود بإسناد حسن عنه ﷺ: (من طلب قضاء المسلمين حتّى يناله، فغلب عدله جوره فله الجنّة ومن غلب جوره عدله فله النار)))[١].

وفي (حاشية رد المحتار) لابن عابدين: ((وينبغي للسلطان أن يتفحص في ذلك ويولي من هو أولى لقوله عليه الصلاة والسلام: (من قلّد إنساناً عملاً وفي رعيته من هو أولى فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين). وهذا لا يدلّ على أنّ ذلك مستحب، فإنّ الحديث يدلّ على إثم السلطان بتوليته غير الأولى، فافهم))[٢].

وبيانات العلماء وفهمهم لهذه الأحاديث الشريفة لا يتعدّى فهمنا، بل فهم كلّ إنسان بصير بدينه بأنّ التولية لا تكون إلا بالنصيحة والأمانة ومراعاة الأفضلية الّتي مناطها فهم الكتاب والسنّة، بل هي لا تجوز ـ أي: التولية ـ لمن يفهم الكتاب والسنة وهناك من هو أعلم وأفهم منه بهما، وهي أيضاً لا تكون بالمحاباة أو بالقرابة المجرّدة

(١) سبل السلام ٤: ١١٧.

(٢) حاشية رد المحتار ٥: ٥٠٤.

عن الكفاءة والنزاهة، ومن فعل ذلك كان غاشاً للمسلمين، ومستحقاً للعنة، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتّى يدخله جهنم، نعم..، هذا هو صريح الألفاظ النبوية المتقدّمة!

فلننظر إلى توليات (سلفنا) هذا أو بالأحرى (سلفهم) كيف كانت وهو في سدّة الحكم ومقام الزعامة للمسلمين!

قال أبو عمر: دخل شبل بن خالد على عثمان حين لم يكن عنده غير أموي، فقال: ما لكم معشر قريش؟ أما فيكم صغير تريدون أن ينبل؟ أو فقير تريدون غناه؟ أو خامل تريدون التنويه باسمه؟ علام أقطعتم هذا الأشعري ـ يعني أبا موسى ـ العراق يأكلها هضماً؟ فقال عثمان: ومن لها؟ فأشاروا بعبد الله بن عامر[١] وهو ابن ست عشرة سنة فولاه حينئذٍ[٢].

وجاء في (الطبقات): ((وكتب ـ أي: عثمان ـ إلى أبي موسى إنّي لم أعزلك عن عجز ولا خيانة، وإنّي حفيظ قيد استعمال رسول الله وأبي بكر وعمر إياك، وإنّي لأعرف فضلك، وإنّك من المهاجرين الأوّلين، ولكني أردت أن أصل قرابة عبد الله ابن عامر))[٣].

فالأصل إذن في هذه التولية عند هذا (السلف) هي صلة ذوي قرباه دون الضوابط الشرعية الّتي يريدها الله ورسوله ﷺ لمن يتولى أمثال هذه المناصب والّتي بيّنتها الأحاديث النبوية المتقدّمة، مع أنّه يعترف لأبي موسى ـ جهراً ـ بأنّه من المهاجرين الأوّلين، وأنه من أهل القوّة والأمانة الّتي شهد القرآن بأنّهما الصفتان المرجّحتان لاستعمال العمّال كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ

---

(١) وعبد الله هذا هو ابن خال عثمان، لأنّ أم عثمان هي أروى بنت كريز، واسم عبد الله هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

(٢) أنظر الاستيعاب ٢: ٦٩٣. ولعلّ الأصح أن سنه يوم توليته خمساً وعشرين عاماً كما ذكر ذلك ابن عبد البر نفسه في موضع آخر من (الاستيعاب ٣: ٩٣٣)، وابن سعد في (الطبقات ٥: ٤٥).

(٣) الطبقات الكبرى ٥: ٤٥.

﴿اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[(١)]. وأيضاً يشهد هذا (السلف) لعامله بأنّه قد استعمله رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وأنّ له فضلاً، ولكنها.. صلة القربى ومودّة الرحم!!

ولا ندري في الحقيقة هل الخلافة ريع يصدق في حقّها قوله تعالى: **﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾**[(٢)]، أو أنّها من أقسام الزكاة الّتي يصدق فيها قوله جلّ وعلا: **﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾**[(٣)]؟! (نترك التعليق للقارئ الكريم).

ولكن قد يقول قائل هنا: إنّ هذه مفردة واحدة من تصرّفات هذا (السلف)، ولا يحق لكم أن تجعلوها مقياساً لكلّ أفعاله وتصرّفاته، كما أنّه شخص غير معصوم، وهذا الفعل منه في عزل من هو أفضل وتولية من هو دونه في الفضل لا يعدّ ضيراً كبيراً، فلنعد هذه هنّة واحدة من هنّاته الّتي لا قيمة لها ولا وزن أمام (حسناته) الكثيرة المتكاثرة؟!

نقول: لو كانت هذه الفعلة هي الهنّة الوحيدة لسكتنا وقبلنا بالأمر الواقع، وحملنا ذلك على الطبع البشري الّذي لا يستطيع أن يتجاوز مثل هذه الحالات بشكل تام، ولكن المشكل أنّ هذا التصرّف كان هو السلوك السائد لهذا (السلف) أيام خلافته كلّها، حتّى أنّ عمر بن الخطاب كان قد حذّره من هذا الموضوع فيما لو آلت الأمور إليه، وكأنّ (أبا حفص) قد اطّلع على ما تنطوي عليه نفسه، لذا بادره بالتحذير من هذا السلوك وقال له: ((إن ولّيت هذا الأمر فاتق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس))[(٤)].

---

(١) سورة القصص، الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤١.

(٣) سورة النساء: ٨

(٤) الطبقات الكبرى ٣: ٣٤٠، حلية الأولياء ٤: ١٥٢.

وفي (تاريخ المدينة) لابن شبة النميري عند ذكره لمحاورة جرت بين ابن عباس وعمر عند طلب ابن عباس من عمر تعيين خليفة له: ((قلت: فعثمان بن عفان؟ فقال: أوه (ثلاث مرّات)، والله لئن كان الأمر إليه ليحملنّ بني أبي معيط على رقاب الناس))[١].

وبوصية عمر المتقدّمة لعثمان وتحذيره من أن يسلّط آل أبي معيط على رقاب الناس أخذ عليّ عليه السلام وطلحة والزبير على عثمان لمّا ولّى الوليد بن عقبة على الكوفة وقالوا له: ألم يوصك عمر ألا تحمل آل أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس؟ فلم يجبهم بشيء[٢].

ولكن، ربّما يتساءل القارئ الكريم هنا ويقول من هو هذا (الوليد بن عقبة) الّذي ولاه عثمان الكوفة، وكان سبباً لمحل العتب عليه من قبل عليّ عليه السلام وطلحة والزبير؟!

وللإجابة نقول: إنّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، هو أخو عثمان بن عفان لأمّه[٣]، نزل فيه قوله تعالى: ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ**﴾، ولاه عثمان الكوفة، وقد جاء في قصة توليته هذه حكاية مشابهة لأختها المتقدّمة، قال ابن الأثير في (أُسد الغابة): ((ولاه عثمان الكوفة وعزل عنها سعد بن أبي وقاص، فلمّا قدم الوليد على سعد قال له سعد: والله لا

---

(١) تاريخ المدينة ٣: ٨٨١، الاستيعاب ٣: ١١١٩.

(٢) انساب الأشراف ٦: ١٣٩.

(٣) قال الطبراني في الكبير ٢٢: ١٤٩: (الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا وهب، وكان أخا عثمان لأمّه، أمهما أروى بنت كريز بن ربيعة).

(٤) قال ابن عبد البر في ترجمة الوليد: ((ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن ـ فيما علمت ـ أنّ قوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ (الحجرات: من الآية٦) نزلت في الوليد بن عقبة))، وقال أيضاً: ((ومن = = حديث الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب والوليد بن عقبة (في قصة ذكرها) ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ (سورة السجدة:١٨))، أُنظر: الاستيعاب ٤: ١٥٥٣، ١٥٥٤، تفسير الطبري ٢١: ١٢٩، ٢٦: ١٥٩، الإصابة ٦: ٦١٥، تهذيب الأسماء ٢: ٤٤٣.

أدري أكست[١] بعدنا أم حمقنا بعدك؟! فقال: لا تجزعنّ أبا إسحاق فإنّما الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون. فقال سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً))[٢].

وفي الأنساب للبلاذري: ((فأعظم الناس ذلك وقالوا: بئسما ابتدلنا عثمان، عزل أبا إسحاق الهيّن اللّين الحبر[٣] صاحب رسول الله ﷺ وولّى أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن))[٤].

وأمّا عن السبب أو المناسبة لتأمير الوليد على الكوفة، فقد أخرج أبو الفرج في الأغاني بسنده إلى خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه، قال: لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم ابن أبي العاص والوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يوماً فجلس، ثمّ أقبل الحكم، فلمّا رآه زحل[٥] له عن مجلسه، فلمّا قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمّك على ابن أمّك فقال له عثمان رضي الله عنه: إنّه شيخ قريش، فما هما البيتان اللذان قلتهما؟ قال قلت:

رأيت لعم المرء زلفى قرابة ... دوين أخيه حادثا لم يكن قدما

فأملت عمراً أن يشب وخالداً ... لكي يدعواني يوم مزحمة عَمّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان. قال: فرّق له عثمان وقال له: قد ولّيتك العراق (يعني الكوفة)[٦].

---

(١) أكست: من الكياسة، والكياسة ضدّ الحمق، وكأنّ سعداً يريد التعريض به بهذا المعنى: هل صرت أنت كيساً وصرنا نحن حمقاء بحيث نعزل نحن، وتولى أنت.

(٢) أسد الغابة ٥: ٩١.

(٣) الحبر ـ بفتح الحاء وكسرها ـ: العالم الصالح.

(٤) أنساب الأشراف ٦: ١٣٩.

(٥) زحل: تنحى وتباعد.

(٦) الأغاني ٥: ١٣٦.

وهنا، لعلّه لا يختلف اثنان من أهل السنّة والجماعة بأنّ سعداً أفضل من الوليد، إذ هو من السابقين الأوّلين، ومن العشرة المبشّرة حسب رواية القوم، وأمّا الوليد فهو من مسلمة الفتح ـ أي: من الّذين أسلموا يوم فتح مكة ـ[1]، وقد جاء فيه من الآيات الذامّة ما تقدّم.

ومن الثابت أيضاً أنّ عثمان لم يعزل سعداً لعجز أو خيانة...فها هو ابن مسعود، وهو من أجلاء الصحابة، يأتي ويلقي مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة بعد توليته الكوفة ويقول له: ((من غيّر غيّر الله ما به، ومن بدّل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم ـ يعني عثمان ـ إلا وقد غيّر وبدّل، أيُعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولّى الوليد؟!)).

وأيضاً، كان ابن مسعود يتكلم في هذا الجانب بكلام لا يدعه، إذ كان يقول: ((إنّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار))[2].

وأمّا السبب الذي جعل ابن مسعود ينقم من الوليد بن عقبة ويبلغ الأمر به حدّ المواجهة بينهما أنّ: ((الوليد لمّا قدم الكوفة ألفي ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً – وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثمّ ترد ما تأخذه – فأقرضه عبد الله ما سأله، ثمّ إنّه اقتضاه إيّاه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله ابن مسعود: إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال. فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن أنّي خازن المسلمين فأمّا إذ كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال))[3].

---

(١) أُنظر ترجمته في الاستيعاب ٤: ١٥٥٢.
(٢) أنساب الأشراف ٦: ١٤٦.
(٣) أنساب الأشراف ٦: ١٤٠.

وتذكر في هذا الجانب أيضاً، أي: في اختلاف المسؤولين عن بيت المال مع ولاة عثمان، قصصاً أخرى مشابهة لقصة ابن مسعود هذه، نذكر منها هذه القصة التي جرت مع عامل صدقات سوق المدينة، ولكن هذه المرّة كانت المواجهة مع عثمان نفسه لا مع ولاته، قال اليعقوبي في تاريخه: ((عن عبد الرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان، فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إن شاء الله. فألح عليه، فقال: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله! ما أنا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن المسلمين، وجاء بالمفاتيح يوم الجمعة وعثمان يخطب، فقال: أيّها الناس زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته، وإنّما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمى بها، فأخذها عثمان، ودفعها إلى زيد بن ثابت))[1].

وأيضاً توجد قصة أخرى تماثل هذه جرت لعبد الله بن أرقم مع عثمان نفسه، وفي الموضوع ذاته، رواها البلاذري في الأنساب يمكن للقارئ الكريم مراجعتها هناك، ولولا خشية الإطالة لرويناها أيضاً[2].

وبالعودة إلى شأن الوليد بن عقبة، والي عثمان على الكوفة، روى ابن عساكر في تاريخه: ((عن محمّد بن مخنف قال: كان أوّل عمّال عثمان أحدث منكراً الوليد

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٨.
(٢) أنساب الأشراف ٦: ١٧٣.

ابن عقبة، كان يدني السحرة[١]، ويشرب الخمر، وكان يجالسه على شرابه أبو زبيد الطائي وكان نصرانياً وكان صفياً له))[٢].

وأخرج البلاذري من طريق محمّد بن سعد، بالإسناد عن أبي إسحاق الهمداني قال: ((إنّ الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلّى بالناس الغداة ركعتين، ثمّ التفت فقال: أزيدكم؟ فقالوا: لا، قد قضينا صلاتنا، ثمّ دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكراً[٣].

قال أبو إسحاق: وأخبرني مسروق إنّه حين صلّى لم يرم حتّى قاء، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب، وجندب بن زهير، وأبو حبيبة الغفاري، والصعب بن جثامة. فأخبروا عثمان خبره فقال عبد الرحمن بن عوف: ما له؟ أجن؟ قالوا: لا، ولكنه سكر. قال: فأوعدهم عثمان وتهددهم، وقال لجندب: أنت رأيت أخي يشرب الخمر؟ قال: معاذ الله، ولكني أشهد إنّي رأيته سكران يقسلها من جوفه، وإنّي أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

قال أبو إسحاق: فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وأنّ عثمان زبرهم، فنادت عائشة: إنّ عثمان أبطل الحدود وتوعد الشهود))[٤].

وفي هذه الحادثة يقول الحطيئة بن أوس العبسي:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه .. إنّ الوليد أحقٌ بالعذر

نادى وقد تمّت صلاتهم .. أأزيدكم؟ سكراً وما يدري

---

(١) مرّت الإشارة إلى هذه القضية عند الحديث عن ذكر رسول الله ﷺ لثلاثة من التابعين أحدهم جندب بن كعب الّذي قلنا إنّه قتل الساحر عند الوليد بن عقبة.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١١: ٣١٤، تهذيب الكمال ٥: ١٤٤.

(٣) هكذا ورد في الأنساب ٦: ١٤٣، ١٤٤، وإلا فبقية المصادر تكاد تطبق على أنه صلّى أربع ركعات، قال ابن الأثير في (أسد الغابة) ٥: ٩١: (قال أبو عمر وخبر صلاته بهم سكران وقوله لهم أزيدكم بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من رواية الثقات من أهل الحديث) (انتهى)

(٤) أنساب الأشراف ٦: ١٤٤، شرح النهج للمعتزلي ٣: ١٩.

ليزيــدهم خيــراً ولــو قَبِلــوا منـــه لـــزادهم علـــى عـــشر
فــأبوا أبــا وهــب[١]! ولــو أذنــوا لقرنـــت بـــين الـــشفع والـــوتر
كفّــوا عنانــك إذ جريــت ولــو تركــوا عنانــك لــم تــزل تجــري[٢]

وقد ورد عن يزيد بن قيس الأرحبي ومعقل بن قيس الرياحي في هذه الحادثة قولهما: لقد أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمّة محمّد صلى الله عليه وآله[٣].

ولا يقولنّ أحد هنا أنّ (خليفة رسول الله) كان يجهل حال أخيه وسلوكياته هذه حينما ولاه الكوفة، فإنَّ أمر الوليد بشرب الخمر مشهور معلوم بين المسلمين، وقد مرّ بنا أيضاً تحذير عمر لعثمان من تسليط آل أبي معيط على رقاب الناس فيما لو آل الأمر إليه، وكذلك اعتراض أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير على تولية الوليد هذا بالذات، وأيضاً تصريح الناس - كما مرّ بنا في رواية البلاذري - بأنّ عثمان ولّى عليهم أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن وعزل أبا إسحاق (سعد بن أبي وقاص) الهيّن الليّن الحبر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله... فلا يعقل مع كلّ هذه الشهرة بفسق وفجور ومجون الوليد، ومع كلّ هذه التنبيهات والحقائق الّتي يعرفها الناس يبقى المرء جاهلاً بشأن أخيه؟!

روى الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق)، وابن قدامة في (المغني) كلّهم عن علقمة قال: كنّا في جيش بالروم ومعنا حذيفة وعلينا الوليد فشرب الوليد الخمر فأردنا أن نحدّه فقال حذيفة: أتحدّون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم. فبلغ ذلك الوليد فقال:

---

(١) كنية الوليد بن عقبة.
(٢) الأغاني ٥: ١٣٨، ١٤٠.
(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٦: ١٤٢.

لأشـــربنّ وإن كانـــت محرّمـــة ولأشربنّ على رغم أنف من رغم[1]

وهذا الفعل من الوليد يعدّ غاية الاستهتار في الدين.. ولكن نقول: لم لا يقول الوليد ذلك، وهو يرى بنفسه آيات القرآن الكريم تنزل بفسقه، والناس تشهد - على مرأى ومسمع - بفجوره واستهتاره.. وهو مع كلّ هذا يُعطى الإمارات ويتولّى الولايات، وفي طوية نفسه لا يرى ما يتولاه إلا مُلكاً يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون - كما صرّح لسعد بذلك - وأنّه ليس للشريعة أو تعاليم الدين أيّ دخل من قريب أو بعيد في هذا الأمر.. فلا فضّ فوك أبا وهب! لتشربنّها (على رغم أنف من رغم)؟! و(سدنة الشريعة) من (المحدّثين)، و(الأمناء على الدين) موجودون جاهزون ببابك سيأتون إليك ويشهدون لك بالجنّة وأنّك ستدخلها مع الجميع (أكتعين أبصعين)، ولِمَ لا؟! أفلستَ أخا (أمير المؤمنين)، وثقة (خليفة المسلمين)، وقد شهدت (بعدل صحبتك) آيات ربّ العالمين، وأحاديث سيّد المرسلين؟!

نسأل الله العافية، ونعوذ به من زلل الأقدام وأيف الأفهام.

ونقول: هنيئاً للمتمسلفين بهذا السلف، وإيّاهم إيّاهم أن يحيدوا عن منهجه قيد أنمُلة، وليصدحوا القول بعدالته ونزاهته ما شاءت لهم القدرة بذلك، لأنّ الأمور - كما يبدو - لا تستقيم لهم إلا بهذا الشكل، إذ إنّ من لا (سلف) له لا (فلس) له أو لا (دولار) له كما نشهده هذه الأيام!! والعاقبة للمتقين.

---

(١) تاريخ دمشق ٦٣: ٢٣٩، سير أعلام النبلاء ٣: ٤١٤، المغني ١٠: ٥٣٨.

تتمة التوليات بتولية سعيد بن العاص!

ولا يظننّ أحداً بأنّ عثمان بقي مصرّاً على موقفه المتقدّم وأبقى أخاه الوليد والياً على الكوفة بعد أن توعّد الشهود الّذين شهدوا على الوليد بشربه للخمر وتهديدهم، فهو لم يصمد في ذلك، خاصة أمام تدخل عائشة، وتدخل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وكذلك تدخل طلحة والزبير وتسامع الناس بذلك، فاضطر إلى استدعاء الوليد وإقامة الحد عليه[1]، إلا أنّه ـ وهذا يكشف عن عدم اعتناء عثمان بالضوابط الشرعية في مسألة التوليات هذه ـ أخلفه بأموي آخر اسمه سعيد بن العاص[2]، وقد أمره بأوامر تديم حكمه أهمها مداراة الناس، فكان سعيد يجالس قرّاء الكوفة ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، وزيد بن زهير الأزدي، وكعب بن عبدة النهدي، وعدي بن حاتم الطائي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأمثالهم من هذه الطبقة[3]... ولكن الحال هذه عند سعيد بن العاص لم تستقر كما أمره عثمان، بل أصحر سعيد عمّا في نفسه يوماً أمام هؤلاء القرّاء والوجهاء من أهل الكوفة بما أنهى الأمر إلى ما لا يحمد عقباه بينه وبينهم.

قال البلاذري: «فإنّهم [أي: هؤلاء الجماعة المتقدّمة عندما كانوا يوماً عند سعيد بن العاص] وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السواد والجبل ففضّلوا السواد وقالوا: هو ما ينبت الجبل وله هذا النخل، وكان حسان بن محدوج الذهلي الّذي ابتدأ الكلام في ذلك فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدي صاحب شرطة: لوددت أنّه للأمير

---

(١) أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ١١: ٢١٩.

(٢) وهو من أقرباء عثمان، واسمه الكامل: سعيد بن العاص بن سعيد بن أصيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، (الطبقات الكبرى ٥: ٣٠).

(٣) وهؤلاء المذكورين يعدّون ـ كما هو الثابت عنهم في كتب الرجال والتراجم ـ من خيار التابعين وصلحائهم، راجع تراجمهم في كتب الرجال.

وأنّ لكم أفضل منه. فقال له الأشتر: تمنّ للأمير أفضل منه ولا تمنّ له أموالنا. فقال عبد الرحمن: ما يضرّك من تمنّي حتّى تزوي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له. فقال الأشتر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد وقال: إنّما السواد بستان لقريش. فقال الأشتر: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصأصأ منه. ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الّذين يُدعونَ القرّاء وهم السفهاء (!!) شيئاً. فكتب إليه[١] أن سيّرهم إلى الشام))[٢].

وهذه الحادثة ـ كما تفصح هي بنفسها عن نفسها ـ صريحة في أنّ الجانبين كانا على طرفي نقيض من حيث الحقّ والباطل، إذ لم يتكلم صلحاء الكوفة إلا حقّاً، ولم ينطق سعيد بن العاص في هذا المقام إلا باطلاً، وأمّا الحكم الصادر عن الخليفة بحقّهم في تسييرهم ونفيهم إلى الشام لم يكن إلا ظلماً وجوراً قاده إليه سلطانه، إذ هو لم يستدع الخصماء ليسمع من كلّ واحد منهم حجّته فيما يريد، وأيضاً لم يطلب الشهود، وإنّما اعتمد على رواية قريبه الجاهل بأحكام القرآن والسنّة في فيء المسلمين!!

وفي رواية الطبري: ((قدم سعيد بن العاص الكوفة فجعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه ويسمرون عنده، وأنّه سمر عنده ليلة وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان وفيهم مالك الأشتر في رجال، فقال سعيد: إنّما هذا السواد بستان لقريش، فقال الأشتر: أتزعم أنّ السواد الّذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟ والله ما يزيد أوفاكم نصيباً إلا أن يكون

(١) أي: كتب عثمان إلى سعيد.
(٢) أنساب البلاذري ٦: ١٥٢.

كأحدنا، وتكلم معه القوم، قال: فقال عبد الرحمن الأسدي وكان على شرطة سعيد: أتردّون على الأمير مقالته وأغلظ لهم... (إلى آخر القصة)))[١].

وهذه المرّة لم يتسنّ لأهل الكوفة الّذين عانوا من ولاة عثمان الموسومين بالفسق والفجور والغرور أن يتم لهم عزل سعيد بن العاص باليسير، فـ(الخليفة) لم يوافقهم على طلب عزله بعد أن سار إليه بذلك الوجهاء المتقدّم ذكرهم، قال ابن سعد في (الطبقات): ((فأبى عثمان أن يعزله وأمره أن يرجع إلى عمله، فخرج الأشتر من ليلته في نفر من أصحابه فسار عشر ليال إلى الكوفة فاستوى عليها وصعد المنبر فقال: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أنّ هذا السواد بستان لأغيلمة من قريش، والسواد مساقط رؤوسكم، ومراكز رماحكم، وفيؤكم وفيء آبائكم، فمن كان يرى لله عليه حقّاً فلينهض إلى الجرعة، فخرج الناس فعسكروا بالجرعة وهي بين الكوفة والحيرة، وأقبل سعيد بن العاص حتّى نزل العذيب، فدعا الأشتر يزيد بن قيس الأرحبي وعبد الله بن كنانة العبدي وكانا محربين، فعقد لكلّ واحد منهما خمسمائة فارس وقال لهما: سيرا إلى سعيد بن العاص فأزعجاه وألحقاه بصاحبه فإن أبى فاضربا عنقه وأتياني برأسه، فأتياه فقالا له: ارحل إلى صاحبك فقال: إبلي انضاء، أعلفها أياماً ونقدم المصر فنشتري حوائجنا ونتزود ثمّ أرتحل. فقالا: لا والله ولا ساعة لترتحلن أو لنضربن عنقك فلمّا رأى الجد منهما ارتحل لاحِقاً بعثمان وأتيا الأشتر فأخبراه، وانصرف الأشتر من معسكره إلى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: والله يا أهل الكوفة ما غضبت إلا لله ولكم وقد ألحقنا هذا الرجل بصاحبه وقد ولّيت أبا موسى الأشعري صلاتكم وثغركم وحذيفة بن اليمان على فيئكم، ثمّ نزل وقال: يا أبا موسى اصعد فقال أبو موسى: ما كنت لأفعل ولكن هلمّوا فبايعوا لأمير المؤمنين

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٦٥.

عثمان وجددوا له البيعة في أعناقكم فأجابه الناس إلى ذلك فقبل ولايتهم وجدّد البيعة لعثمان في رقابهم، وكتب إلى عثمان بما صنع فأعجب ذلك عثمان وسرّه)).

قال ابن سعد في الطبقات: ((وكان الّذي صنع أهل الكوفة بسعيد بن العاص أوّل وهن دخل على عثمان حين اجتُرئ عليه))[١].

ولكن للحقّ والإنصاف نقول: ما كان الناس ليجترؤوا على الخليفة أو على ولاته إن كانوا أهل الدين والعدل والصلاح، وكان الخليفة قد اختارهم وفق الضوابط الشرعية المتقدّم ذكرها، بل كان حقيقة الحال في هذه التوليات الفاسدة أنّها ظلم للنفس وظلم للغير، وقد قال المولى سبحانه: **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[٢]، وأيضاً جُعل السبيل على الولاة الظالمين بقوله تعالى: **﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٣].

وعلى أية حال، فالحديث عن ولاة عثمان يطول، وخاصة إذا تناول الموضوع عبد الله بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة الّذي ولاه عثمان مصراً[٤]، ومعاوية بن أبي سفيان الّذي جمع له عثمان الشام كلّها، وهذا (السلف) سيأتي الحديث عنه بشكل خاص في الفقرة القادمة.

فلندع ذلك كلّه الآن، ولننتقل إلى حديث الأموال وعطايا الخليفة الّتي كان يوزّعها على قرباه (بالعدل) و(السوية) تماماً كما (أمره) الله سبحانه بذلك وكما كان

---

(١) الطبقات الكبرى ٥: ٣٣، تاريخ الإسلام ٣: ٤٣١، تاريخ مدينة دمشق ٢١: ١١٥.

(٢) سورة النحل، الآية ١١٨.

(٣) سورة الشورى، الآيتين: ٤١، ٤٢.

(٤) وعبد الله بن أبي سرح هذا هو ممّن أمر رسول الله ﷺ بقتله وأباح دمه ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، وقد نزل القرآن بكفره كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (سورة الأنعام: الآية٩٣)، وقد أطبق المفسرون أنّها نزلت في عبد الله بن أبي سرح، أُنظر على سبيل المثال: سنن أبي داود ٢: ٢٢٠، تفسير القرطبي ٧: ٤٠.

(يفعل) رسول الله ﷺ، لا يحيد عن هذه السيرة قيد أنمُلة! وهو قد سمع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[١]. وأيضاً سمع قول رسول الله ﷺ في يوم النحر: (أنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربّكم، ألا هل بلّغت. قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد)[٢]!!

(الخليفة)..وأموال المسلمين!

قال ابن قتيبة، وابن عبد ربه الأندلسي، واليافعي، والذهبي، والراغب الأصفهاني: ((وممّا نقم الناس على عثمان أنّه آوى طريد النبيّ ﷺ الحكم ولم يؤوه أبو بكر وعمر، وأعطاه مائة ألف))[٣].

وعن البلاذري في (الأنساب): ((روى ابن عباس قال: كان ممّا أنكروا على عثمان أنّه ولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة[٤] فبلغت ثلاثة مائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها))[٥].

وعن ابن عبد ربه في (العقد الفريد)، وابن قتيبة في (المعارف): ((إنّ عثمان أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد ثلاثمائة ألف بعد أن زوّجه ابنته))[٦].

وفي (تاريخ اليعقوبي): ((زوّج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة))[١].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٨، سورة النساء، الآية ٢٩.

(٢) صحيح البخاري ٢: ١٩١ كتاب الحج، باب الفتح قبل الحلق.

(٣) المعارف ١٩٤، العقد الفريد ٥: ٣٥، مرآة الجنان لليافعي ١: ٨٥ سير أعلام النبلاء ٢: ١٠٨، محاضرات الأدباء ٢: ٤٩٤.

(٤) حي باليمن.

(٥) أنساب الأشراف ٦: ١٣٧.

(٦) العقد الفريد ٥: ٣٥، المعارف ١٩٥.

وقال البلاذري في (الأنساب): ((قدمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم أخا مروان وصهر الخليفة من ابنته عائشة))[٢].

وذكر الراغب في محاضراته، وابن قتيبة في معارفه، وابن عبد ربه في العقد الفريد: أنّ عثمان أقطع سوق بالمدينة كان يعرف بمهزون على الحارث بن الحكم وكان النبيّ ﷺ يتصدّق به على المسلمين[٣].

وعن الحلبي الشافعي في (السيرة النبوية): ((أعطى عثمان الحارث عُشر ما يباع في السوق، أي: سوق المدينة))[٤].

وروى ابن قتيبة في (المعارف)، وأبو الفدا في تاريخه أنّ عثمان أقطع فدك لمروان وهي صدقة رسول الله ﷺ. فقال أبو الفدا: وأقطع مروان بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ الّتي طلبتها فاطمة ميراثاً فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه)، ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة[٥].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: (إنّه ـ أي: عثمان ـ أقطع فدك مروان، وهي صدقة لرسول الله ﷺ، وافتتح إفريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان)[٦].

وهذه الغنائم الّتي يهبها عثمان لذويه وأهل خاصّته بلا ضابط شرعي قد جاء حكمها عن رسول الله ﷺ، إذ قال ﷺ: (لله خمسه وأربع أخماس للجيش، وما أحد أولى به من أحد، ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحق به من أخيك

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٥.
(٢) الأنساب ٦: ١٣٧.
(٣) محاضرات الراغب ٢: ٤٩٤، المعارف: ١٩٥، العقد الفريد ٥: ٣٦.
(٤) السيرة الحلبية ٢: ٢٧٢.
(٥) تاريخ أبو الفداء ١: ٢٣٦، المعارف: ١٩٥.
(٦) العقد الفريد ٥: ٣٥.

المسلم)[١]، وأمّا السنّة الثابتة في الصدقات فهي أنّ أهل كلّ بيئة أحقّ بصدقتهم ما دام فيهم ذو حاجة، وليست الولاية على الصدقات للجباية وحملها إلى عاصمة الخلافة، وإنّما هي للأخذ من الأغنياء والصرف في فقراء محالها، وقد ورد في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام والصلاة أنّه قال: (فإذا أقرّوا لك بذلك فقل لهم: إنّ الله قد فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم)[٢].

وهكذا فعل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عندما آلت الأمور إليه، فقد كتب إلى قثم ابن العباس عامله على مكة: (وأُنظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا)[٣]، وقال عليه السلام لعبد الله بن زمعة لمّا قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً: (إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم)[٤].

ويروى في هذا الجانب أيضاً أنّه قد أتى أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام يوماً مالٌ من أصبهان فقسّمه بسبعة أسباع ففضل رغيف فكسره بسبع فوضع على كلّ جزء كسرة، ثمّ أقرع بين الناس أيّهم يأخذ أوّل[٥].

---

(١) سنن البيهقي ٦: ٣٢٤، ٣٣٦، المغني لابن قدامة ٩: ٢٥٧، كنز العمال ٤: ٣٧٥.

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٠٩، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، الأموال لأبي عبيد: ٥٨٨، المحلى ٦: ١٤٦.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٢٦.

(٤) سنن البيهقي ٦: ٣٤٨، ٣٤٩.

(٥) سنن البيهقي ٦: ٣٤٩، المجموع شرح المهذب ١٩: ٣٨٥، نيل الأوطار ٨: ٢٣٥.

وروى ابن حجر في (الصواعق المحرقة) قائلاً: إنّه عليه السلام أتته امرأتان تسألانه، عربية ومولاة لها، فأمر لكلّ واحدة منها بكر من طعام وأربعين درهماً، فأخذت المولاة الّتي أعطيت وذهبت، وقالت العربية: يا أمير المؤمنين! تعطني مثل الّذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ قال لها عليّ رضي الله عنه (إنّي نظرت في كتاب الله عزّ وجلّ فلم أرَ فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق)[1].

ونحن حين ننظر إلى عطايا عثمان المجانية لذويه، المتقدّم بيانها، وننظر إلى عطايا عليّ عليه السلام المحكومة بحكم الشرع، والتي لا تحيد عن حكم الشرع حتّى في كسرة خبز واحدة، نقول: كم أنت مسكين يا عقيل بن أبي طالب حين كان قدرك أن تكون أخاً لعليّ وليس لعثمان، إذ لو كنت أخاً لعثمان أو حتّى قريباً له من الدرجة الثانية أو الثالثة أو حتّى العاشرة لملئت حضنيك من أموال المسلمين ببركات عطاء الخليفة الّذي يعطي من يشاء ويمنع[2]، ولمضيت هانئاً مسروراً وإن جاع آخرون! ولكن الله ابتلاك بأخيك عليّ بن أبي طالب، فأنت لم تقبل إليه يوماً لتستميحه سوى أن يعطيك صاعاً من البر (لا غير) زيادة على غيرك من المسلمين للتوسيع عليك وعلى عيالك، لا سيّما وأنت ضرير لا تقدر على السعي والعمل، فاستمهلك قليلاً وقال لك خذ، فمددت يديك، وأنت تظن أنّ أخاك الصلد الجلد، والخشن في ذات الله قد باع دينه لك، وأنّه سيؤثرك على غيرك من المسلمين بدافع الأخوة والقرابة، وأنّه سيعطيك شيئاً ولو يسيراً زيادة على غيرك! ولكن، خاب ظنّك فيه، فإذا هي حديدة محماة قد أمسكت بها، ألهبتك ناراً، وجعلتك تتأوه ألماً، فقال لك أمير المؤمنين عليه السلام متعجباً: تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنم[3]؟!

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٣٨٥.

(٢) حبس عثمان العطاء عن عبد الله بن مسعود مدّة سنتين لخلاف بينهما وفي رواية ثلاث سنين، وكان قبل هذا قد ضربه وكسر أضلعه، راجع أُسد الغابة ٣: ٢٥٩، وتاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠٤٩ ـ ١٠٥٢، وتاريخ اليعقوبي ٢١: ١٧٠.

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٣٨٥.

لله أنت يا علي، لله أنت يا أمير المؤمنين، وسيّد الوصيين، وقائد الغر المحجّلين، والله إنّا لنفاخر الدنيا كلّها شيعتك وأتباعك ومحبّيك قد رضينا بك إماماً وقائداً وهادياً مهديّاً، فأنت إمامنا وليختر غيرنا ما شاء له الهوى من أئمة، ونحن باتّباعك لسائرون على الصراط المستقيم.

وفي (أسد الغابة) لابن الأثير: ((إنّ عقيل بن أبي طالب لزمه دين فقدم على عليّ بن أبي طالب الكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه، فلمّا أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل فقال عقيل: ما هو إلا ما أرى، قال: لا، قال: فتقضي ديني؟ قال: وكم دينك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: ما هي عندي ولكن اصبر حتّى يخرج عطائي فإنّه أربعة آلاف فأدفعه إليك. فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوّفني بعطائك؟ فقال: أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها؟!!))[١]

ولكلّ سلفه كما يقولون، فسلفنا عليّ عليه السلام والصحابة الأبرار، وللآخرين سلفهم عثمان ومن شاكله، وكما قال المولى سبحانه: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً**﴾[٢].

نموذج رابع من سلف القوم

وفي إطار حمى هذا التوهج السلفي الّذي نلاحظه عند البعض، نقول لعل هذا البعض يعجبه أن يحمل الأمّة على الاقتداء بالشجرة الملعونة في القرآن، وقائدها (الفذ) أبو سفيان و(ربيبها العتيد) معاوية ابنه، الملعونان على لسان النبيّ الأمي صلى الله عليه وآله في أكثر من موضع وموضع، ليأخذ المسلمون بسيرتهم (الهادية) (العطرة)!!

---

(١) أسد الغابة ٣: ٤٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٢٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٤

قال الطبري في تاريخه، وهو يذكر من عادى النبيّ ﷺ: ((وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة وأوّلهم في كلّها حرب ومناصبة، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان هو صاحبها وقائدها ورئيسها في كلّ مواطن الحرب من بدر واُحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله، ثمّ الملعونين على لسان رسول الله في عدّة مواطن وعدّة مواضع لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم، فحارب مجاهداً ودافع مكابداً وأقام منابذاً حتّى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقوّل بالإسلام غير منطو عليه، وأسرَّ الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون وميّز له المؤلّفة قلوبهم فقبله وولده على علم منه)).

ثمّ يقول الطبري: ((فممّا لعنهم الله به على لسان نبيّه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله: ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾[1]، ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد بها بني أمية. ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: (لعن الله القائد والراكب والسائق)، ومنه ما يرويه الرواة من قوله: ((يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنّة ولا نار))، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون))[2].

وعن القرطبي، والسيوطي، وابن كثير، والآلوسي وغيرهم من المفسّرين في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**﴾[3]، قال سهل بن سعد: ((عن سهل بن سعد قال: إنّما هذه الرؤيا هي أنّ رسول الله ﷺ كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكاً من يومئذٍ حتّى

(١) سورة الإسراء، الآية ٦٠.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ١٨٥، وأُنظر: تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٦، والدر المنثور ٤: ١٩١.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٠.

مات ﷺ، فنزلت الآية مخبرة أنّ ذلك من تملّكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً))[١].

وقد بيّن النبيّ ﷺ أنّ بني أمية وأتباعهم هم من البغاة وممّن يدعون إلى النار، روى البخاري في (صحيحه)، أنّ رسول الله ﷺ قال: (ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار)[٢]. ومن المعلوم أنّ عمّاراً قد قتل على يد جيش معاوية في حرب صفين الّتي خرج فيها معاوية لحرب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام!

وعن نصر بن مزاحم في كتاب (صفيّن)، والطبري في تاريخه، والذهبي في (سير أعلام النبلاء) من طريق أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، أنّ النبيّ ﷺ قال: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)[٣].

وعن البراء بن عازب، قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله ﷺ: (اللّهمّ العن التابع والمتبوع، اللّهمّ عليك بالأقيعس)، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال معاوية[٤].

وإلى هذا المعنى أشار محمّد بن أبي بكر في رسالته إلى معاوية حين قال له: (وأنت اللعين ابن اللعين)[٥].

فهل هذا هو (السلف) الّذي يريدنا هؤلاء (السلفيون) أن نتّبعه، إن كان الأمر كذلك فيصح القول فيهم حينئذٍ بأنّهم لا يألون جهداً في التضليل على الأمّة،

---

(١) تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٣، تفسير ابن كثير ٣: ٥٢، الدر المنثور ٤: ١٩١، تفسير الآلوسي ١٥: ١٠٧.

(٢) صحيح البخاري ٣: ٢٠٧ باب من أغبرت قدماه في سبيل الله.

(٣) وقعة صفين: ٢١٦، تاريخ الطبري ٨: ١٨٦، سير أعلام النبلاء ٣: ١٤٩، الأنساب للسمعاني ٣: ٩٥، تهذيب التهذيب ٢: ٣٦٩، والحديث صحيح، راجع بيان صحته من كتب أهل السنّة في موسوعة الغدير ٨: ١٤٢ ـ ١٤٨.

(٤) وقعة صفين: ٢١٧.

(٥) أنظر جمهرة رسائل العرب ١: ٤٧٥، سمط النجوم العوالي ٣: ١٤، مروج الذهب ٣: ٢١، شرح النهج للمعتزلي ٣: ١٨٩، النصائح الكافية: ٤٣.

والضحك على ذقون المسلمين، ولعل المتحذلقين منهم سيقولون إنّ هذه اللعائن الّتي صبّت على معاوية وأبيه وأخيه من قبل رسول الله ﷺ إنّما هي مناقب عزّ وأوسمة فخار علّقها النبيّ ﷺ على صدور هؤلاء القوم، وذلك أنّ النبيّ ﷺ قال: (اللّهمّ من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة أو رحمة)(١)!!

ونقول: لعل الوقوع في المتباينات قضية سلفية أيضاً يتم تلاقفها خلفاً عن سلف عند هؤلاء.. وإلا أفلم يروي أئمّة الحديث عند هؤلاء المتمسلفين كأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والطبراني والدارقطني أنّ رسول الله ﷺ قال: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)(٢)؟!

فإن قالوا: إنّ رسول الله ﷺ كان يسب معاوية أو يسب غيره.

فقد أجروا الفسق على رسول الله ﷺ من حيث يشعرون أو لا يشعرون!! وهو ينافي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(٣).

وإن قالوا: إنّ رسول الله ﷺ لم يكن يسب معاوية وإنّما كان يلعنه ولا يشتمه، وأحدهما غير الآخر.

قلنا: قد رويتم بأسانيد صحيحة أيضاً أنّ النبيّ ﷺ قال: (من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه)(٤)، وهذا معناه عود اللعن إلى شخص النبيّ الأكرم ﷺ، إن لم يكن معاوية أهلاً للعن رسول الله ﷺ هو محال، لأنّ الله سبحانه قد زكّى نبيّه ﷺ

---

(١) فيما تحذلق به الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ٢: ٦٩٩ عند ترجمته للمحدّث النسائي.

(٢) مسند أحمد ١: ٣٨٥، ٤١١، صحيح البخاري ٧: ٨٤، ٨: ٩١، صحيح مسلم ١: ٥٨، سنن الترمذي ٣: ٢٣٨، ٤: ١٣١.

(٣) سورة القلم، الآية ٤.

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري ٣: ٣١٥ وصححه، سنن أبي داود ٢: ٤٥٨، سنن الترمذي ٣: ٢٣٦ حسّنه وقال: (لا نعلم أحداً أسنده غير بشر بن عمر)، تحفة الأحوذي: ٦/ ٩٦ قال المباركفوري: (وأخرجه أبو داود وابن حبان في صحيحه قال المنذري بعد نقل كلام الترمذي هذا ما لفظه: وبشر بن عمر هذا هو الزهراني احتج به البخاري ومسلم) (انتهى).

في قرآنه بآيات محكمات، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهي تتلى على مسامع المسلمين آناء الليل وأطراف النهار إلى يوم القيامة، وأيضاً يترتب على هذا الأمر ـ لو فرض وقوعه ـ خلو قوله ﷺ من الحكمة والعدل، وهو محال أيضاً لما تقدّم، وأيضاً للإجماع على عصمته ﷺ بعد البعثة. فلا يكون أمامنا سوى أن نقرّ بأنّ معاوية كان أهلاً للعن النبيّ ﷺ له، وهو الحقّ، لأنّه يطابق حكمته ﷺ وعدله في القول والفعل، إذ لكلّ فعل غاية، ولا يخلو فعل فاعل عاقل من حكمة وغاية، وعندما نتساءل هنا عن الحكمة أو الغاية الّتي كان يطلبها النبيّ ﷺ من لعن معاوية، ثمّ نسأل بعدها هل تراه قد انتفت تلك الحكمة أو الغاية التي كان يتوخاها ﷺ من لعنه لمعاوية حتّى بعدها أثر هذا اللعن إلى زكوات ورحمة كما يدّعي هؤلاء؟!

فالحق يقال: إنّ النبيّ ﷺ عندما كان يلعن أُناساً معينين ويذكرهم بأسمائهم، كان يهدف من ذلك إلى عدّة أمور:

منها: تمييزهم عن أهل الحقّ وتشخيص كونهم من أهل الباطل.

ومنها: تنبيه المؤمنين إلى الحذر منهم وعدم اتخاذهم أولياء، لأنّ الله سبحانه قد حصر ولاية المؤمنين بالمؤمنين فقط، قال سبحانه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[(١)].

ومنها: استنزال العون من الله سبحانه في التخلص من شرور هؤلاء الأشخاص وردّ كيدهم، لأنّ اللعن يعني الطرد من رحمة الله واستجلاب العون على هؤلاء الملعونين.. إلى غير ذلك من الغايات الشرعية العقلائية الّتي كان يتوخاها الرسول الأعظم ﷺ من فعله هذا.

وهذه الغايات نجدها ـ عند التحقيق ـ لم تنتف أو تتلاشى بحق معاوية، إذ لم يصبح معاوية بعد لعن النبيّ ﷺ له من المؤمنين الورعين الّذين يستحقّون زكاة الله

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

ورحمته، بل إنّا وجدناه قد ازداد عتواً وفساداً في الأرض، وفاق أقرانه في الموبقات، وأصبح رأساً في الدعاة إلى النار وقائداً للفئة الباغية الّتي حاربت الخليفة المفترض الطاعة على المسلمين في زمانه(١)، وأيضاً لم يكن معاوية بعد لعن النبيّ صلى الله عليه وآله له ليصبح من المؤمنين الورعين وهو في نفس الوقت يأمر بالفسوق ويطلب من رعيّته سبّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وفي بعض الأحيان تراه يقوم بهذا الفعل الشنيع بنفسه(٢)؟!

ومعاوية بعد هذا كان ممّن يرتكب المحرمات ويتناول المنكرات كالخمر، ولا يتردد في دعوة ضيوفه وجلسائه ـ وهو في سدّة خلافة المسلمين ـ ليشاركوه في تناول هذا المنكر (الخمر)!

وإليك البيان عن هذه الحادثة بالذات:

روى أحمد في مسنده من طريق عبد الله بن بريدة، قال: ((دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثمّ أتينا بالطعام فأكلنا، ثمّ أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي، قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله صلى الله عليه وآله))(٣).

وروي ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق)، من طريق عمير بن رفاعة: ((قال: مرّ على عبادة بن الصامت وهو في الشام قطارة تحمل الخمر، فقال: ما هذه؟ أزيت؟ قيل: لا، بل خمر تُباع لفلان. فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له: أما تمسك عنّا أخاك عبادة؟ أما تمسك عنّا أخاك عبادة؟ أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على

---

(١) أُنظر الحديث الوارد في حقّ عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) بأنّه تقتله الفئة الباغية في صحيح البخاري ٣: ٢٠٧ باب مسح الغبار عن الناس.

(٢) أُنظر صحيح مسلم ٧: ١٢٠ باب فضائل عليّ رضي الله عنه وسؤال معاوية لسعد بن أبي وقاص عمّا منعه عن سب عليّ عليه السلام.

(٣) مسند أحمد ٥: ٣٤٧.

أهل الذمة متاجرهم، وأمّا بالعشيّ فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا أو عيبنا، فأمسك عنّا أخاك.

فأقبل أبو هريرة يمشي حتّى دخل على عبادة، فقال له: يا عبادة مالك ولمعاوية؟ ذره وما حمل، فإنّ الله يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾[1]، قال: يا أبا هريرة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ، بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا بيثرب، فنمنعه ممّا نمنع منه أنفسنا، وأزواجنا، وأهلنا، ولنا الجنّة، فهذه بيعة رسول الله ﷺ الّتي بايعناه عليها، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله ﷺ وفى الله له بما بايع عليه نبيّه. فلم يكلّمه أبو هريرة بشيء.

فكتب فلان إلى عثمان بالمدينة أنّ عبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام وأهله فإمّا أن يكف عبادة وإمّا أن أخلي بينه وبين الشام. فكتب عثمان إلى فلان أن أرحله إلى داره من المدينة فبعث به فلان حتّى قدم المدينة فدخل على عثمان الدار وليس فيها إلا رجل من السابقين بعينه ومن التابعين الّذين أدركوا القوم متوافرين، فلم يفج عثمان به إلا وهو قاعد في جانب الدار، فالتفت إليه فقال: ما لنا ولك يا عبادة؟ فقام عبادة قائماً وانتصب لهم في الدار فقال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ أبا القاسم يقول: (سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٤.

فلا طاعة لمن عصى فلا تعتلوا بربّكم)، فوالّذي نفس عبادة بيده إنّ فلاناً لمن أولئك. فما راجعه عثمان بحرف))[١].

فهذه الرواية صريحة بالإفصاح عن واقع سلف هؤلاء (السلفية): من الفاعل للمنكر (معاوية)، والمحامي عن الباطل (أبي هريرة)، والساكت عن الحقّ غير الآمر بالمعروف (عثمان).

فللّه درّه من (سلف)، وأنعم بالغاط في نومه وجهله من (خلف)!!

ويمكننا أن نضيف للحادثة المتقدّمة حادثة أخرى رواها أبو داود في سننه كما رواها غيره تشهد بمعرفة معاوية بمناهي رسول الله ﷺ عن بعض الأمور، ومع هذا فهو لا يتورع عن ممارستها أو حيازتها عنده.

وملخص الحادثة بلسان أبي داود: أنّه وفد المقدام بن معد يكرب[٢] وعمرو ابن الأسود[٣] ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أنّ الحسن بن عليّ توفي؟ فرجع المقدام، فقال له فلان [رجلٌ][٤]: أتعدّها [أتراها] مصيبة؟[١] قال له: ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ١٩٧، ١٩٨ يرويه بسند صحيح، ورواه أحمد في المسند ٥: ٣٢٥ مع تصرّف واضح من البتر المضيع لحقيقة الحادثة، وهذا نموذج واحد نقدّمه لمن يريد أن يلاحظ ما فعله المحدّثون بالتموية على الأمة كي لا تعرف حقيقة (سلفها).. فراجع وأنظر.

وأيضاً رواه الهيثمي في: مجمع الزوائد ٥: ٢٢٧، قال: رواه أحمد...وكذلك الطبراني ورجالهما ثقات، وابن كثير في: البداية والنهاية ٣: ١٩٩، والسيرة النبوية ٢: ٢٠٣ يرويه عن البيهقي مع تضييع المسميات كما فعل أحمد في المسند وقال: (وهذا إسناد جيد ولم يخرّجوه)، نقول: في رواية محدّث الشام ابن عساكر بالسند الصحيح كفاية.

(٢) صحابي مشهور نزل بالشام (عون المعبود ٢:١٨٣٣).

(٣) حمصي مخضرم ثقة عابد (عون المعبود ٢:١٨٨٣).

(٤) قال العظيم آبادي في شرحه على سنن أبي داود: ((وفي بعض النسخ وقع رجل مكان فلان، والمراد بفلان هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه، والمؤلف لم يصرّح باسمه وهذا دأبه في مثل ذلك)). (عون المعبود ٢:١٨٨٤).

الله ﷺ في حجره فقال: (هذا منّي وحسين من علي)؟! فقال الأسدي: جمرة أطفأها الله عزّ وجل، قال: فقال المقدام: أمّا أنا فلا أبرح اليوم حتّى أغيظك وأسمعك ما تكره، ثمَّ قال: يامعاوية إن أنا صدقت فصدّقني، وإن أنا كذبت فكذّبني. قال: افعل. قال فأنشدُكَ بالله هل سمعتَ رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير؟

قال: نعم. قال: فأنشدُك بالله هل تعلمُ أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها؟ قال: نعم. قال: فوالله لقد رأيت هذا كلّه في بيتك: يا معاوية. فقال معاوية: قد علمت أنّي لن أنجو منك يامقدام[٢].

وأيضاً جاء في حق معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص معاً قول رسول الله ﷺ فيهما عندما سمعهما يغنيان: (اللّهمّ اركسهما في الفتنة ركساً، اللّهمّ دعّهما إلى النار دعّا)[٣].

---

(١) قال العظيم آبادي: ((وفي بعض النسخ أتراها، أي: أتعدّ يا أيها المقدام حادثة موت الحسن رضي الله تعالى عنه مصيبة، والعجب كلّ العجب من معاوية فإنّه ما عرف قدر أهل البيت حتّى قال ما قال، فإنّ موت الحسن بن علي رضي الله عنه من أعظم المصائب، وجزى الله المقدام ورضي عنه فإنّه ماسكت عن تكلّم الحق حتّى أظهره، وهكذا شأن المؤمن الكامل المخلص)).(عون المعبود ٢:١٨٨٤).

(٢) سنن أبي داود: ٦١٦ حكم عليه الألباني بالصحة، سير أعلام النبلاء ٣:١٥٨ صرّح ـ أي الذهبي ـ بأنّ إسناده قوي، مسند أحمد ٤:١٣٢ رواه مختصراً وحذف المقطع الّذي فيه تعريض المقدام بمعاوية، سنن النسائي ٧:١٧٦ روى فيه إقرار معاوية بالنهي فقط، السنن الكبرى للبيهقي ١:٢١، ٣:٢٧٤ كذلك. المعجم الكبير ٣:٤٣، ٢٠:٢٦٩. تاريخ مدينة دمشق ٦٠:١٨٧، ٦٨:٩٣.

(٣) الإركاس والركس: الرد والإرجاع، وفي التنزيل ((والله أركسهم بما كسبوا)). والدع: الدفع الشديد. وفي الكتاب الكريم: ((يوم يدعون إلى نار جهنم دعّا)). والحديث رواه أحمد في المسند ٤:٤٢١ إلا أنّ فيه بدل التصريح بالأسماء: ((فلان وفلان)) وكذلك فعل ابن أبي شيبة في مصنفه ٨:٦٩٥، وأبو يعلى في مسنده ١٣:٤٣١ وقد عرفنا أنّ هذا الأسلوب هو مذهب مشهور للقوم عندما يريد منّا التغطية على معائب بعض القوم. إلا أنّ الطبراني في الكبير ١١:٣٢ صرّح بالاسمين معاً، وكذلك فعل الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ٣:١٣٢.. وقد طعنوا في الحديث من جهة يزيد بن أبي زياد كما في (الموضوعات) لابن الجوزي ٢:٢٨، إلا أنّه يمكن مراجعة الرد على هذا الطعن في كتاب ابن حجر (القول المسدد في مسند أحمد) ص٩٧، وأيضاً (نفحات الأزهار) للميلاني ٢٠:١٤٢.

لعن معاوية يستفاد من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة:

وأيضاً يمكننا القول، إضافة لما تقدّم من ورود اللعن بحق معاوية على لسان النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، أنّه يمكن استفادة لعنه كذلك من خلال الآيات القرآنية عند ملاحظتها مع أحاديث صحيحة أخرى.

فقد نصّ القرآن الكريم على ثبوت اللعن في الدنيا والآخرة بحق كلّ من يؤذي الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾[١]، ومن الثابت تاريخياً أنّ معاوية قد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله بحربه لعليّ عليه السلام، وأيضاً بسبّه له على المنابر، وكذلك أمره لرعيته بسبّه ولعنه كما في حادثة سعد بن أبي وقاص الّتي تقدّمت الإشارة إليها وغيرها، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: (من آذى علياً فقد آذاني)[٢]، وقال صلى الله عليه وآله لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)[٣]، وقال صلى الله عليه وآله: (من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبَّ الله أكبّه الله عزّ وجلّ على منخره)[٤].

وروى الحاكم في (المستدرك على الصحيحين) ((عن أبي مليكة عن أبيه، قال: جاء رجل من أهل الشام فسبّ عليّاً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس فقال: يا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

(٢) مسند أحمد ٣: ٤٨٣، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٢ صححه، ووافقه الذهبي، مجمع الزوائد ٩: ١٢٩ قال الهيثمي: (رواه أحمد والطبراني والبزار أخصر منه ورجال أحمد ثقات).

(٣) مسند أحمد ٢: ٤٤٢، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦١ حسّنه وذكر شاهداً له من حديث زيد بن أرقم، ولم يتعقبه الذهبي بشيء، كنز العمال ١٣: ٦٤٠ يرويه عن ابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجة وابن حبان والطبراني والحاكم والضياء في المختارة.

(٤) الرياض النضرة ٣: ١٢٢، مسند أحمد ٦: ٣٢٣، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٠ صححه، ووافقه الذهبي، مجمع الزوائد ٩: ١٣٠ قال الهيثمي: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة).

عدو الله آذيت رسول الله ﷺ إنّ الّذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً، لو كان رسول الله ﷺ حيّاً لآذيته)).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه[١].. ووافقه الذهبي.

ولنكتف بهذا المقدار من البيان عن (سلف) القوم المسمّين لأنفسهم هذه الأيام بـ(السلفية)، والمهم عندنا أنّا قد بيّنا عيّنة مباركة من السلف الصالح للشيعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من الّذين أصحروا بولائهم لرسول الله ﷺ وأطاعوه في ابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الكرام، ومن الّذين قلّدهم النبي ﷺ أوسمة فخار وفضل لم يختلف عليها اثنان من أهل الإسلام على مختلف فرقهم ومذاهبهم، وقد خطّ البعض منهم هذا الولاء بدمه فاستشهد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه الّتي خاضها أمام الناكثين والقاسطين والمارقين من سلف القوم فكانوا مصاديقاً عظيمة للجمع في العقيدة بين القول والعمل، وكذلك كان هذا الولاء منهم للإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام في فترة إمامتهما المباركة. ونحن هنا لم نتناول بالذكر أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام فيمن تناولنا من رموز التشيّع من الصحابة والتابعين؛ لأنّهم عليهم السلام قادة هذا السلف الصالح من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وعلى رحى ولائهم يدور قبول طاعات العباد وأعمالهم!

ونقول: إنّ هذا الاعتقاد الّذي سار عليه هؤلاء الصحابة الأبرار المتقدّم ذكرهم أمثال عمّار وسلمان وأبي ذر وحذيفة والمقداد وخزيمة ذي الشهادتين وابن عباس وحجر بن عدي وأبي الهيثم مالك بن التيهان، والّذي سار عليه التابعون الأخيار أمثال أويس القرني المسمّى من قبل رسول الله ﷺ بخير التابعين، وزيد الخير، والتابعي الجليل كميل بن زياد، وآخرون غيرهم ـ لم نذكرهم طلباً للاختصار ـ[٢] من

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣١، وتلخيص المستدرك للذهبي.

(٢) أشرنا سابقاً أنّه يمكن مراجعة الأعداد الكثيرة من الصحابة والتابعين الشيعة في كتاب ((الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة)) للسيد علي خان المدني.

الآخذين بهدى الثقلين اللذين أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله أمّته بالأخذ بهما من بعده، هو نفسه الاعتقاد الّذي يسير عليه الموالين لأهل البيت عليهم السلام في يومنا هذا، بل وفي كلّ زمان، فهذه العقيدة هي عقيدة (الشيعة الإمامية)، إذ لا يوجد أدنى فارق بين ما يعتقده أولئك الصحابة والتابعين الأخيار وبين ما يعتقده (الإمامية) اليوم، بل وقبل هذا اليوم، من الولاء والانقطاع إلى أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله امتثالاً لأوامره صلى الله عليه وآله.

ولا يدّعي مدّعي بأنّ هؤلاء (السلفية) أو ما يسمّون أنفسهم بـ(أهل السنّة والجماعة) هم أيضاً يسيرون على هدى هذا السلف الصالح من الصحابة المتقدّم ذكرهم وإن كان الشيعة قد اتخذوهم سلفاً لهم كذلك، فإنّ لازم هذه الدعوى هو الجمع بين الضدّين، والجمع بين الضدّين محال كما هو معلوم، فعمار السلف الصالح للشيعة الإمامية، هو ممّن حمل السلاح بوجه (الشجرة الملعونة) السلف الطالح للسلفيين، وجاهر بعدائه للحزب الأموي وأتباعه، فلا يمكن لأهل السنّة أن يدّعوا محبّته أو السير على هداه، وهم في نفس الوقت يحبّون قاتليه والباغين عليه، فإنّ هذا محض افتراء ونفاق، قد كذّبه القرآن الكريم وأبطل دعواه بقوله: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[1]، الدال بكلّ عناية على استحالة الجمع بين محبة أولياء الله ومحبة أعدائهم تكويناً وتشريعاً!

وأيضاً قال سبحانه: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

وحول هذا المعنى المزدوج الّذي يدّعيه البعض، وربما قد يتمثله سلوكاً نفاقياً يعيش به، يروى أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: إنّي أتولاك وأتولّى فلاناً وفلاناً، فقال له عليه السلام: (أنت اليوم أعور فأُنظر تعمى أو تبصر)[1].

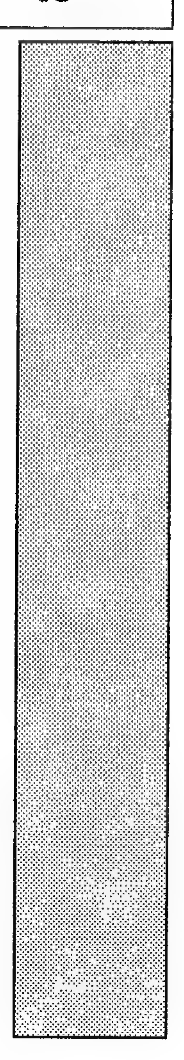
وكأنّه أراد عليه السلام بقوله هذا أن يبيّن لهذا الشخص أنّ القضية الّتي يتحدث عنها إنّما هي مانعة جمع - كما يقول أهل المنطق في اصطلاحهم -، بمعنى أنّه لا يمكن الجمع بين أطرافها بأيّ حال من الأحوال.

وفي هذه الحادثة يقول السيّد الحميري رحمه الله شعراً:

أتانا رجل جلف وقد وافى عليّ المنبر
فقال الرجل الداخل قولاً بعضه منكر
لقد حبّب لي الكلّ في سري وما أظهر
فقال الطهر أنت اليوم فيما قد بدا أعور
فإمّا أن ترى تعمى وإمّا أن ترى تبصر
وما للمرء من قلبين ذا صافي وذا كدر

---

(١) الصراط المستقيم ٣: ٧٥.



المحور الثالث

▣ نسبة التشيّع لابن سبأ

ابن سبأ بين الحقيقة والخيال

كلّما نقرأ أو نسمع من المناوئين لخط الولاء لأهل البيت عليهم السلام كلاماً يقولون فيه أنّ ابن سبأ هو المؤسس للتشيّع، أو أنّه أوّل من قال بالوصية لعليّ عليه السلام وأشباه ذلك من الأقوال، نتذكّر على الفور في حقّ هؤلاء قولاً بليغاً لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول فيه: (أعجز الناس من قدر على أن يزيل النقص من نفسه ولم يفعل)[1]!

وأيضاً نتذكر كلاماً كتبه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري للصحابي الجليل سلمان المحمّدي جاء فيه: ((واعلم أنّ أعجز الناس عجزاً من اتّبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني، وإنّ أكيس الناس كيساً من دان نفسه لله وعمل لما بعد الموت))[2].

فهذه الكلمات –في الواقع– تشخّص لنا حالة من حالات النفس البشرية في المجال المعرفي، فالإنسان الّذي يعجزه هواه عن إكمال نقصه المعرفي، وهو قادر على ذلك ولكنه لم يفعل لسلطنة الهوى عليه تجد أنّ أقصى ما يمكنه النهوض به من حجّة أو دليل يدحض به دعاوى الآخرين الّذين يخالفون مذهبه ومشربه هو اتهامات مجانية لم تخضع لمختبر التحقيق والتدقيق، وتراه يتمادى في بناء استنتاجاته هذه حتّى ينتهي به الأمر إلى التسافل باللجوء إلى خسيس الأقوال والأفعال تبعاً لهواه.. وهذا كلّه ـ في الواقع ـ نتاج حي لعقدة النقص الّتي تنتاب أمثال هؤلاء الناس الّذين كانوا قادرين على أن يزيلوا النقص عن أنفسهم ولكنهم لم يفعلوا ذلك، وظلّوا أسارى الهوى وما تمليه النفس الأمّارة بالسوء عليهم!!

وإلا، فالمرء العاقل (الكيّس)، الّذي تكون الحكمة ضالّته، ويضع المولى سبحانه وتعالى نصب عينيه في كلّ أقواله وأفعاله، يعلم أنّ الحقيقة هي بنت البحث، وأنّ قوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ

---

(١) ميزان الحكمة ٣: ١٨٢٦.

(٢) مشكاة الأنوار: ٣١٩.

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾(١)، يدل دلالة واضحة على أنّ الحجّة سواء في الاعتقاد أو في الدعوة إلى الله، أو في تفنيد شبه الآخرين إنّما تكون بالعلم لا غير، وأنّ الوسائل الموصلة إلى ذلك قد سخّرها المولى سبحانه كلّها للإنسان وهي موجودة فيه من سمع وبصر وعقل، قد تمّت الحجّة بها عليه، فلا عذر ـ بعد هذا ـ للإنسان أن يبقى جاهلاً لا يعرف الحقّ، أو لا يسعى جاهداً في الوصول إليه بعد طرو الشك والشبهة فيه، مع عظيم ما سخّره له المولى سبحانه من الطاقات والقدرات الّتي توصل إلى الحق الّذي لا ريب فيه!!

وحكاية (ابن سبأ) هذه الّتي يعزف عليها البعض ليدفع بها واقعاً معاشاً وفاعلاً أمامه لا يقوى على ردّ حججه وبيّناته سوى الإحالة إلى مثل هذه التخرصات، أو الاستعانة بقصص نسجتها أقلام الكتّاب، تنبئنا عن العجز الحقيقي لأولئك الّذين تصدّوا لمواجهة مذهب الحقّ، مذهب أهل البيت عليهم السلام الّذي ثبت عندنا، وبحسب الأدلة الّتي استعرضناها في الصفحات السابقة، أنّه المذهب الحقّ الّذي ارتضاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله لأمّته من بعده، والّذي سار عليه العظماء من الصحابة والتابعين الأخيار الأبرار.. وإن كان الأولى ـ بحسب ما نتصوّره ـ أن لا نتناول مثل هذه المسألة، أي: مسألة ابن سبأ في هذا الكتاب، وأن نقتصر فيه على تناول المسائل العلمية فقط، ولكن مادام قد وجدنا البعض ـ وهو في القرن الحادي والعشرين عصر العلم والنور ـ يعيش أسيراً للجهل والظن بطرحه لأمثال هذه الأمور، ارتأينا ـ من أجل خدمة الحقّ وأهله ـ أن نستعرض للقارئ الكريم هذه الحكاية وملابساتها، لننظر ولينظر معنا القارئ الكريم أيضاً، أنّ هذه (القصة) هل تقوى على إثبات نفسها، فضلاً عن الاستعانة بها في دفع ما عليه الآخرين من الهداية والحقّ المبين إذن، فلنتابع معاً هذه الحكاية، ونستعرض شؤون عازفيها منذ بادئ أمرهم!!

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

أصل (الحكاية)!

لقد عزف على هذا الوتر ـ حكاية ابن سبأ[1] ـ الكثير من العجزة وتبعهم على ذلك أُناس أعجز منهم، وهم من الّذين قد يغتر البعض بهم ويحسبهم من المؤرخين الأثبات، أو من المحقّقين الأفذاذ الّذين لا يرشح عن قلمهم سوى النور أو الحقّ المبين، مع أنّه ـ وبقليل من البحث فقط ـ يكتشف المرء أنّ هؤلاء قد ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، وأنّ كلّ ما قالوه أو صوّروه إنّما هو في واقعه ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]!!

فمثلاً، تجد من المتأخرين مثل محمّد رشيد رضا[3] ينقل هذه القصة في صفحة ٤ ـ ٦ من كتابه (السنّة والشيعة) يقول: ((كان التشيّع للخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب عليه السلام مبدأ تفرّق هذه الأمة المحمّدية في دينها وفي سياستها. كان مبتدع أصوله يهودي اسمه (عبد الله بن سبأ) أظهر الإسلام خداعاً، ودعا إلى الغلو في عليّ (كرّم الله وجهه) لأجل تفريق هذه الأمّة وإفساد دينها ودُنياها عليها)).

وإذا أردت مستنده فيما يذكره هنا، وجدته يقول بعد ذلك: ((ومن راجع أخبار واقعة الجمل في تاريخ ابن الأثير مثلاً يرى مبلغ تأثير إفساد السبئيين لذات البين دون ما كاد يقع من الصلح، راجع ص ٩٥، و ٩٦، ١٠٣ من الجزء الثالث))[4].

---

(١) أطلقنا على هذه المسألة لفظ (حكاية) أو (قصة) تماشياً مع المصدر الّذي نقلها عن مختلقها الأوّل كما ستعرفه بعد قليل.. وهي ـ حقّاً ـ جديرة بهذا الوصف!!

(٢) سورة النور، الآية ٣٩.

(٣) أنشأ مجلة (المنار) أواخر سنة ١٣١٥هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م.

(٤) عبد الله بن سبأ للعسكري ١: ٤٥ نقلاً عن السنّة والشيعة: ٤ ـ ٦.

إذن فهو قد اعتمد على (تاريخ ابن الأثير) فيما يذكره من هذا الأمر الجليل والخطير بحق التشيّع لأهل بيت النبوة الّذي نصّت عليه الآثار النبوية الصحيحة والقاطعة، ولم يكلّف (محمّد رشيد رضا) نفسه مناقشة الأدلة الصحيحة المتضافرة ـ من كتبه نفسها ـ على وجوب موالاة العترة الطاهرة، وإنّما أناط الأمر كلّه بـ(ابن سبأ)، واعتبره هو المؤسس لهذا المذهب، وهو المخترع لأصوله، وهو المفرّق للأمّة، وهو يهودي أظهر الإسلام خداعاً، وهو وهو (إلخ)...وهذا الخطاب الاتكالي والهروبي ترتاح إليه النفوس المنهزمة الّتي جبلت على حبّ (الأنا) والانتصار (للذات) بأيّ سبيل كان، حتّى لو كان ذلك بالافتراء أو الاستعانة بـ(الظن) الّذي لا يغني عن الحقّ شيئاً. وإلا فما الّذي يمنع (محمّد رشيد رضا) ـ وهو قد توفرت عنده وسائل المعرفة ـ من البحث العلمي الهادف الرصين بدل اللجوء إلى هذه الأساليب الخالية من التدقيق والتحقيق؟!

وهكذا نجده أيضاً قد فعل أبو الفداء في مختصره عندما ذكر نُبذاً من هذه القصة، وكان مستنده في ذلك تاريخ ابن الأثير لا غير، إذ كان قد صرّح في ديباجة كتابه بأنّ مختصره هذا إنّما هو مختاره من كتاب «الكامل» لابن الأثير، حيث قال: «فاخترته من الكامل تأليف الشيخ عز الدين عليّ المعروف بابن الأثير الجزري»[1].

وعند العودة إلى (تاريخ ابن الأثير) تجده قد استند بدوره على (تاريخ الطبري) فيما يرويه من مرويات في كتابه، حيث يقول ـ أي: ابن الأثير ـ: «فأخذت ما فيه ـ أي: ما فيه من تاريخ الطبري ـ من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدةٍ منها (إلى أن يقول) فلمّا فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعته وأضفت إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعت كلّ شيء منها موضعه إلا ما يتعلّق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ، فإنّي لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً

---

(١) تاريخ أبو الفداء ١: ١١.

إلا ما فيه زيادة بيان، أو اسم إنسان، أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله. وإنّما اعتمدت عليه من بين المؤرّخين، إذ هو الإمام المتقن حقّاً الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً))[١].

إذن فابن الأثير الّذي ينقل عنه كلّ من أبي الفداء ومحمّد رشيد رضا اعتمد على تاريخ الطبري في نقل هذه القصة، ولمّا كانت هذه القصة موضوعة لبيان الحوادث الّتي وقعت بين الصحابة فلم يزد (ابن الأثير) على رواية الطبري شيئاً كما صرّح هو بذلك.

وكما أخذ ابن الأثير عن الطبري كذلك فعل ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية)، فهو حين ذكر هذه القصة وانتهى من سرد واقعة الجمل، قال: ((هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله))[٢].

وأيضاً تابع ابن الأثير وابن كثير في أخذهما عن الطبري ابن خلدون في تاريخه (المبتدأ والخبر)، فإنّه بعد أن أورد قصة (السبئية) في ذكر حادثة الدار والجمل، قال: ((هذا أمر الجمل ملخّصاً من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرّخين))[٣]. وقال أيضاً في ص ٤٥٧ منه: ((هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات والحروب، ثمّ الاتفاق والجماعة. أوردتها ملخّصة عيونها ومجامعها من كتب محمّد بن جرير الطبري، وهو تاريخه الكبير فإنّه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد عن المطاعن والشبه في كبار الأمّة من خيارهم وعدولهم من الصحابة والتابعين)).

(١) الكامل في التاريخ ١: ٧.

(٢) البداية والنهاية ٧: ٢٧٤.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٦ ق ٢.

هل تتحكم الأهواء بناقلي التاريخ؟!

إنّنا عندما نسجّل ماذكره هؤلاء الناقلين عن الطبري في تاريخه، وهم قد عدّوا كتابه هذا من (أوثق) الكتب التاريخية، واعتبروا شخصه (الإمام المتقن الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً)، فإنّنا من حقّنا أن نتساءل عن التصرّفات المتباينة لهؤلاء المؤرّخين ونقول عنهم: لِمَ تابع هؤلاء المؤرّخون الطبري فيما نقله بخصوص (ابن سبأ) وبنوا عليه بنيانهم هذا في حقّ التشيّع لأهل بيت النبوةعليهم السلام، وهو على شفا جرف هار ـ كما سيظهر بعد قليل ـ، ولم يتابعوه فيما صرّح به بحقّ بني أمية وزعمائهم أمثال أبي سفيان ومعاوية من اللعن والطعن عليهم، وأنّهم ـ كما يعبّر الطبري ـ من أشدّ النّاس عداوة للنبيّ صلى الله عليه وآله وللإسلام، وهم الشجرة الملعونة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، وأنّه لا اختلاف في ذلك بين أحد بأنّ المولى سبحانه أراد بالشجرة الملعونة بني أمية لا غير، فقد قال الطبري ما نصّه: ((...فممّا لعنهم الله به على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وأنزل به كتابه قوله: ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلا طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾[1]، ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد بها بني أمية. ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام وقد رآه[2] مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: (لعن الله القائد والراكب والسائق)، ومنه ما يرويه الرواة من قوله – أي: قول أبو سفيان –: (يا بني عبد مناف[3] تلقّفوها تلقّف الكرة فما هناك جنّة ولا نار)، وهذا كفر صراح

(١) سورة الإسراء، الآية ٦٠.

(٢) أي: أبا سفيان.

(٣) وفي لفظ المسعودي: ((يا بني أُمية تلقفوها تلقف الكرة..إلخ)). مروج الذهب ٢: ٣٤١، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ١٦٧٩: ((أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُمية، فإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار)).(انتهى)

يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون))[1]. (انتهى)

فهذا كلام الطبري بالنص.. نقول فلمَ لم يتابع هؤلاء الطبري فيما رواه في هذا المورد مسنداً ومجمعاً عليه - على حدّ قوله - وهو الإمام المتقن الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً - كما يقولون - بينما تابعوه فيما رواه مختلقاً عن مذهب الشجرة الطيبة (أهل البيت عليهم السلام)؟! فهل ترى ذلك من حكم الأهواء، والكيل بمكيالين المنهي عنه شرعاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]؟! نترك الإجابة للقارئ الكريم.

التحقيق فيما نقله الطبري من قصة ابن سبأ

بعد الّذي ذكرناه عن ابن كثير وابن خلدون وأبي الفداء ومحمّد رشيد رضا في هذا الموضوع والنتائج الّتي رتّبوها عليه، لا نجد حاجة لذكر بقية من ذكر هذه القصة وأسندها إلى تاريخ الطبري، فالمهم عندنا الآن هو أن نعود إلى الطبري وتاريخه لنطّلع على مستنده في ذكر قصة (ابن سبأ) هذه.

لقد ذكر الطبري هذه القصة - أي: قصة (ابن سبأ) - في الحوادث الّتي تدور بين سنتي ٣٠ ـ ٣٦ هجرية في مقتل عثمان وحرب الجمل عن طريق (سيف بن عمر التميمي) وحده، وليس له طريق آخر إليها.

وللطبري إلى أحاديث سيف طريقان:

(١) تاريخ الطبري ٨: ١٨٥.

(٢) سورة المطففين، الآيات ١ ـ ٦.

الأوّل: عبيد الله بن سعيد الزهري، عن عمّه يعقوب بن إبراهيم عن سيف بن عمر.

الثاني: السري بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر التميمي.. ويخرج الطبري بهذا الطريق أحاديث (سيف) عن كتابه (الفتوح والردّة) وكتابه (الجمل ومسير عائشة) بلفظ (كتب إليّ)، وقد يخرج بهذا الإسناد عن (سيف) أحاديث مشافهة أيضاً[١].

قال الطبري في حوادث سنة ٣٠ للهجرة: ((وفي هذه السنة – أعني سنة ٣٠ – كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية (إلى أن يقول) فإنّهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إليّ السري يذكر أنّ شعيباً حدّثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: لمّا ورد ابن السوداء[٢] الشام لقي أباذر فقال: يا أباذر ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله ألا إنّ كلّ شي لله كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين، فأتاه أبوذر فقال: ما يدعوك إلى أن تسمّي مال المسلمين مال الله))[٣].

وفي حوادث سنة ٣٥ للهجرة عند ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من أهل مصر، قال الطبري: ((فيما كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثمّ الكوفة، ثمّ الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع، ويكذّب بأنّ محمّداً يرجع، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[٤].

---

(١) أُنظر عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى للعسكري ١: ٦٣.

(٢) يريد عبد الله بن سبأ.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٣٣٥.

(٤) القصص، الآية ٨٥

فمحمّد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلّموا فيها. ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبيّ، ولكلّ نبيّ وصي، وكان عليّ وصي محمّد، ثمّ قال: محمّد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء، ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمّة؟ ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حقّ، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه (إلى أن يقول) وأرسل - أي: عثمان بن عفان - عمّار ابن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرّق رجالاً سواهم! فرجعوا جميعاً قبل عمّار، واستبطأ الناس عمّاراً حتّى ظنّوا أنّه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أنّ عمّاراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء..)) إلى آخر القصة[(١)].

وبهذه البيانات يستمر الطبري في سرده لحكاية (ابن سبأ) في تحريض الصحابة على عثمان وقتله.. إلا أنّه بعد (مقتل عثمان) تنقطع عند الطبري أخبار ابن سبأ فلا نجد لها من عين أو أثر فيما يتلو هذه الواقعة من أحداث.

هذا ما عند الطبري باختصار! وأيضاً بهذا الطريق - أي: طريق سيف بن عمر - يذكر ابن عساكر - المتوفى سنة ٥٧١ هـ - قصة ابن سبأ بالمضمون المتقدّم في تاريخه (تاريخ مدينة دمشق)، وهو أيضاً لا يوجد عنده إلى ابن سبأ من طريق آخر سوى ما ذكر[(٢)]!

والذهبي - المتوفى سنة ٧٤٨ هـ - في كتابه (تاريخ الإسلام)، هو أيضاً ليس له طريق إلى ابن سبأ غير طريق سيف بن عمر نفسه، إذ يقول ما نصّه: ((وقال سيف بن عمر عن عطية عن يزيد الفقعسي: لما خرج ابن السوداء إلى مصر...الرواية))[(٣)].

---

(١) المصدر السابق ٣: ٣٧٩.

(٢) أُنظر: تاريخ مدينة دمشق ٣٩: ٣٠١.

(٣) تاريخ الإسلام ٢:١٢٢.

وقد يعتمد بعض من تقدّم ذكرهم من المؤرّخين على ما كتبه سيف بن عمر مباشرة، كما فعل الذهبي في تاريخه، فهو قد ذكر في مقدّمة كتابه المصادر الّتي اعتمد عليها وعدّ منها كتاب (الفتوح) لسيف بن عمر.

وأحياناً قد يستعين هذا البعض بواسطة، كالّذي تقدّم ذكره في طريق الطبري إلى سيف وكتبه!

إلا أنّنا نجد أنّ كلّ من ذكر (ابن سبأ) وحكايته إنّما اعتمد على هذه المصادر المتقدّم ذكرها وهي: تاريخ الطبري، وتاريخ ابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي. وهي بدورها ترويها عن سيف بن عمر، ليس لها من طريق آخر سواه...

فالمهم عندنا إذن أن ننظر في شأن (سيف)، وبقية الرواة الوارد ذكرهم في هذا الطريق، الّذي وردت هذه (الحكاية) عنه.

توطئة في التعرّف على (سيف):

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ((سيف بن عمر الضبي الأسيدي، ويقال التميمي البرجمي، ويقال السعدي الكوفي، مصنّف الفتوح والردّة وغير ذلك، وهو كالواقدي، يروي عن هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، وجابر الجعفي، وخلق كثير من المجهولين))[1].

وقول الذهبي: (وهو كالواقدي) و(يروي عن .. خلق كثير من المجهولين) ظاهر في تضعيف مروياته، وستأتي الإشارة إلي ذلك[2].

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٢٥٥.

(٢) ولك أن تراجع أقوال العلماء في تضعيف الواقدي في كتاب (الضعفاء والمتروكين) للنسائي: ٢٣٣، وضعفاء العقيلي ٤: ١٠٧، والجرح والتعديل ٨: ٢٠، ٢١.

وعن ابن النديم في الفهرست: ((سيف بن عمر الأسدي التميمي، أحد أصحاب السير والأحداث، وله من الكتب كتاب الفتوح الكبير والردّة، كتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ))[١].

استقراء تاريخي لآراءالعلماء في أحاديث سيف ومروياته:

١ـ يحيى بن معين (المتوفى ٢٣٣ هـ) قال: ((ضعيف الحديث، فلس خير منه))[٢].

٢ـ أبو زرعة الرازي (المتوفى ٢٦٤هـ)، قال: ((ضعيف الحديث))[٣].

٣ـ أبو داود (المتوفى ٢٧٥ هـ)، قال: ((ليس بشيء))[٤]. وهذا يعدّ جرحاً شديداً.

٤ـ يعقوب بن سفيان الفسوي (المتوفى ٢٧٧ هـ)، قال: (حديثه وروايته ليس بشيء)[٥]. وهنا يضعّفه بقوّة في الاثنين: الحديث والتاريخ.

٥ـ النسائي صاحب السنن (المتوفى ٣٠٣ هـ)، قال: ((ضعيف متروك الحديث، ليس بثقة، ولا مأمون))[٦].

٦ـ العقيلي المكي (المتوفى ٣٢٢ هـ) ذكره في كتابه (الضعفاء الكبير)، وساق له حديث عرض النبيّ ﷺ نفسه على القبائل، ثمّ قال: ((لا يتابع عليه، ولا على كثير من حديثه))[٧].

٧ـ ابن أبي حاتم الرازي ((المتوفى ٣٢٧ هـ)، قال: ((متروك الحديث))[١]. وفي مورد آخر من كتابه (الجرح والتعديل) قال عند ترجمته لقعقاع بن عمرو وأنّه شهد

(١) فهرست ابن النديم: ١٠٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٢٥٥، تهذيب الكمال ١٢: ٣٢٦، الجرح والتعديل ٤: ٢٧٨.

(٣) ذكر قوله الدكتور بشار عواد معروف عند تحقيقه لكتاب (تهذيب الكمال) للمزي ١٢: ٣٢٧.

(٤) تهذيب التهذيب ٤: ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٢: ٢٥٥.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣: ١٦٠.

(٦) الضعفاء والمتروكين: ١٨٧، تاج العروس ٦: ١٤٩.

(٧) الضعفاء الكبير ٢: ١٧٥.

وفاة رسول الله ﷺ فيما رواه سيف بن عمر، قال ابن أبي حاتم: ((وسيف متروك الحديث فبطل الحديث، وإنّما ذكرنا ذلك للمعرفة))(٢).

٨ـ ابن السكن (المتوفى ٣٥٣ هـ)، قال: ((ضعيف))، وأقرّه الحافظ ابن حجر(٣).

٩ـ ابن حبان (المتوفى ٣٥٤ هـ)، قال: ((يروي الموضوعات عن الأثبات، اتّهم بالزندقة، وكان يضع الحديث))(٤).

١٠ـ ابن عدي (المتوفى ٣٦٥ هـ)، قال: ((ضعيف، وبعض أحاديثه مشهورة، وعامّتها منكرة لم يتابع عليها))(٥).

وقد ذكر له حديثاً عن معلّمي الصبيان، قال عقيبه: ((قال الشيخ: وهذا حديث منكر موضوع، وقد اتفق في هذا الحديث ثلاثة من الضعفاء: عبيد بن إسحاق الكوفي العطار، وسيف بن عمر، وسعد الإسكاف))(٦).

١١ـ الدارقطني (المتوفى ٣٨٥)، قال: ((متروك، ضعيف))(٧).

١٢ـ الحاكم النيسابوري (المتوفى ٤٠٥ هـ)، قال: ((متروك، اتّهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط))(٨). وهذا تضعيف ظاهر لمروياته التاريخية.

١٣ـ أبو نعيم الأصفهاني (المتوفى ٤٣٥ هـ)، قال: ((متّهم في دينه، مرمى بالزندقة، ساقط الحديث، لا شيء))(٩).

---

(١) الجرح والتعديل ٤: ٢٧٨، تهذيب الكمال ١٢: ٣٢٦.

(٢) الجرح والتعديل ٧: ١٣٦.

(٣) الإصابة ٥: ٣٤٣.

(٤) كتاب المجروحين ١: ٣٤٥، تهذيب الكمال ١٢: ٣٢٧.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال ٣: ٤٣٦.

(٦) المصدر السابق ٣: ٤٣٥.

(٧) تهذيب التهذيب ٤: ٢٥٩.

(٨) تهذيب التهذيب ٤: ٢٥٩.

(٩) كتاب الضعفاء ١: ٩١.

١٤ـ الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ) وهّاه، كما في ترجمة خزيمة غير ذي الشهادتين من الإصابة.

١٥ـ ابن عبد البر (المتوفى ٤٦٣ هـ) نقل عند ترجمة القعقاع بن عمرو التميمي، قول ابن أبي حاتم المتقدّم ذكره: ((وسيف متروك الحديث، فبطل ما جاء عن ذلك))[١]. ولم يعقّب عليه بشيء، ممّا يستفاد تقريره لما ذكره ابن أبي حاتم.

١٦ـ ابن الجوزي (المتوفى ٥٩٧ هـ) نقل في كتابه (الموضوعات) حديثاً في طريقه سيف، ثمّ قال: ((هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ فيه مجهولون وضعفاء، وأقبحهم حالاً سيف))[٢].

١٧ـ الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ) قال في (الكاشف): ((ضعّفه ابن معين وغيره))[٣].

وقد ترجم الذهبي لسيف في الميزان و(ديوان الضعفاء) و(تاريخ الإسلام) في حوادث (١٧١ ـ ١٨٠) وذكر أقوال المضّعِفين له، ولم يذكر له موثّقاً واحداً، بل يستفاد من قوله في (سير أعلام النبلاء) عند ترجمته لأبي مخنف: ((وهو من بابة سيف بن عمر التميمي صاحب الردة، وعبد الله بن عياش المنتوف، وعوانة بن الحكم))[٤]، أنّه اعتبر سيفاً مثالاً بارزاً في الضعفاء المتميزين بضعفهم، بحيث إذا استدل على ضعف غيره جعله من بابته وشاكلته.

قال المحقق لكتاب الذهبي، عليّ أبو زيد: ((قال ابن السكيت: البابة عند العرب: الوجه، ومراد المؤلف أنَّ أبا مخنف مساو لهؤلاء الثلاثة في الضعف والمنزلة))[٥].

---

(١) الاستيعاب ٢: ١٥٦.

(٢) الموضوعات ٢: ٣٠.

(٣) الكاشف ١: ٤٧٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧: ٣٠٢.

(٥) المصدر السابق.

وقد تقدّم كلام الذهبي في (ميزان الاعتدال) عن سيف بأنّه كالواقدي، وأنّه يروي عن خلق كثير من المجهولين..إلا أنَّ الذهبي قال بعد كلامه المتقدّم عن سيف بأنّه: ((كان إخبارياً عارفاً))، وهذا اللفظ قد اتكأ عليه بعض من لا خبرة له في توثيق سيف!

إلا أنّ المتابع للذهبي يجده يقول مثل هذه العبارة (أديب عارف) أو (نسّابة عارف) أو (إخباري عارف) في حقّ رواة كذّابين غير سيف، والذهبي بنفسه يصفهم بالكذب والضعف في مواطن متعددة، وهو أيضاً قد ضعّف سيفاً في أكثر من مكان من كتبه، فهذا اللفظ (الموهم) لا يقدّمه على (التضعيفات الصريحة) إلا مكابر[١].

كما أنّ السياق المتقدّم عن الذهبي بنفسه يأبى عن إرادة التوثيق، فالراوي عن الخلق الكثير من المجهولين ـ كما يصرّح الذهبي نفسه ـ لا يمكن أن يُعدّ (عارفاً) أو يكون (عمدة في التاريخ) كما سيأتي اللفظ الآخر عن ابن حجر؟!

إنّ هذا ليس إلا تهافت ظاهر!!

١٨ـ برهان الدين الحلبي (المتوفى ٨٤١هـ)، قال: ((وكان سيف يضع الحديث))[٢].

١٩ـ ابن حجر (المتوفى ٨٥٢هـ) ترجم لسيف في (تهذيب التهذيب) وذكر أقوال المضعّفين له، ولم يذكر له موثّقاً واحداً[٣]. وقال في (لسان الميزان) عند ترجمته لعبد الله بن سبأ: ((عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أنّ عليّاً حرّقه بالنار)). ثمّ نقل ابن حجر ما ذكره ابن عساكر في ابن سبأ وعلّق عليه بقوله: ((أخرج – أي: ابن عساكر – من طريق سيف بن عمر التميمي في الفتوح له قصة

(١) اُنظر: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: ٨٤

(٢) الكشف الحثيث: ١٣٢.

(٣) الكشف الحثيث: ١٣٢.

طويلة لا يصح إسنادها))[١]. وهذا تضعيف ظاهر من ابن حجر لمرويات سيف في التاريخ بشكل عام، وفي شأن عبد الله بن سبأ بشكل خاص.

وفي (الإصابة) قال عند ترجمته للخضر صاحب موسى عليه السلام ((وأخرج سيف ابن عمر التميمي في كتاب الردة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله..الخبر)). ثمّ قال: ((وسنده فيه مقال وشيخه لا يعرف))[٢]. وهذا أيضاً ظاهر في التضعيف لمرويات سيف التاريخية.

إلا أنّ ابن حجر قال في (تقريب التهذيب) عن سيف: ((ضعيف الحديث، عمدة في التاريخ))[٣]. واللفظ الأخير قد تمسك به البعض في توثيق سيف كما تمسك بكلمة الذهبي المتقدّمة، وهو غير صحيح أيضاً، لأنّ الحافظ ـ ابن حجر ـ قد ضعّف سيفاً في روايات تاريخية بحتة، تقدّم ذكر بعضها، ممّا ينبغي حمل كلامه على معنى آخر غير التوثيق، كعدّه له مثلاً شيخاً في التاريخ لكثرة مروياته فيه أو ما شابه ذلك، وإلا عدّ الحافظ مناقضاً لنفسه بنفسه، وهذا يسقط قوله من الأساس.

قال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي): ((...إنّ بعض الألفاظ مثل (عمدة في التاريخ) قد لا يراد بها التوثيق فقد أطلقها الحافظ ابن حجر على سيف بن عمر وعلى ابن الكلبي وغيرهما من كبار المتروكين، وغاية ما يريد منها الحافظ كون هذا من كبار المؤرّخين من حيث (جمع مادة التاريخ والاهتمام بها) وكتابتها لا أنّه (ثقة)، ولذلك نجد الحافظ نفسه يضعّف سيفاً في روايات تاريخية ويضعّف الكلبي وقد سمّاه (عمدة النسّابين) وهكذا))[٤].

---

(١) لسان الميزان ٣: ٢٨٩.

(٢) الإصابة ٢: ٢٦٩.

(٣) تقريب التهذيب ١: ٢٦٢.

(٤) نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: ٦٠.

وأيضاً يمكن أن يقال: إنّ استفادة التوثيق من العبارة المتقدّمة من ابن حجر في حق سيف فيها مفارقة مضحكة، إذ كيف يمكن أن نعقل عن إنسان اشتهر عنه الوضع في الحديث والكذب على رسول الله ﷺ وهو لا يتورّع عن ذلك، أن يتحرى الدقة والصدق في نقله الأخبار عن الناس والفتوح والفتن، إنّ هذا يُعدّ من مضحكات الثكلى، لو فرض قبوله من أحد، بل يصدق في حقّ من يقبل بمثل هذا الوضع المزدوج أنّه قد طرح عقله جانباً وصار من أهل هذه الآية الّتي يقول المولى سبحانه وتعالى فيها: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[(١)].

قال الشيخ محمّد العربي التباني في كتابه (تحذير العبقري من محاضرات الخضري)[(٢)] في معرض ردّه على الّذين يوثّقون سيفاً في التاريخ دون الحديث: ((وإذا كان وضع الأخبار الكثيرة على النبيّ ﷺ سهلاً على الوضاعين فالوضع على الصحابة والتابعين يكون أسهل))[(٣)].

وقد تقدّم تصريح العلماء بضعف سيف في الموردين (الحديث والتاريخ) كقول يعقوب بن سفيان: ((حديثه وروايته ليس بشي))، وهذا من أشدّ عبارات الجرح والتوهين. وكذلك قول الحاكم: ((هو في الرواية ساقط))، وأيضاً صرّح الكثير من المؤرّخين والمحدّثين على السواء بردّ مرويات سيف في قضايا متعددة ثبت كذبه فيها، مثل جلد الوليد بن عقبة، وقطع يد زيد بن صوحان وزعمه بأنّ عمّار بن ياسر

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

(٢) قال الشيخ حسن بن فرحان المالكي: ((كتاب (تحذير العبقري من محاضرات الخضري) للشيخ المحقق المحدث محمّد العربي التباني، هو كتاب عرفه الأكابر وجهله الأصاغر وأكاد أقطع قطعاً أنّه لم يؤلف مثله في موضوعه وقد حقق فيه مؤلفة القدير أحداث الفتنة برد (علمي حقيق موثق) على الخضري صاحب (المحاضرات) في ضوء منهج أهل الحديث وعقيدة أهل السنّة والجماعة)) (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي): ٣٧.

(٣) أُنظر: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: ٥٦.

وأبا ذر من أعوان عبد الله بن سبأ، وطعنه في الصحابي جندب بن زهير وأنّه (شاهد زور)، وتبرئته للشخصيات الأموية كالوليد وزياد، واختلاقه للقعقاع وبطولاته، وكتاب أهل الحيرة، وزعمه بأنّ (تميمياً) قتل أبا لؤلؤة قاتل عمر! وزعمه بأنّ تميمي آخر هو (أمين سر) عليّ بن أبي طالب! وغير هذا كثير من (الأخبار التاريخية) البحتة الّتي ثبت كذب سيف أو مبالغاته فيها على أقل تقدير[١].

٢٠ـ السيوطي (المتوفى ٩١١ هـ) قال في كتابه (اللئالي المصنوعة): (وضّاع)، وفي مورد آخر ذكر حديثاً فيه سيف، قال عنه: (موضوع، فيه ضعفاء أشدّهم سيف)[٢].

٢١ـ الشيخ محمّد العربي التباني (المتوفى نحو ١٣٩٠هـ)، قال في كتابه (تحذير العبقري): ((سيف بن عمر الوضّاع المتهم بالزندقة المتفق على أنّه لا يروي إلا عن المجهولين))، وقال في ج ١ ص ٢٧٢ من كتابه المتقدّم: ((وقد اتفق أئمّة النقد على أنّ سيفاً لا يروي إلا عن المجهولين وعلى طرحه))، وفي ص ٢٥٦ من الجزء ذاته، قال: ((وهذا التدافع والتخبط والطعن في الصحابة قد استقريناه في كلّ خبر يرويه الطبري عن سيف بن عمر المتهم بالزندقة الّذي لا يروي إلا عن المجهولين))، وفي ص ٢٩٩، قال: ((سيف بطل الروايات المتدافعة الطاعنة في الصحابة)). وقال في ج ٢ ص ١٩: ((روى هذه الرواية الطبري عن بطل الأكاذيب سيف بن عمر عن أناس مجهولين كعادته))[٣].

ومن الّذين ضعّفوا سيفاً من المعاصرين:

---

(١) المصدر السابق: ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) اللئالي المصنوعة ١: ١٩٩، ٤٢٩.

(٣) نقلنا هذه المقاطع من كلام الشيخ التباني بواسطة كتاب الشيخ حسن بن فرحان المالكي (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي): ٥٦ ـ ٥٧.

٢٢ـ المحدّث محمّد ناصر الدين الألباني، ضعّف له حديثاً في (ضعيف الترمذي) فحكم عليه بأنّه (ضعيف جدّاً).

٢٣ـ والدكتور أكرم العمري في كتابه (السيرة النبوية الصحيحة) ذكر: ((أنّ الطبري يكثر عن رواة في غاية الضعف مثل هشام بن الكلبي وسيف بن عمر...)).

٢٤ـ الشيخ عمر حسن فلاتة ذكره في كتابه (الوضع في الحديث) واعتبره من ((الّذين رموا بالكذب في الحديث)).

٢٥ـ الشيخ حسن بن فرحان المالكي، وهو من علماء السعودية المعاصرين، الّذي بيّن ضعف سيف، بل وضعه للأحاديث واختلاقه للروايات في محاور متعددة قد أفرد لها فصلاً مستقلاً من كتابه الموسوم (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي)، فراجع ثمة[1].

مقام الألفاظ المتقدّمة من الجرح:

ذكرنا فيما تقدّم آراء العلماء وأقوالهم على مدى العصور في (سيف) وأحاديثه ومروياته، وينبغي علينا الآن بعد الاطّلاع على تلك الأقوال النظر في محلها من الجرح عند علماء الرجال أو علماء الجرح والتعديل..

قال ابن حجر في (لسان الميزان): وأردى عبارات الجرح: دجال كذّاب أو وضّاع يضع الحديث. ثمّ: متهم بالكذب، ومتفق على تركه. ثمّ: متروك، وليس بثقة، وسكتوا عنه، وذاهب الحديث، وفيه نظر، وهالك وساقط. ثمّ: واه بمرة، وليس بشيء، وضعيف جدّاً وضعيف واه، ومنكر الحديث ونحو ذلك. ثمّ: يضعف، وفيه ضعف،

---

(١) أُنظر الأقوال المتقدّمة (٢٢، ٢٣ ، ٢٤) مع مصادرها في كتاب الشيخ حسن بن فرحان المالكي: (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي): ٥٧ وما بعدها.

وقد ضعف، ليس بالقوي، غير حجّة، ليس بحجّة، ليس بذاك، يعرف وينكر، فيه مقال، تكلّم فيه...إلى آخر العبارات[١].

نقول: فهل ترك العلماء في عباراتهم المتقدّمة عن (سيف بن عمر) عبارة لم يلحقوها به؟! بل نلاحظ أنّ سيف بن عمر يعدّ من الأسماء القليلة في التاريخ الّتي اجتمعت عليها أردى عبارات الجرح والتوهين، خاصة إذا ضممنا إليها عبارات أخرى لم يذكرها ابن حجر كقول ابن حبان والحاكم فيه: ((اتّهم بالزندقة))، أو كقول الذهبي: ((يروي عن خلق كثير من المجهولين))، أو قول محمّد العربي التباني: ((المتفق على أنّه لا يروي إلا عن المجهولين))!!

والنتيجة: أنّ المرويات سواء الحديثية والتاريخية الّتي يرد في سندها سيف بن عمر تعدّ من الروايات الضعيفة، بل الساقطة الّتي لا يصح الاحتجاج بها أبداً، وتفوح منها رائحة الوضع والكذب!

---

(١) لسان الميزان ١: ٨١

عودة إلى بقية سند الطبري في قصة ابن سبأ

السري بن يحيى[١].

وهو كما يراه ابن حجر في (تهذيب التهذيب) السري بن إسماعيل الهمداني، قال: ((قال أبو واقد عن يحيى بن سعيد: استبان لي كذبه في مجلس. وقال عمرو بن عليّ: ما سمعت عبد الرحمن ذكره قط، وكان يحيى بن سعيد لا يحدّث عنه. وقال الحسن بن عيسى سمعت ابن المبارك يقول: لا يكتب عن جرير بن عبد الحميد حديث السري بن إسماعيل..وقال صالح بن أحمد عن أبيه: ليس بالقوي..وقال أبو طالب عن أحمد: ترك الناس حديثه.. وقال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء..وقال الآجري عن أبي داود: ضعيف، متروك الحديث، يجئ عن الشعبي بأوابد. وقال النسائي: متروك الحديث، وقال في موضع آخر: ليس بثقة. وقال ابن عدي: وأحاديثه الّتي يرويها لا يتابعه عليها أحد خاصة عن الشعبي، فإنّ أحاديثه عنه منكرات وهو إلى الضعف أقرب.

قلت: وقال في ترجمة سيف بعد أنّ أورد له عن السري حديثاً: لعل البلاء من السري.. وقال البزار: ليس بالقوي. وقال الساجي: ضعيف جدّاً، وقال ابن حبان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل. وكان ابن معين شديد الحمل عليه))[٢].

---

(١) وليس هو السّري بن يحيى الثقة لقدم زمانه، فقد توفي هذا في سنة ١٦٧هـ أي: قبل ولادة الطبري الراوي المولود سنة ٢٢٤ بسبع وخمسين سنة، بينما السّري المشار إليه هنا أدرك الطبري شطراً من حياته كما هو المستفاد من عبارات الطبري المتكررة الكثيرة: (كتب إليّ السّري)، وتسميته بابن يحيى محمولة على النسبة إلى أحد أجداده.

(٢) تهذيب التهذيب ٣: ٣٩٩.

والبعض الآخر يراه أنّه: السري بن عاصم الهمداني نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٥٨[١]. كذّبه ابن فراش، ووهاه ابن عدي وقال: يسرق الحديث..وزاد ابن حبان: ويرفع الموقوفات لا يحل الاحتجاج به...وقال الهيثمي في حديث رواه البزار: وفيه السري بن عاصم وهو كذّاب..وقال الذهبي: ومن بلاياه فذكر حديثاً..ثمّ قال: ومن مصائبه فذكر حديثين...وقال النقاش في حديث: وضعه السري..وقال السيوطي في حديث من طريق السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف: موضوع، فيه ضعفاء أشدّهم سيف[٢].

وكيفما كان: فالسري بن يحيى هنا مشترك بين كذّابين لا يهمنا تعيين أحدهما.

وفي الإسناد أيضاً **شعيب بن إبراهيم الكوفي**، قال ابن عدي: ((ليس بالمعروف))، وقال الذهبي: ((راوية كتب سيف عنه، فيه جهالة))، وأورد ابن الجوزي حديثاً في سنده شعيب بن إبراهيم عن سيف، قال عنه: ((هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه مجهولون وضعفاء))[٣].

والمتحصل من ذلك كلّه: أنّ الطبري يروي قصة ابن سبأ بسنده عن السري عن شعيب عن سيف إنّما يروي في الحقيقة بسند واقعه: عن كذاب عن مجهول عن وضّاع متهم بالزندقة!!

نقول: وأنعم به من سند عزف على وتره العجزة والمقعدين على مرّ التاريخ، وقد صدق في حقّ هؤلاء قوله سبحانه: **﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾**[٤]!!

---

(١) اُنظر: الغدير للعلامة الأميني ٨: ١٤٠.

(٢) اُنظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٣: ٤٦٠، ميزان الاعتدال ٢: ١١٧، لسان الميزان ٣: ١٢، الكشف الحثيث: ١٢٣، مجمع الزوائد ٨: ٣١٠، كتاب المجروحين ١: ٣٥٥، اللئالي المصنوعة ١: ٤٢٩.

(٣) اُنظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٤: ٤، ميزان الاعتدال ٢: ٢٧٥، الموضوعات ٢: ٣٠.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

وقد تنبّه بعض الباحثين من أهل السنة لهذه (الفضيحة) في نسبة مذهب كامل إلى شخصية مصدرها هذا السند كالدكتور طه حسين الّذي قال في كتابه (الفتنة الكبرى): ((ويخيل إليّ أنّ الّذين يكبّرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديداً، وأوّل ما نلاحظه أنّا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة الّتي قصّت أمر الخلاف على عثمان))[١].

وبهذه الالتفاتة أيضاً فنّد الدكتور عبد العزيز الهلابي موضوع ابن سبأ الوارد من طريق سيف بن عمر، أي: بملاحظة أنّ الرواة المتقدّمين على سيف لم يرد في كتبهم أي: ذكر لعبد الله بن سبأ، قال في كتابه (عبد الله بن سبأ): ((أمّا الرواة والأخباريون المتقدّمون كعروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ)، ومحمّد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، وابن إسحاق (ت ١٥٠ هـ)، والواقدي (ت ٢٠٧هـ)، وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) في تاريخه، وابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) في كتاب الطبقات، وابن الحكم (ت ٢٧٥ هـ) في كتابه (فتوح مصر وأخبارها)، وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في كتابه (الأخبار الطوال)، والكندي (ت ٢٨٣هـ) في كتاب (الولاة والقضاة)، واليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) في تاريخه، والمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) في كتبه، وغيرهم من مؤرخي القرن الثالث والرابع الهجريين، فلم يرد عند أحد من هؤلاء في مروياتهم أو في كتب المؤلفين منهم أيّ ذكر عن ابن سبأ ودوره في الأحداث))[٢].

وبملاحظة هذه المسألة الّتي تابعها بالتفصيل الدكتور عبد العزيز الهلابي وأشار إليها الدكتور طه حسين، يكون من الطبيعي التساؤل أنّه كيف غفل هؤلاء المؤرّخون الكبار، المتقدّم ذكرهم، عن مفردة مهمة من مفردات هذا التاريخ، والّتي ـ كما يقول البعض ـ كان لها الأثر الكبير في إحداث فتنة كبرى، وتغيير مسارات،

---

(١) الفتنة الكبرى ٢: ٣٢٧.

(٢) عبد الله بن سبأ للهلابي: ١٣.

ونشأة مذهب، بل كما يعزوه البعض الآخر أنّها كانت السبب في تغيير وجه التاريخ الإسلامي برمّته، كما أشار إلى ذلك محمّد رشيد رضا، ومع هذا لم تتناول ولو بشاردة من الذكر أو الإيماء عند هؤلاء المؤرّخين، المتقدّم ذكرهم، فيما دوّنوه من أحداث وشخصيات في كتبهم التاريخية عن تلك المرحلة؟!

إنّ هذا الأمر لغريب حقاً!! بل يدعو للمزيد من التأمل والنظر، ولا يبعد أن يكون شاهد صدق على أنّ هذه القصة مفتعلة ومختلقة برمّتها، نسجتها عقول قوم أرادت أن تصنع التأريخ وفق إراداتها لأغراض يأتي التعرّض لها إن شاء الله تعالى.

ويرد السؤال هنا أيضاً: لماذا توقّف الطبري فجأة، بل وسائر المؤرّخين الّذين تابعوه في سرد هذه القصة عن تناول ابن سبأ وإغفال ذكره فيما بعد زمن عثمان، بحيث لا نجد له أيّ ذكر في الأحداث الّتي وقعت في زمن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بل ولا نجد له أي أثر في الوقائع الثلاث الّتي خاضها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع خصومه، وهي وقعة الجمل والنهروان وصفّين، مع أنّه كان ينبغي وحسب التدرج الطبيعي للأحداث أن يكون لابن سبأ دور بارز وظاهر فيما بعد مقتل عثمان، وخاصة أنّه كان - كما تذكر تلك الروايات - المنظّر الفكري والقائد الميداني المتحرك الّذي انقاد له كبار الأصحاب، وأنّه قد اكتسب نفوذاً وأتباعاً يصول بهم ويجول في جميع البلاد الإسلامية كما كان يصنع في زمن عثمان، بحسب هذه الروايات؟!

هذه التساؤلات وغيرها، هي في الواقع علامات استفهام كبيرة يضعها الباحثون وأهل التحقيق على طاولة البحث، وهي أسئلة مهمة يُطلب الإجابة عليها بردّ موضوعي مقنع، بغية الوصول إلى التصديق التام بهذه الحكاية! وإن كانت ـ هذه الأسئلة ـ تكشف في الواقع عن الفجوات الكبيرة الموجودة في هذه القصة (والّتي كما يبدو أنّها لم تحبك جيداً)، ولا أظن الأمر سهلاً على مريدي هذه الحكاية في

إقناع أهل البحث والتحقيق بأنّ أسئلتهم هذه ليست بأمر ذي بال يستحق الوقوف عنده، أو لا ينبغي التشكيك بهذه الحكاية لأجلها!

بل منهم بعض الباحثين قد تدرّج من مرحلة التشكيك بهذه الحكاية إلى مرحلة الرفض لها برمّتها، بسبب هذا الأمر، ونحن نعلم أنّ هذا الرفض لهذه الحكاية ممّا قد يتألّم له البعض، وخاصة العجزة والمقعدين، إذ هو يفسد عليهم لذّة التمسك بهذه التهمة الجاهزة في درء الخصوم.

قال الدكتور طه حسين في (الفتنة الكبرى): ((أقل ما يدل عليه إعراض المؤرّخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين أنّ أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنّما كان متكلّفاً منحولاً وقد اخترع بآخره، حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً، إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم، ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحقّ والتاريخ الصحيح، لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في هذه الحرب المعقّدة المعضلة الّتي كانت بصفّين، ولكان من الطبيعي بنوع خاص أن يظهر أثره حين اختلف أصحاب عليّ في أمر الحكومة، ولكان من الطبيعي بنوع خاص أن يظهر أثره في تكوين هذا الحزب الجديد الّذي كان يكره الصلح، وينفر منه، ويكفّر من مال إليه أو شارك فيه. ولكنّا لا نرى لابن السوداء ذكراً في أمر الخوارج، فكيف يمكن تعليل هذا الإهمال؟ أو كيف يمكن أن نعلّل غياب ابن سبأ عن وقعة صفّين وعن نشأة حزب المحكّمة؟

أمّا أنا فلا أعلّل الأمرين إلا بعلّة واحدة، وهي أنّ ابن السوداء لم يكن إلا وهماً، وإن وُجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالّذي صوّره المؤرّخون، وصوّروا نشاطه

أيام عثمان وفي العام الأوّل من خلافة عليّ، وإنّما هو شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم، ولم يدّخروه للخوارج))[١].

وممّن تنبه أيضاً إلى هذه الهفوات والفجوات في حكاية ابن سبأ، الشيخ حسن ابن فرحان المالكي، الذي قال في كتابه (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي): ((...لم تنتشر روايات سيف على مدى قرن ونصف من موته (١٨٠هـ) فكان أوّل من أشهرها - كما أشهر غيرها - هو الطبري (المتوفى ٣١٠هـ)، وكانت روايات سيف قبل ذلك خاملة جدّاً فاحتاجها الناس بعد الطبري للردّ على الشيعة!! لأنّ روايات سيف كما سبق تمجّد بني أمية وتدافع عنهم!! فلمّا غلا الشيعة في ذمّ عثمان وولاة عثمان وبني أمية وجد المدافعون في روايات سيف كنزاً ثميناً في الدفاع عن العنصر الأموي!! ثمّ صار بعد ذلك دفاعاً لكثير من أهل السنّة ضدّ الشيعة؟! هكذا دون تأمل ولا بحث ولا نظر في اتّهامه بالكذب والزندقة!! فبسبب هذا ازداد الانتشار لروايات سيف واعتمد عليها المعاصرون للسبب نفسه تقريباً!! فالمؤرّخون، بل وأهل السنّة المعاصرون عامة احتاجوا للردّ على هجمات الشيعة والمستشرقين على التاريخ الإسلامي خصوصاً عهد عثمان وبني أمية فلذلك اتّجه المدافعون يتلمسون الدفاع سواء كان الدفاع بحقّ أو بباطل!! فاتّجهوا للطبري فوجدوا في روايات سيف منهلاً فائضاً للدفاع عن بني أمية وولاتهم!! فلهذا أكثروا من النقل عنه ثمّ وثّقوه!! مخالفين إجماع المحدّثين، بل ولم يكتفوا بهذا فنسب بعضهم إلى المحدّثين (توثيق سيف)؟! وزعم آخرون أنّ سيفاً راوي أهل السنّة!! كأنّه يقصد راوي بني أمية!! ولله في خلقه شؤون؟!!)).

وفي موضع آخر من كتابه، قال الشيخ حسن المالكي: ((ثمّ إنّ توثيق المؤرّخين في هذه الأيام لسيف بن عمر لأجل الدفاع عن بني أمية ضدّ الشيعة

---

(١) الفتنة الكبرى ٢: ٩٨، ٩٩.

والمستشرقين[١]، وأحياناً ضدّ عمّار وأبي ذر، وهذا يعني بكلّ بساطة أنّ مقياس التوثيق والتضعيف لم يعد الصدق والكذب وإنّما (المصالح) و(الظروف الراهنة) و(الحاجة الملحّة)!! وهذا المنهج ـ للأسف ـ منهج انهزامي، ولو علم هؤلاء أنّنا نستفيد من أخطاء سلفنا مثلما نستفيد من صوابهم لما فعلوا هذا الفعل!! فإنّ مرحلة التحليل واستخلاص العبر تأتي بعد مرحلة التصنيف ومعرفة الصحيح من الضعيف، لكنهم قدّموا جانب مرحلة (التحليل) على (مرحلة التصنيف) بل على مرحلة (الجمع)، وأرادوا أن يحرمونا - كما حرموا أنفسهم - من الاستفادة الكبيرة من تاريخنا بهذه الأحكام المسبقة الانهزامية الّتي يصدرونها)).

يقول الشيخ المالكي: ((ومن تتبّع روايات سيف بن عمر وجد فيها تناقضات عجيبة لا داعي لاستطرادها لكنني سأذكر أمثلة سريعة فقط فمنها: المثال الأوّل: أنّه يروي أنّ عبد الله بن سبأ نشر فكرة (الوصية) لعليّ بن أبي طالب، ثمّ يروي أنّ أهل البصرة عندما خرجوا كانوا يشتهون طلحة، أمّا أهل الكوفة فكانوا يشتهون الزبير، وأهل مصر يشتهون عليّاً!!

وهذا يتناقض مع فكرة (الوصية) لأنّ عبد الله بن سبأ لو بثّ فكرة الوصية لعليّ وتأثّر الناس بها فلماذا اختار أتباعه بالبصرة والكوفة غيره؟! مع أنّ ابن سبأ لم يدّع بـ (الوصية) للزبير ولا لطلحة؟! فهذا تناقض.

مثال ثان: يروي سيف أنّ أتباع عبد الله بن سبأ قاموا بالوشاية في مصر بين عمرو بن العاص وابن أبي سرح حتّى عزل عثمان عمرو بن العاص سنة سبع وعشرين بينما يروي سيف نفسه أنّ ابن سبأ لم يدخل مصر إلا سنة خمس وثلاثين!! ويروي سيف في رواية ثالثة أنّ عبد الله بن سبأ لم يسلم إلا نحو عام ٣٣هـ!! وذكر

---

(١) اُنظر فيما كتبه عثمان الخميس في كتابه(حقبة من التاريخ)، تجده ممّن جنّد نفسه للذب عن بني أمية وولاتهم المعروفين بالفسق والفجور، فتراه يسرد (مظلوميتهم) وذلك من خلال عرضه لقصة المتجني عليهم (عبد الله بن سبأ)، وأيضاً من خلال مرويات الراوي (الثقة الثقة) سيف ابن عمر التميمي، لا غير!!

في رواية رابعة أنّ ابن سبأ أضل أبا ذر عام ٣٠هـ!!! فروايات سيف هنا يلعن بعضها بعضاً، فإذا كان عبد الله بن سبأ لم يسلم إلا سنة ٣٣هـ، فهل هو من العبقرية بحيث استطاع في سنتين فقط أن يناطح بين الصحابة؟! هل الصحابة بهذا الغباء؟! هل ابن سبأ هو سبب الفتنة الوحيد؟! إذا كان كذلك لماذا لم يحذّر منه النبيّ ﷺ ولم يخبر به كما اخبر بالمختار الكذّاب والحجاج الظالم والمال والملك العضوض والدجّال و...الخ. هل ابن سبأ منبع الفتنة؟! أم أنّ أسباب الفتنة كثيرة وعديدة وواقعية تحدّث عنها القرآن والسنة؟! أمّا سيف فيجعل سبب فتنة المسلمين في غيرهم مع أنّ الصواب أنّ أسباب الفتنة داخلية (داخل المسلمين) هذا هو الواقع الّذي نريد أن نلقي به على اليهود!! هروباً من مواجهة هذا الواقع وهروباً من استفادتنا منه...فتناقضات سيف لا تحتاج إلى تطويل وتوضيح لمن تأملها»[1].

وأيضاً من المثقفين، نجد مثل الدكتور إبراهيم بيضون يتناول هذه الجوانب ـ محل التساؤل ـ من روايات سيف بن عمر عن عبد الله بن سبأ والسبئية بالتأمل والتحليل، في مقال نشره تحت عنوان (عبد الله بن سبأ، قراءة تاريخية)[2]، جاء فيه:

السؤال ما زال قائماً.. من هو عبد الله بن سبأ؟ وبداية لابدّ من القول ـ وهذا ما تنبّه له أوّلاً طه حسين وخاض فيه على نطاق واسع مرتضى العسكري ـ إنّ الطبري تفرّد من بين مؤرّخي جيله الكبار، بذكر هذه الرواية المنسوبة للإخباري سيف بن عمر التميمي، ولعلّ هذا المؤرّخ الّذي تستهويه التفاصيل، وعرف عنه عدم الاكتفاء برواية واحدة، خلافاً لمعاصريه الّذين تعمّدوا الانتقاء في رواياتهم، كان يجنح أحياناً عن هذه القاعدة، فيقع في شرك الرواية المفردة في غير موضع من (تاريخه) المطوّل، منحرفاً بها من السياق مكاناً وزماناً، وعن المنهج الّذي التزم به على مساحة واسعة

---

(١) نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: ٧٧ ـ ٨٠.

(٢) نشرته مجلة (المنهاج) الصادرة عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية في بيروت، العدد الأوّل، السنة الأولى ١٩٩٦م.

منه... ومن ذلك تلك الرواية الغريبة ـ وهي لسيف أيضاً ـ الّتي تتحدّث عن غزوة أمر بها الخليفة عثمان إلى الأندلس، دون أن يكون العرب المسلمون قد انتشروا نفوذاً ما يتعدّى (برقة) في أفريقية. وإذا توقفنا عند الجزء الرابع من (تاريخه) والّذي تغطّي مادته أحداثاً شديدة الأهمية في التاريخ الإسلامي (١٦ ـ ٣٦ هـ)، فنجد أنّ أغلب الروايات متوكئة على سيف، وهو كإخباري لا يتمتع بالثقة نفسها الّتي يتمتع بها الآخرون، ممّن اعتمد الطبري على رواياتهم، ما يدعونا إلى الحذر من ركام الروايات لدى هذا المؤرّخ، حيث انصبت غزيرةً في مكان، وتخلخلت حتّى الرواية الوحيدة، بل المبتسرة في مكان آخر.. وبالعودة إلى رواية سيف عن ابن سبأ، فإنّنا لا نعثر فيها إلا على القليل جدّاً من سيرة هذا الرجل: نشأة وسلوكاً وتوجهات، قبل أن يبرز فجأة في ذلك الدور المنسوب له، مخترقاً وعلى نحو غير مألوف، البنية الفكرية والسياسية للمسلمين في (المدينة) والأمصار. فقد اكتفت الرواية بوصفه أنّه: كان يهودياً من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثمّ البصرة، ثمّ الكوفة (ويذكر الكاتب هنا تمام الرواية الّتي مرّ ذكرها سابقا[1] ليقول بعدها:) ولكنّ المؤرّخ لا يدع هذه الرواية قبل أن يجابه أسئلة لابدّ من طرحها في هذا السياق:

١ـ كيف استطاع هذا الرجل، وهو حديث العهد جدّاً بالإسلام، أن يصل على ذلك النحو من السرعة إلى الموقع الّذي صار إليه، متحدّثاً بأمور تمسّ عمق المعتقد الديني، وبالتالي الانتقال بالسرعة نفسها إلى قيادة التيار المناهض للخليفة على كامل مساحة الدولة الراشدية.

---

(١) أُنظر تاريخ الطبري ٣: ٣٧٩.

٢ ـ هل كان ابن سبأ يقوم بهذه الحركة بحافز إصلاحي، أم بحافز تضليلي، انطلاقاً من خلفيّته اليهودية؟ واستطراداً، هل كان يتحرك عبر قناعات خاصة به، أم بفعل قوة خفية كانت تخطط وراءه وتدفع به إلى الواجهة؟

٣ ـ علاقته بعليّ! كيف بدأت؟ ولماذا كان الانحياز له؟ هذا ما تجاهلته رواية سيف، ولم تلمح إليه أية رواية أخرى. فقد كان لعليّ أنصار كثيرون، متحمّسون لحقّه بالخلافة، فلم جاء التركيز على شخصيته من خارج النخبة الّتي تميّز باستقطابها، واستمد منها حضوره المعنوي البارز في ذلك الوقت؟

٤ ـ هل كان ابن سبأ، فعلاً، هو الموجّه للتيار (الإصلاحي) المعارض لعثمان؟ وهذا يعني لو قبلنا به، أنّنا نلغي تلك المقدّمات الّتي كانت سابقة على حركته. فالرواية الّتي تتحدّث عن انتقاله إلى مصر، تندرج في العام الخامس والثلاثين للهجرة، فيما كانت حركة أبي ذرّ الغفاري في العام الثلاثين منه، وبعدها بثلاثة أعوام قامت حركة الأشتر النخعي في الكوفة، متصدّية لوالي عثمان، سعيد بن العاص، وسياسته الاقتصادية بشكل خاص!!

٥ ـ هل كان هذا (الداعية) وانطلاقاً من الرواية، شخصية خرافية اصطنعها خيال (سيف) لإضفاء عنصر جديد على رواياته، يميّزه عن غيره من الإخباريين الّذين خلت رواياتهم من أية إشارة لها أم أنّها شخصية انتهازية توخّت ركوب موجة السخط على عثمان، وصولاً إلى أهداف لم يتح ذلك العهد تحقيقها؟

هذه الأسئلة ـ عدا الشك الّذي تثيره ـ حول شخصية ابن سبأ، وقدرته (الفائقة) على الدخول في نسيج المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، فإنّها تكشف ضعفاً في رواية سيف، بإهمالها نقطة أساسية، وهي أن يتاح لابن سبأ، ولم يكن قد مضى سوى القليل من الأعوام على إسلامه، التصدّي لمسائل كانت ما تزال من شأن النخبة، أو ما يسمّى بذوي السابقة. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فهذا الرجل (الخارج) – وفقاً لما جاء في القسم الثاني من الرواية – يصبح له جهاز تنظيمي متقن، ودعاة منتشرون

باسمه في الأمصار، ما يذكّر بجهاز الدعوة العباسية الّتي احتاجت إلى سنوات طويلة لتنظيم نفسها على ذلك النحو. (انتهى كلام الدكتور بيضون، وهو ـ كما ترى ـ يشكك بأسلوب موضوعي بمصداقية سيف في عرضه).

نقول: ولأجل هذه الشكوك، الّتي تثار حول هذه الحكاية، اضطر بعض الباحثين ـ كما تقدّم ذكره عن الدكتور طه حسين ـ إلى إنكار وجود مثل هذه الشخصية من الأساس وأنّها مختلقة، ومال إلى هذا الرأي أيضاً الدكتور حامد حفني داود في مقدّمته لكتاب (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) للعسكري الّذي كان قد أنكرها هو أيضاً وأرجع اختلاقها إلى سيف بن عمر، وعمد البعض الآخر مثل الدكتور عليّ الوردي والدكتور عليّ النشار إلى حمل شخصية ابن سبأ على عمّار بن ياسر، قال النشار بعد أن جمع النقول من المصادر التاريخية، وما كتبه المحققون من السنّة والشيعة: «ومن المحتمل أن تكون شخصية عبد الله بن سبأ شخصية موضوعة أو أنّها رمزت إلى شخصية ابن ياسر..ومن المحتمل أن يكون عبد الله بن سبأ هو مجرد تلفيق لاسم عمّار بن ياسر»[١].

ويرى أصحاب هذا الرأي الأخير أنّ هناك مشتركاً كبيراً في الموضوع يرجّح عملية الاتّحاد هذه، فعمّار بن ياسر كان أيضاً يكنّى بابن السوداء، وكان يمانياً، وأيضاً كان من المعروفين بشدّة حبّهم وولائهم لعليّ عليه السلام، بل ومن المجاهرين بهذا الولاء، وأيضاً كان من أشدّ المعترضين على سياسات عثمان ومن المحرّضين عليه، وقد كان له دور رئيسي في تلك الأحداث، إلا أنّه ولمكانته الكبيرة عند المسلمين، وبما وسمه النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله من مزايا وفضائل جعلته في المقام الأوّل من بين كبار الصحابة، لم يجرؤ المؤرّخون أن ينسبوا إليه تلك الأحداث صراحة، كي لا تنكشف عورات قومٍ أرادوا سترها والتعتيم عليها بكلّ وسيلة، لذا عمدوا إلى الترميز في شخصيته كي

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢: ٢٣.

تنطلي على الناس حقيقة ما جرى، وقد أضافوا إلى هذا الترميز اختلاق بُعد يهودي كي يتم من خلاله توظيف أهداف متعددة أبرزها السعي في إقصاء الطرف الآخر من خلال تشويه صورته بهذا البعد، وكذلك تُجعل أسباب الفتنة من خارج المسلمين وليس من داخلهم، هذا إضافة إلى تلميع الصورة الأموية الّتي نالها البغض والكره من الناس بسبب أفعال أبنائها واستهتارهم بالشريعة الإسلامية وأحكامها!!

هذا هو حاصل ما يقوله أصحاب هذا الرأي!

وقد أشكل على أصحاب هذا الرأي بإشكال مفاده: أنّ المؤرّخين الّذين ذكروا ابن سبأ أثبتوا شخصية عمّار بن ياسر على أنّها شخصية مستقلة عن شخصية ابن سبأ، وليس هما شخصية واحدة[1].

إلا أنّه يمكن لأصحاب هذا القول أن يجيبوا على هذا الإشكال بقولهم: إنّ الّذين أوردوا قصة ابن سبأ لم يجرؤوا على ذكر عمّار بن ياسر في بعض الموارد الحساسة الّتي تنكشف فيها عورات البعض بسبب مواجهة عمّار لهم، فهم في هذه المواقع لا يأتون باسم عمّار، بل يأتون بالاسم الرمزي الّذي اختاروه له وهو ابن سبأ، فيخيل للقارئ أنّهما شخصيتان وليست شخصية واحدة. وأيضاً يمكن ملاحظة أمر آخر وهو وجود زيادة مختلقة في الشخصية الرمزية، للأهداف الّتي سبقت الإشارة إليها، والّتي تبرأ منها شخصية عمّار الحقيقية، المعلومة الصفات عند المسلمين جميعاً، كلّ هذا بقصد إيهام القارئ أو السامع بأنّهما شخصيتان وليست شخصية واحدة.! بل وقد يكون هناك أمر آخر - أجل الزيادة في الإيهام أيضاً - كأن تجد في بعض الموارد أنّ عمّاراً قد اتّبع ابن سبأ، أو أنّ ابن سبأ استمال عمّاراً إليه بعد أن أرسله عثمان إلى مصر للتحقيق فيما يرد إليه من شكاوى أهلها، وهذه قصة قد تفرد بذكرها الطبري دون غيره، وبسنده عن سيف فقط، ولم يرد لها أيّ ذكر عند أيّ واحد من

(١) أورد هذا الإشكال عليّ عبد الرحمن السلمان في كتابه: عبد الله بن سبأ وإمامة عليّ: ٣٩.

المؤرّخين سواه، وهذا الفعل من سيف ـ المتفرد برواية هذه القصة ـ يلاحظ المحقّق منه بأنّه أراد بذلك أن يوحي للقارئ بأنّهما شخصيتان فعلاً وليست شخصية واحدة، مع أنّه في واقعه تخليط واختلاق زائد، الهدف منه تحقيق الغايات الّتي سبقت الإشارة إليها، وإلا لذُكرت أمثال هذه التفاصيل من بعث عثمان لعمّار إلى مصر، واستمالة ابن سبأ لعمّار بن ياسر عند غير الطبري من المؤرّخين، مع أنّنا لا نجد شيئاً من ذلك عند غير الطبري، بل وحتّى عند الطبري بسند آخر لا يرد فيه سيف بن عمر التميمي!!

وعلى أية حال، لم يطمئن الباحثون وأهل التحقيق لما ورد في قصة ابن سبأ والسبئية فيما رواه الطبري وغيره استناداً إلى سيف بن عمر التميمي الكذّاب الوضّاع.ومن هنا كانت الشكوك الّتي تحوم حول هذه القصة ـ للثغرات الكبيرة الواردة عليها سنداً ومتناً ـ شكوكاً حقيقية لها جذور موضوعية لا يمكن لأهل البحث والتحقيق وروّادِ المعرفة إهمالها أو تجاوزها بأيّ حال من الأحوال!!

الطبري يعترف باختلاق سيف للأحداث والأشخاص!

ومن الطريف أن نجد الطبري نفسه، وهو الّذي وقع في فخ (سيف) وأخذ منه تاريخه، يعترف باختلاقات سيف لبعض الأحداث والأشخاص، وأنّه قد جاء بخلاف ما يعرفه أهل السير، وأيضاً بخلاف ما جاءت به الآثار والصحاح، وهذا التصريح من الطبري كالصريح في وضع سيف لهذه الأحداث واختلاقها ... فقد روى الطبري في تاريخه بسنده عن سيف بن عمر واقعة ذات السلاسل وفتح الأبلّة في زمن أبي بكر على يد خالد بن الوليد، ونزول خالد بجيشه في كاظمة، واقترانهم بالسلاسل لئلا يفرّوا والماء في أيديهم.. أنّ الله أرسل سحابة أغدرت ما وراء صف المسلمين، فقويت قلوبهم.. ثم انهزم الفرس، فبعث خالد بالفتح والأخماس وبالفيل

مع زَر بن كليب، فطيف به في المدينة ليراه الناس، فجعل ضعيفات النساء يقلن به أمِن خلق الله ما نرى؟ فردّه أبو بكر مع زر[١].

قال الطبري: وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير، وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح، وإنّما كان فتح الأبلة أيام عمر ﵁، وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة، وسنذكر أمرها وقصة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله[٢].

فانظر إلى اختلاق سيف - باعتراف الطبري - لغزوة بأحداثها وتفاصيلها ورجالها، وما اشتملت عليه من فتوحات وكرامات وغنائم وغيرها!!

وإذا نظرنا إلى الّذين روى عنهم سيف رواياته في هذه الواقعة، وهم: محمّد ابن نويرة[٣]، وحنظلة بن زياد بن حنظلة[٤]، وعبد الرحمن بن سياه الأحمري[٥]، وطلحة بن الأعلم[٦]، والمهلب بن عقبة الأسدي[٧].

نجد أنّ كلّ هؤلاء الرواة لا أثر لهم في كتب الرجال والسيرة والتاريخ، ولم ترو عنهم أية رواية من طريق آخر غير طريق سيف بن عمر، وهذا يدلّ على أنّهم أيضاً من مختلقاته، كما أنّ الواقعة المشار إليها برمّتها من مختلقاته وإبتكاراته كذلك[٨].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٥٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أُنظر تاريخ الطبري ٢: ٥٥٦، ٥٧٢، ٦٤٤، ٣: ٦٧، ٤٧٦، ٥٣٧.

(٤) أُنظر تاريخ الطبري ٢: ٥٥٦.

(٥) أُنظر تاريخ الطبري ٢: ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٥٨، ٦٠٢.

(٦) أُنظر تاريخ الطبري ٢: ٤٣٠، ٤٦٥، ٤٨٦، ٥٠٥، ٥١٣، ٥٥٤، ٥٦٠، ٥٧٠، ٦٣٠، ٦٥٨، ٣: ١٣٨، ٤٥٤، ٤٧٦.

(٧) أُنظر تاريخ الطبري: ٢/ ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٧٢، ٥٧٨، ٥٨٣، ٦٠٢.

(٨) ولمعرفة المزيد عن مفتريات سيف ومختلقاته هذه في الحوادث والرواة والشخصيات يمكن مراجعة ما كتبه العلامة السيّد مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ)، إذ ساق على ذلك أمثلة وحوادث كثيرة.

نظرة قيّمة في تاريخ الطبري:

قال العلامة الأميني في موسوعته القيّمة (الغدير) في معرض تعليقه على ما رواه الطبري عن سيف وأضرابه: «شوّه الطبري تاريخه بمكاتبات السرّي الكذاب الوضّاع، عن شعيب المجهول الّذي لا يعرف، عن سيف الوضّاع، المتروك، الساقط، المتهم بالزندقة، وقد جاءت في صفحاته بهذا الإسناد المشوّه (٧٠١) رواية وضعت للتمويه على الحقائق الراهنة في الحوادث الواقعة من سنة ١١ إلى ٣٧ عهد الخلفاء الثلاثة فحسب.

ولا يوجد شيء من هذا الطريق الوعر في أجزاء الكتاب كلّها غير حديث واحد ذكره في السنة العاشرة، وإنّما بدأ برواية تلكم الموضوعات من عام وفاة النبيّ الأقدس، وبثها في الجزء الثالث والرابع والخامس، وانتهت بانتهاء خامس الأجزاء.

ذكر في الجزء الثالث من (ص ٢١٠) في حوادث سنة (١١) ٦٧ حديثاً.

أخرج في الجزء الرابع في حوادث السنة الثانية عشر ٤٢٧ حديثاً.

أورد في الجزء الخامس في حوادث السنة الـ(٢٣ـ٣٧) ٢٠٧ حديثاً.

المجموع: ٧٠١.

وممّا يهم لفت النظر إليه أنّ الطبري من صفحة (٢١٠) من الجزء الثالث إلى (ص ٢٤١) يروي عن السريّ بقوله: حدّثني، المعرب عن السماع منه. ومن (ص ٢٤١) يقول: كتب إليّ السريّ، إلى آخر ما يروي عنه إلا حديثاً واحداً في الجزء الرابع (ص ٨٢) يقول فيه: حدّثنا».

يقول الأميني: «ولست أدري أنّ السريّ، وسيف بن عمر هل كان علمهما بالتأريخ مقصوراً على حوادث تلكم الأعوام المحدودة فقط؟ ومن حوادثها على ما يرجع إلى المذهب فحسب لا مطلقاً؟ أو كانت موضوعاتهما تنحصر بالحوادث

الخاصة المذهبية الواقعة في الأيام الخالية من السنين المعلومة؟ لكونها الحجر الأساس في المبادئ والآراء والمعتقدات، وقد أرادوا خلط التاريخ الصحيح وتعكير صفوه بتلكم المفتعلات تزلفاً إلى أناس، واختذالاً عن آخرين، ومن أمعن النظر في هذه الروايات يجدها نسيج يد واحدة، ووليد نفس واحد، ولا أحسب أنّ هذه كلّها تخفى على مثل الطبري، غير أنّ الحب يعمي ويصم».

ثمّ يقول الأميني: «وقد سوّدت هاتيك المخاريق المختلقة صحائف تاريخ ابن عساكر، وكامل ابن الأثير، وبداية ابن كثير، وتاريخ ابن خلدون، وتاريخ أبي الفداء إلى كتب أُناس آخرين اقتفوا أثر الطبري على العمى، وحسبوا أنّ ما لفّقه هو في التاريخ أصل متّبع لا غمز فيه، مع أنّ علماء الرّجال لم يختلفوا في تزييف أيّ حديث يوجد فيه أحد من رجال هذا السند فكيف إذا اجتمعوا في إسناد رواية..والتآليف المتأخرة اليوم المشحونة بالتافهات الّتي هي من ولائد الأهواء والشهوات كلّها متخذة من هذه السفاسف الّتي عرفت حالها وسنوقفك على نماذج منها في الجزء التاسع إن شاء الله تعالى»[1] (انتهى ما أفاده العلامة الأميني).

فالأمر ليس مقتصراً على (سيف) وحده، كما يشير إلى ذلك العلامة الأميني رحمه الله، إذ إنّه حتّى لو غضضنا الطرف عن سيف وتجاوزنا ما ورد فيه من قدح وتجريح فإنّ مرويات الطبري عنه لا تصح أيضاً!

يقول الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي): «هب أنّ مكابراً - وما أكثرهم في هذا العصر - ضرب بأقوال المحدّثين[2] عرض الحائط وأصر على توثيق سيف بن عمر ولم يلتفت للدراسات الجادة الّتي اتفقت مع أحكام المحدّثين على ضعفه وكذبه وعلى وصف مروياته بالضعف والكذب والترك. وهب أنّنا وافقناه على قوله واتهمنا المحدّثين بدلاً من سيف، وقلنا بأنّ سيف

(١) الغدير ٨: ٣٢٨.

(٢) أي: المحدّثين الّذي ضعّفوا سيفاً.

ابن عمر (ثقة ثبت حافظ حجّة إمام). وجعلناه بمرتبة البخاري أو الإمام أحمد. فإنّنا بعد هذا كلّه لن نستطيع توثيق روايات سيف بن عمر فإنّها ستبقى ضعيفة أيضاً، لماذا؟

لأنّ الأسانيد لا تصح إلى سيف ولا تصح روايته عن شيوخه؟ كيف؟!

أمّا النقطة الأولى: فلأنّ تلميذ سيف المتخصص في نقل مروياته هو شعيب بن إبراهيم الكوفي وهو (مجهول) و(في رواياته منكرات وتحامل على السلف)، وأُنظر ترجمته في الميزان للذهبي وقبله في الكامل في الضعفاء لابن عدي فهو أخو سيف في الضعف والمنكرات.

وشعيب هذا قد روى أكثر من ٩٠٪ من روايات سيف بن عمر وانفرد بأكثر هذه النسبة، فقد روى ٧٣٠ رواية من أصل ٨٠٠ رواية - أو أكثر بقليل - هي كلّ ما رواه الطبري في تاريخه عن سيف بن عمر.

كما أنّ الكتاب المحقق الّذي أخرجه السامرائي كلّه عن طريق (شعيب عن سيف)[1]؟! فلو كان هذا الكتاب للبخاري لما أمكن الوثوق في رواياته لأنّ (ضعف التلميذ) لا يزيله (صدق الشيخ) والعكس صحيح أيضاً.

معنى هذا أنّنا نقول للروايات الـ(٧٣٠) وللكتاب المحقق السلام عليكما ونلقيهما في مهملات التاريخ ومنكراته!! اللّهمّ إلا روايات معدودة في تاريخ الطبري، قد توبع فيها شعيب (أي: شاركه غيره في روايتها عن سيف) وكلّ الطرق والأسانيد إلى سيف ضعيفة مع قلّتها (ثلاث طرق) إلا طريق عبيد الله بن سعد الزهري عن عمه يعقوب بن إبراهيم عن سيف هذا طريق صحيح إلى سيف ولا غبار عليه، ومن هذا الطريق روى الطبري نحو ٧١ رواية صحيحة الإسناد إلى سيف لكن يبقى البلاء في

---

(١) الكتاب الّذي حققه الدكتور قاسم السامرائي لسيف بن عمر هو كتاب (الردة والفتوح ومسير عائشة وعليّ)، وقد كتب عنه الدكتور عبد الله العسكر مقالاً في صحيفة الرياض العدد ٩٨٨٩، وهو ما تصدّى للرد عليه الشيخ المالكي في مقالته هذه من كتابه.

(شيوخ سيف) إذا خالفنا الإجماع على ضعف سيف وافترضنا أنّ سيفاً (ثقة ثبت حجّة إمام حافظ)، وهذه هي النقطة الثالثة.

وهناك طريق ثالث إلى سيف: وهو طريق عليّ بن أحمد بن الحسن عن الحسين بن نصر بن مزاحم عن أبيه عن سيف، فهذا الطريق الثالث ضعيف لضعف نصر بن مزاحم وليس لهذا الطريق في تاريخ الطبري إلا روايتان فقط)).

يقول الشيخ المالكي: ((نعود ونقول: إنّ سيف بن عمر مشهور بالرواية عن المجهولين الّذين ليس لهم قدم صدق في الرواية ولا في الأحاديث بخلاف غيره من المؤرّخين الّذين يكثرون من الرواية عن الثقات أو المشهورين وإن لم يكونوا بثقات، لكن سيف بن عمر يكثر من روايات المجهولين الّذي لا يعرفهم أحد!! فالروايات الـ (٧١) الّتي صح الإسناد فيها إلى سيف قمت بدراستها رواية رواية فوجدت أنّ سيفاً قد رواها عن رواة لم يشهدوا الأحداث أو مجهولين أو ضعفاء أو كذّابين إلا روايتين فقط (سيأتي ذكرهما)[1]، فكلّ الأسانيد الّتي ساقها سيف لم تسلم من إرسال أو إعضال أو انقطاع أو ضعف ظاهر، أو مخالفة للروايات الموثوقة أو راو كذّاب معروف!!

---

(١) وهاتان الروايتان ذكرهما الشيخ حسن المالكي فيما بعد من كتابه، وهما لم يسلما من العلل أيضاً، فالرواية الأولى وهي رواية صلاة خالد بن الوليد بالحيرة والّتي أسماها سيف بـ(صلاة الفتح)، وهي لفظة منكرة كما يقول الشيخ المالكي، فليس في الإسلام ما يسمّى بـ (صلاة الفتح)، فهذه صلاة مبتدعة دسها سيف في روايته هنا رغم أنّ روايته هذه من أنظف الروايات الّتي رواها، على حدّ قول الشيخ المالكي.
والثانية روايته لكتاب أهل الحيرة إلى خالد بن الوليد، وقد رواها الطبري بسند صحيح إلى سيف، وسيف رواها عن عطية بن الحارث الهمداني عن عبد خير، ولكن لهذه الرواية جملة من العلل، أولّها: أنّه لا يعرف رواية لعطية بن الحارث عن عبد خير فقد تكون الرواية منقطعة، وثانيها: أنّ عبد خير لم يشهد فتح الحيرة على الأرجح، وثالثها: ورود عبارات في الكتاب على خلاف المعروف عن الكتب والمواثيق في كتابة العهود، ورابعها: التناقض، فقد روى سيفاً صيغة أخرى غير هذه الصيغة المذكورة، (راجع كتاب الشيخ المالكي: ٦٦).

معنى هذا أنّه لو كان (البخاري) مكان سيف بن عمر لما قبلت منه هذه الأسانيد لأنّ شيوخه غير ثقات أو لأنقطاع الإسناد مع مخالفة الروايات الصحيحة.

بل إنّ من علامات ضعف الراوي أنّه يروي عن كثير من المجهولين، ممّا قد يسبق إلى الظن أنّه يختلق الرواة وينسب إليهم أقوالاً من عنده حتّى يخرج من العهدة ويكون قد ضرب أكثر من هدف... وبالرواية عن المجهولين عرف الناس كذب الكذابين، ويدرك العاقل هذا بقليل من التأمل. واختلاق سيف للرواة ليس بأغرب من اختلاقه الشخصيات الكبرى المشهورة الّذين زعم أنّهم صحابة أو تابعون بينما ليس لهم وجود أصلاً!! ولا يتسع المقام لشرح هذا))[١]. (انتهى كلام الشيخ حسن المالكي)

مناقشة دعاوى سيف على لسان رواته:

١ـ أصل الوصية لعليّ عليه السلام!

لقد ادّعى سيف بن عمر على لسان شخصياته وبالخصوص على لسان ابن سبأ بأنّه أوّل من قال بأنّ عليّاً عليه السلام هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأيضاً دعواه بأنّه كان يقول بالرجعة،وكذلك دعواه بأنّ عثمان أخذ الخلافة بغير حقّ، وأنّ الأحق بها هو عليّ عليه السلام.

ولأجل إيضاح المطالب والوصول بالقارئ الكريم إلى كبد الحقيقة وعينها في هذه الأمور المدّعاة نقول:

إنّ كون عليّ عليه السلام هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله فهذه لم تكن من ابن سبأ، وليس هو أوّل من نطق بها أو دعا إليها، بل إنّ أوّل من نطق بذلك ونصّ عليه هو رسول الله صلى الله عليه وآله دون غيره، كما روت ذلك كتب الحديث والسير والتاريخ بأحاديث وآثار معتبرة وردت بهذا الخصوص بالذات.

(١) أنظر: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: ٦١ ـ ٦٣.

فقد أخرج الطبري نفسه في تاريخه بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال يوم الدار: (يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟) قال: فأحجم القوم عنها جميعاً. وقلت وإنّي لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمّ قال: (إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا)[1].

وهذه الرواية يرويها الطبري بالسند التالي: حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمة قال: حدّثني محمّد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب، قال: ((لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2] دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله... (الرواية))).

وكما ترى، فهذه الرواية لا يوجد في سندها ومتنها عبد الله بن سبأ، المدّعى بأنّه أوّل من قال بالوصية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام حسب سيف بن عمر التميمي، بل بحسب هذه الرواية أنّ أوّل من قال بالوصية لعليّ عليه السلام هو النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وفي بداية الدعوة الإسلامية، لأنّ آية الإنذار المتقدّمة قد نزلت في أوّل الدعوة بالاتفاق.

وقد أرسل ابن الأثير في كامله هذا الحديث وبهذا المضمون إرسال المسلّمات عند ذكر أمر الله لنبيّه صلى الله عليه وآله بإظهار دعوته[3].

وفي تاريخ ابن عساكر: فبدرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالكلام فقال: (أيّكم يقضي ديني ويكون خليفتي ووصيي من بعدي) فسكت العباس مخافة أن يحيط ذلك بماله،

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٣) أُنظر: الكامل في التاريخ ١: ٥٨٦.

فأعاد رسول الله ﷺ الكلام فسكت القوم وسكت العباس مخافة أن يحيط ذلك بماله، فأعاد رسول الله ﷺ الكلام الثالثة قال - أي: عليّ - وإنّي يومئذ لأسوأهم هيئة إنّي يومئذٍ لأحمش الساقين أعمش العينين ضخم البطن، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: (أنت يا عليّ أنت يا عليّ)[١].

وهذا الحديث أيضاً لا يوجد في سنده ومتنه ابن سبأ المزعوم، وإنّما رواه ابن عساكر بسند صحيح هذا رجاله: أخبرنا أبو البركات عمر بن إبراهيم الزيدي العلوي بالكوفة، أنا أبو الفرج محمّد بن أحمد بن علان الشاهد، أنا محمّد بن جعفر بن محمّد بن الحسن، أنا أبو عبد الله محمّد بن القاسم بن زكريا المحاربي، نا[٢] عباد بن يعقوب، نا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله عن عليّ بن أبي طالب، قال: لمّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٣]، قال رسول الله ﷺ: (يا عليّ اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام...)(الحديث)[٤].

وأيضاً أخرج أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) والطبراني في معجمه الكبير بسندهما عن سلمان قال: قلت: يا رسول الله إنّ لكلّ نبيّ وصياً، فمن وصيك؟ فسكت عنّي، فلمّا كان بعد رآني فقال: (يا سلمان) فأسرعت إليه، قلت: لبيك قال: (تعلم من وصي موسى؟) قال: نعم، يوشع بن نون، قال (لِمَ)؟ قلت: لأنّه كان أعلمهم

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧، ٤٨.

(٢) كلمة (أنا) مخففة من أخبرنا، و(نا) من حدّثنا.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٤) وللاطّلاع على صحة السند، أُنظر على التسلسل: ميزان الاعتدال ٣: ١٨١، سير أعلام النبلاء ٢٠: ١٤٥، ١٨: ٤٥١، ١٧: ١٠٠، ١٥: ٧٣، ١١: ٥٣٦، تهذيب التهذيب ٥: ٢٦٥، تذكرة الحفاظ ١: ١٥٤، ميزان الاعتدال ٤: ١٩٢، الثقات لابن حبان ٥: ١٤٠.

يومئذ. قال: (فإنّ وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدّتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب)[١].

وأيضاً أخرج الطبراني في (المعجم الأوسط)، والهيثمي في (مجمع الزوائد) بسنده عن أبي الطفيل، قال: ((خطب الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر أمير المؤمنين علياً خاتم الأوصياء، ووصي خاتم الأنبياء، وأمين الصديقين والشهداء)).

ثمّ قال: ((يا أيّها الناس لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله ﷺ يعطيه الراية، فيقاتل جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتّى يفتح الله عليه، ولقد قبضه الله في الليلة الّتي قبض فيها وصي موسى، وعرج بروحه في الليلة الّتي عرج فيها بروح عيسى بن مريم، وفي الليلة الّتي أنزل الله فيها الفرقان، والله ماترك ذهباً ولا فضة ولا شيئاً يصر له، وما في بيت ماله

---

(١) فضائل الصحابة ٢: ٦١٥، المعجم الكبير ٦: ٢٢١، مجمع الزوائد ٩: ١١٣ قال الهيثمي: (وفي إسناده ناصح بن عبد الله وهو متروك) (انتهى)، قلنا: قال أحمد بن حازم بن أبي غرزة (الّذي وصفه الذهبي بالإمام الحافظ الصدوق كما في سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٣٩): سمعت عبيد الله بن موسى وأبا نعيم يقولان جميعاً عن الحسن بن صالح قال: ناصح بن عبد الله المحملي نعم الرجل (تهذيب الكمال) ٢٩: ٢٦٣، وفي (ميزان الاعتدال) ٤: ٢٤٠: رجل صالح، نعم الرجل...وقال الذهبي: كان من العابدين، وقال ابن عدي في (الكامل) ٧: ٤٧: وهو من يكتب حديثه (انتهى)، وقد عدّه ابن حجر من كبار الطبقة السابعة (تقريب التهذيب) ٢: ٢٣٧، وفي (تهذيب الكمال) ٢٩: ٢٦١: (روى عنه أبو حنيفة النعمان بن ثابت ـ وهو من أقرانه ـ) (انتهى)..إلا أنّه كما يبدو أنّ مشكلة الرجل مع القوم هي في تشيّعه وروايته لما لا يرتضيه البعض من فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، لذا قال البخاري عنه: منكر الحديث، ومن هذا الباب تركوا حديثه، إلا أنّه يرد على من يرد حديثه: أنّ الرجل قد وصف بالصلاح والعبادة، أي: هو ممّن لا يكذب، وكذلك عدّ من كبار رجال طبقته وأنّ أبا حنيفة يأخذ عنه الحديث مع أنّه من أقرانه، أي: أنّه من أهل العلم والدراية، فلا موجب بعد هذا لترك حديثه بأيّ حال من الأحوال بعد توفر شرطي القبول لرواية الراوي فيه، ونعني بهما: الصدق والحفظ، ولكن نقول ـ كما في كلّ مرة ـ إنّ الهوى يعمي ويصم!!

إلا سبعمائة درهم وخمسين درهماً فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأم كلثوم...))[١].

نقول: فأين ابن سبأ المزعوم، بطل الدعوة بالوصية لعلي عليه السلام عند سيف وأضرابه من أسانيد هذه الروايات الّتي رواها جهابذة الحديث عند أهل السنّة كأحمد والطبراني والبزار وأبي يعلى والهيثمي، وهذه الأحاديث ـ كما ترى ـ صريحة وواضحة بأنّ علياً عليه السلام هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه لم يكن الناطق بذلك سوى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وأنّ كونه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله هو أمر ممّا تسالم ذكره عند أهل بيته عليهم السلام، ونقله عنهم الصحابة الكرام كأبي الطفيل وغيره؟!

وأيضاً نقول: ليس بأفضح من هذه الدعوى الدعوى الأخرى الّتي تنسب تأسيس مذهب التشيّع لابن سبأ المزعوم، مع أنّ هذه المفردة بالذات (أي: الشيعة)، قد كان أوّل من نطق بها هو النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله نفسه دون غيره، بل هو ذاته صلى الله عليه وآله أوّل من أرسى دعائم الولاء والمتابعة لعليّ عليه السلام وللأئمّة من أبنائه عليهم السلام..وقد ورد ذكر ذلك كلّه في أحاديث متضافرة متواترة روتها كتب السنّة قبل الشيعة، وهذه الأحاديث تدفع بصدور الجاحدين إلى يوم الدين، وقد تقدّم بيانها في أوّل الكتاب... وأيضاً سبق وأن ذكرنا – من باب تطبيق المدّعى على المصاديق ـ ترجمة نخبة من كبار الصحابة والتابعين من الّذين امتثلوا لمضامين هذه الأحاديث الشريفة وعُرفوا بولائهم وتشيّعهم لأمير المؤمنين عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده... ويمكن مراجعة الموضوع برمّته بإمعان فيما تقدّم.

---

(١) المعجم الأوسط ٢: ٣٣٦، مجمع الزوائد ٩: ١٤٦ قال الهيثمي: ((رواه الطبراني في الأوسط والأكبر باختصار، إلا أنّه قال: ليلة سبع وعشرين من رمضان، وأبو يعلى باختصار، والبزار بنحوه، إلا أنّه قال: ويعطيه الراية فإذا هم الوغى فقاتل جبريل عن يمينه، وقال: وكانت إحدى وعشرين من رمضان، ورواه أحمد باختصار كثير، وإسناد أحمد وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حسان)) انتهى.

٢ـ دعوى وضع ابن سبأ للرجعة:

أمّا دعوى سيف بن عمر بأنّ ابن سبأ وضع الرجعة، وأنّه قال ـ حسبما رواه الطبري فيما تقدّم ذكره ـ: لعجب فيمن يزعم أنّ عيسى يرجع، ويكذّب بأنّ محمّداً يرجع، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[1].. الخ.

نقول: إنّ هذه دعوى باطلة، يدحضها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فالرجعة الّتي تعني رجوع قوم في آخر الزمان إلى الدنيا بعد موتهم، وحياتهم حياة ثانية، إلى أن يموتوا أو يقتلوا حسب مشيئته سبحانه، قد دلّ عليها القرآن الكريم في آيات صريحة، وكذلك أشارت إلى ترقّب حصولها في أمّة الإسلام أحاديث نبوية شريفة، الأمر الذي تضافر نقله عند الشيعة الإمامية بالأسانيد الصحيحة الواردة عن أئمّتهم المعصومين عليهم السلام حول رجوع قوم إلى الحياة الدنيا عند قيام الإمام المهدي عليه السلام.

وهنا قبل أن نذكر بعض الآيات الدالة على خصوص الرجعة عند المسلمين، يمكن أن نذكر شيئاً عما ورد ذكره في القرآن الكريم عن أُناس من الأمم قبل الإسلام كانوا قد طواهم الموت ثمّ عادوا إلى الحياة الدنيا مرّة أخرى ورجعوا إليها.

قال تعالى في سورة (البقرة): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاس وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا يَشْكُرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٥

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

والآية واضحة وصريحة في عودة هؤلاء الألوف إلى الحياة الدنيا بعد أن قال لهم الله سبحانه: ﴿مُوتُوا﴾، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾..[1].

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ[2] وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، فهذا المطالِب بإحياء الموتى ممّن سبقوه ـ وهو عزير عليه السلام ـ قد أماته الله مائة سنة ثمّ أرجعه إلى الدنيا وبقي فيها إلى أن مات بأجله[4].

وقال تعالى في قصة المختارين من قوم موسى لميقات ربّه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5].

فالملاحظ ـ وبحسب هذه الآيات الشريفة الّتي ورد ذكرها في القرآن الكريم وغيرها ـ أنّ الرجعة كانت في الأمم السالفة، فإذا ضممنا إلى ذلك قوله صلى الله عليه وآله: (لتتبعنّ سنّة من كان قبلكم باعاً بباع وذراعاً بذراع وشبراً بشبر حتّى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتم فيه، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟)[6].

---

(١) ومن شاء فليراجع تفسير الآية الكريمة في: جامع أحكام القرآن للقرطبي ٣: ٢٣٠، تفسير الطبري ٢: ٥٨٥، الدر المنثور ١: ٧٤١، زاد المسير ١: ٢٨٧، معاني القرآن للنحاس ١: ٢٤٤، المستدرك على الصحيحين ٢: ٣٠٩.

(٢) لم يتسنه، أي: لم يتغير بطول مدّة بقائه.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(٤) أُنظر: تفسير ابن كثير ١: ٣٢٢، تفسير الطبري ٣: ٥٠، تفسير القرطبي ٣: ٢٢٨، الدر المنثور ١: ٣٣٢، فتح القدير ١: ٢٧٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٥٦.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٨: ٦٣٤.

وأيضاً ما رواه حذيفة -الصحابي المختص بالملاحم والفتن وأمين سر رسول الله ﷺ في ذلك -: ((لا يكون في بني إسرائيل شيء إلا كان فيكم مثله، فقال رجل: قوم لوط؟ قال: نعم، وما ترى بلغ ذلك لا أمّ لك))[1].

وأيضاً فيما روي عنه: ((لتركبنّ سنن بني إسرائيل حذو القذة بالقذة، وحذو الشراك بالشراك، حتّى لو فعل رجل من بني إسرائيل كذا وكذا، فعله رجل من هذه الأمّة، فقال له رجل: قد كان في بني إسرائيل قردة وخنازير، قال: وهذه الأمّة سيكون فيها قردة وخنازير))[2].

يستفاد من ذلك بأنّ هذه الأمّة سيجري عليها في شرّها وخيرها ما جرى على الأمم السابقة من خير وشر حذو القذة بالقذة، وفق قانون الابتلاء الإلهي الّذي لا يتخلّف في أمّة دون أخرى، وقد ثبت أنّ الرجعة، وهو عودة أُناس إلى الحياة الدنيا مرّة أخرى بعد موتهم ممّا جرى في الأمم السابقة، الأمر الّذي يعني حصوله وجريانه في هذه الأمّة كما هو الشأن في تلك الأمم.

بل نقول: إنّ حصول الرجعة في هذه الأمّة قد جاء بيانه في القرآن الكريم كذلك، إذ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[3]، فإنّ الحشر هو البعث إلى الحياة من بعد الموت، والفوج هو الزمرة والجماعة، والآية دالة بوضوح على أنّ الله سيحشر من كلّ أمّة جماعة من المكذّبين بآيات الله، وعليه لا يراد بهذا الحشر -المذكور في الآية- الحشر العام لجميع الخلائق الحاصل يوم القيامة، لأنّ ذلك الحشر لا يكون خاصاً بفوج دون فوج، وإنّما هو حشر عام لا يتخلّف عنه أحد، كما قال سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[4].

---

(١) المصدر السابق ٨: ٦٣٥.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١١: ٣٦٩.

(٣) سورة النمل، الآية ٨٣

(٤) سورة الكهف، الآية ٤٧.

فلابدّ إذن أن يكون هذا حشر خاص واقع قبل الحشر العام لا بعده، وهذا المعنى هو المقصود بالرجعة في الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في هذا الجانب.

جاء في تفسير القمي عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يقول الناس في هذه الآية ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾[1] ؟ قلت: يقولون إنّها في القيامة. قال: ليس كما يقولون، إنّ ذلك في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كلّ أمّة فوجاً ويدع الباقين؟! إنّما آية القيامة قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[2]، وقوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[3].

وعلى أية حال، فالآية واضحة الدلالة على ذلك، إلا أنّه لما كان معناها يتنافى مع عقيدة أهل السنّة في إنكار الرجعة، فإنّ بعض مفسّري أهل السنّة فرّ من بيانها، واكتفى من الآية ببيان معنى الفوج، ومعنى يوزعون، كما صنع الطبري والقرطبي في تفسيريهما، وأيضاً السيوطي في الدر المنثور، وابن الجوزي في زاد المسير، وابن كثير في تفسيره وكذا غيرهم[4].

بل قد تكلّف البعض وقال: إنّ المراد بالحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق[5].

وهذا تكلّف واضح، فهو خلاف ظاهر الآية الكريمة أوّلاً، فإنّ الآية أثبتت حشراً خاصاً بأفواج من المكذّبين، ولم تثبت أنّ هذا الحشر وقع قبله حشر عام آخر. وثانياً: يرد السؤال أنّه ما الوجه في حشرهم بعد الحشر العام الّذي سمّي في آيات من

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٣

(٢) سورة الكهف، الآية ٤٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٩٥، تفسير القمي ١: ٢٥.

(٤) أُنظر: تفسير الطبري ٢: ٢١، والقرطبي ١٣: ٢٣٨، والسيوطي ٥: ١١٧، وابن الجوزي ٦: ٨٢ وابن كثير ٣: ٣٨٨.

(٥) أنظر فتح القدير ٤: ١٥٤.

القرآن الكريم بأنّه يوم ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[١]، وأنّه ﴿يومَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٢]، وأنّه ﴿يوْمَ التَّلاقِ﴾[٣]، وأنّه اليوم الّذي فيه ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٤]، وغيرها من الآيات الدالة على أنّ الحشر العام هو نهاية الحساب، وأنّه لا حشر للوقوف والمساءلة بعد ذلك اليوم؟!!

وإضافة لما تقدّم، نقول: قد وردت آيات أخرى في موضوع الرجعة تناولها مؤلفي الإمامية في مصنفاتهم، وقد ألّف البعض كتباً خاصة في إثبات (الرجعة) بالأدلة الأربعة: الكتاب والسنّة والإجماع والعقل[٥]، كما ألّف من علماء أهل السنّة أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً بعنوان (من عاش بعد الموت) ذكر فيه من رجعت روحه من أهل الإسلام بعد موته، وذكر منهم الصحابي زيد بن خارجة.

وعليه، لا وجه لما لفّقه سيف بن عمر بأنّ واضعها ـ أي: الرجعة ـ هو ابن سبأ، كما لا وجه للتشنيع على من يقول بالرجعة، كما نقرأ ذلك في كتب الرجال عند أهل السنّة بأنّهم إذا أرادوا أن يضعّفوا أحداً أو يذمّوه قالوا عنه: إنّه يقول بالرجعة[٦].

فهذا محض جهل بالقرآن الكريم، وبالأحاديث الشريفة، بل هو من اتّباع الظن وعبادة الهوى!!

ولعل القارئ يسأل: إن كان موضوع عودة الناس ورجوعهم إلى الحياة الدنيا بعد مماتهم أمر لا يستحيله العقل، وهو قد حصل فعلاً للأمم السابقة، كما أنّه من

---

(١) سورة النازعات، الآية ٣٤.

(٢) سورة الشورى، الآية ٧.

(٣) سورة غافر، الآية ١٥.

(٤) سورة غافر، الآية ١٧.

(٥) أُنظر ما كتبه الشيخ عبد اللطيف البغدادي في كتابه الرجعة واثباتها بالأدلة الأربعة، وأيضاً الشيخ نجم الدين الطبسي في كتابه (الرجعة في أحاديث الفريقين)، وأيضاً الكتاب الصادر عن مركز الرسالة (الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت).

(٦) كما عند مسلم في صحيحه ١: ١٥ بسنده عن جرير أنّه قال: (لقيت جابر بن يزيد الجعفي، فلم أكتب عنه، كان يؤمن بالرجعة..) وأمثال هذا!

الممكن أن يحصل لهذه الأمّة كما حصل لغيرها، فما الوجه في التشنيع به، أو الذم على أساسه؟

وللجواب عن هذا نقول: إنّ المسألة كما يبدو تتعلّق بحصول امتيازات خاصة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام تُحرم منها مدرسة الخلفاء، فكان ذلك هو الدافع عند البعض إلى استخدام وسائل التشنيع في المسألة وحجب الحقيقة العلمية في الموضوع عن الناس، إلا أنّ - ولعلّ هذا من سوء حظ المناهضين هنا ـ هذه الامتيازات المتعلّقة بالرجعة الواردة في حقّ أهل البيت عليهم السلام قد شهدت بها المجاميع الحديثية عند أهل السنّة أيضاً، وبالأسانيد الصحيحة، الأمر الّذي يعني أنّه لا مجال أمام المشنّعين إلا إنكار كتبهم الحديثية من أساس، والضرب بطرقهم ووثاقة رجالهم عرض الجدار، أو القبول بهذا الأمر الّذي دلّت عليه الآيات الشريفة والأحاديث الصحيحة عندهم!!

ففي هذا المعنى الّذي نتكلّم عنه، يروي الحاكم في (المستدرك على الصحيحين)، والطبراني في (المعجم الأوسط)، وابن أبي شيبة في مصنفه، وابن حبان في صحيحه، وأبو يعلى في مسنده، والضياء في مختاراته: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام: (يا عليّ إنّ لك في الجنّة كنزاً، وإنّك ذو قرنيها..)[1].

قال الراغب الأصفهاني في (مفردات غريب القرآن): وقوله (عليه الصلاة والسلام) لعليّ رضي الله عنه (إنّ لك بيتاً في الجنّة وإنّك لذو قرنيها) يعني ذو قرني الأمّة أي: أنت فيهم كذي القرنين[2].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٣ قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه)، ووافقه الذهبي كما في التلخيص، المعجم الأوسط ١: ٢٠٩، مجمع الزوائد ٤: ٢٧٧ قال الهيثمي: (رواه البزار والطبراني= = في الأوسط..ورجال الطبراني ثقات)، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٤١٠، ٧: ٤٩٨، صحيح ابن حبّان ١٢: ٣٨١، مسند أبي يعلى ٣: ١٢١، الأحاديث المختارة ٢: ١٠٨، ١٠٩ قال في الموضعين: (إسناده حسن).

(٢) مفردات غريب القرآن: ٤٠١.

وقد فُسّر هذا الحديث النبوي بما رواه أهل السنّة عن عليّ عليه السلام بالأسانيد الصحيحة حيث قال: (سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام إليه ابن الكواء، فقال: ما كان ذو القرنين؟ أملك كان أم نبيّ؟ فقال: لم يكن ملكاً ولا نبيّاً، ولكنه كان عبداً صالحاً، أحبّ الله وأحبّه الله، وناصح فنصحه، ضرب على قرنه الأيمن فمات، ثمّ بعثه الله عزّ وجلّ وضرب على قرنه الأيسر فمات، وفيكم مثله)[1].

وهذه الرواية واضحة الدلالة في أنّ سبب التسمية بذي القرنين أنّه ضرب على قرنه الأيمن فمات، ثمّ بعثه الله، ثمّ ضرب على قرنه الأيسر فمات، وقوله عليه السلام (فيكم مثله) ظاهر في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كذلك، أي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يضربه ابن ملجم - عليه لعائن الله - على قرنه فيموت، ثمّ يرجع إلى الدنيا، فيُضرب على قرنه مرّة أخرى فيموت كما وقع لذي القرنين.

ومن هنا لم يخف ابن خلدون هذه الاستفادة من الحديث على الرجعة حين قال في تاريخه: ((وربّما استدل بهذا الحديث القائلون بالرجعة))[2].

فالعلّة إذن تكمن بأنّه كيف تكون هذه الفضيلة - أي: الرجوع إلى الحياة الدنيا بعد الموت مرّة أخرى - هو ممّا يختص به عليّاً عليه السلام ويحرم منه غيره من الخلفاء الّذين سبقوه، ولا يوجد لهم في هذا الشأن خبر أو ذكر، إنّ هذا ـ بحسب رأيهم ـ أمر شنيع وحدث فظيع يستحق الهجوم عليه وذمّ قائليه أبد الدهر!! وهو ما حصل بالفعل من القوم، مع أنّهم ـ في واقع الحال ـ لا حجّة لهم فيما يناهضون به في ردّ هذا القول من امتناع عقلي أو محذور شرعي، بل الأمر على العكس من ذلك

---

(١) الأحاديث المختارة ٢: ١٧٥ وقال: إسناده صحيح، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ١٤٦٨: (ثمّ دعا قومه إلى الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله فسمّي ذا القرنين)، الآحاد والمثاني ١: ١٤١... وفيه: (ثمّ ضرب على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله عزّ وجلّ وفيكم مثله)، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٥٨٣، تفسير الطبري ١٦: ١٢، معاني القرآن للنحاس ٤: ٢٨٣، فتح الباري ٦: ٢٧١ قال ابن حجر: (وسنده صحيح سمعناه في الأحاديث المختارة للحافظ الضياء).

(٢) أُنظر تاريخ ابن خلدون ١: ٣٢٦.

تماماً، فالآيات الكريمة الّتي سبق ذكرها والروايات الشريفة الصحيحة تؤكّده وتشير إليه.. وقديماً قيل: لو عرف السبب بطل العجب.

٣ـ دعوى تحريض ابن سبأ على عثمان:

أمّا هذه الدعوى وهي كون ابن سبأ هو من قال بأنّ عليّاً عليه السلام أحق من عثمان بالخلافة، وأنّه حرّض الناس على عثمان وألّب الأمصار عليه.. فهي كذب محض وجهل بوقائع الأحداث! فأوّل من نصّ على كون عليّ عليه السلام هو الخليفة الشرعي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما هو النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه لا أحد غيره، ويكفينا أن نذكر في هذا الجانب حديثين سبقت الإشارة إليهما فيما تقدّم من أبحاث:

الأوّل: الحديث الوارد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في يوم الدار والّذي رواه الطبري وأرسله ابن الأثير في تاريخه إرسال المسلّمات، ورواه أيضاً بالسند الصحيح ابن عساكر ـ واللفظ له ـ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال في أوّل الإسلام عند نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[(١)]: (أيّكم يقضي ديني ويكون خليفتي ووصيي من بعدي – إلى قوله –: فقلت – أي: عليّ –: أنا يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: أنت يا عليّ، أنت يا عليّ)[(٢)]..أي: أنت خليفتي ووصيي من بعدي.

الثاني: قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: (أنت ولي كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة)[(٣)].

وهذا الحديث صريح بإرادة ولاية الأمر الّتي تعني الخلافة، لأنّه لا يتصوّر في هذا المقام من معاني الولي هنا سوى ثلاثة معاني لا غير: المحبة، والنصرة، وولاية

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧، ٤٨، تاريخ الطبري ٢: ٦٢، الكامل في التاريخ ١: ٥٨٦.

(٣) مسند أحمد ١: ٣٣١ يرويه بسند صحيح، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٤ صححه الحاكم ووافقه الذهبي كما في تلخيص المستدرك، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٦٠، المعجم الكبير ١٢: ٧٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٠٠، ١٩٩، الإصابة ٤: ٤٦٧، البداية والنهاية ٧: ٣٨١.

الأمر...والمعنيين الأوّل والثاني لا يمكن المصير إليهما، لعدم الوجه في انحصارهما بزمان دون غيره كما تشير إليه لفظة (بعدي) في الحديث، فكانت هذه اللفظة قرينة على المنع من إرادة هذين المعنيين في الحديث، وقد نصّ ابن تيمية على هذا المطلب في (منهاج السنّة)[1]، إلا أنّه - كعادته - غالط وكابر، وقد تقدّم دفع مغالطته ومكابرته في بحث متقدّم من هذا الكتاب.

نقول: وإذا انتفت إرادة هذين المعنيين من الحديث تعيّن المعنى الثالث لا محالة، وهو ارادة ولاية الأمر، أي: أنّ علياً عليه السلام هو ولي الأمر وقائدالأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من دون منازع في هذا المقام.. وهو المطلوب.

فبحسب هذه النصوص النبوية الصحيحة الّتي رواها أهل السنّة، والّتي لا يجدون أمامها ـ بدل الإذعان ـ سوى المغالطة والمكابرة، وقد قال الحقّ سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾[2]، يكون عليّ عليه السلام هو الخليفة الشرعي المنصوص عليه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا بالنسبة للدعوى الأخرى بأنّ ابن سبأ هو ممّن حرّض الناس على عثمان وألّب الأمصار عليه، فهذا ممّا يمكن عدّه ضحكاً على الذقون، ومحاولة يائسة لتضييع الحقيقة الناصعة الّتي يسطع ضوءها، وهي تدعو الناس إلى رؤيتها كالشمس في رابعة النهار، إذ لم يؤلّب الناس على عثمان سوى أعماله وتصرّفاته، وأعمال ولاته وتصرّفاتهم، والّتي ذكرنا جانباً منها فيما تقدّم، وقد كان أوّل من ناهضه وأمال حرفه هي السيّدة عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ذكر فخر الدين الرازي في (المحصول): أنّ عثمان رضي الله عنه أخّر عن عائشة رضي الله عنها بعض أرزاقها فغضبت ثمّ قالت: يا عثمان أكلت أمانتك وضيّعت الرعية وسلّطت عليهم الأشرار من أهل بيتك، والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبحونك كما يذبح الجمل. فقال عثمان رضي الله عنه:

---

(١) منهاج السنة ٧: ٣٩١، ٣٩٢.

(٢) سورة يونس، الآية ٣٢.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾[١] (الآية). فكانت عائشة ﵂ تحرّض عليه جهدها وطاقتها وتقول: أيّها الناس هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وقد بليت سنته اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً[٢].

قال ابن الأثير في (النهاية)، وابن منظور في (لسان العرب): أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً، تشبيهاً برجل من مصر، كان طويل اللحية اسمه نعثل، وقيل: النعثل: الشيخ الأحمق، وذكر الضباع ومنه حديث عائشة: (اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً) تعني عثمان[٣].

وعن الزبيدي في (تاج العروس): ((.. وقال الليث النعثل الشيخ الأحمق..ونعثل يهودي كان بالمدينة قيل به شبه عثمان رضي الله تعالى عنه كما في التبصير..وفي حديث عائشة: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً))[٤].

وقد أخرج الطبري في تاريخه من طريقين -واللفظ له-، وابن الأثير في (الكامل في التاريخ)، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)، وسبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص): أنّ عائشة ﵂ لمّا انتهت إلى سرف[٥] راجعة في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمّه، فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان﵁ فمكثوا ثمانيا. قالت: ثمّ صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب. فقالت: والله ليت أنّ هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردّوني ردّوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأ طلبنّ بدمه. فقال لها

---

(١) سورة التحريم، الآية ١٠.

(٢) المحصول في علم أصول الفقه ٤: ٣٤٢. يذكره في مطاعن الصحابة، ثم يحاول ردّه.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥: ٧٩، لسان العرب ١١: ٦٧٠.

(٤) تاج العروس ٨: ١٤١.

(٥) سرف بالفتح ثمّ الكسر: موضع على ستة أميال من مكة.

ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إنّ أوّل من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[١].

قالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأوّل. فقال لها ابن أم كلاب[٢]:

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا: إنّه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله وقاتله عندنا من أمر[٣]

وقال ابن عبد البر في (الاستيعاب): ((إنّ الأحنف بن قيس كان عاقلاً حليماً ذا دين وذكاء وفصاحة ودهاء، لما قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس فأبى أن يأتيها، ثمّ أرسلت إليه فأتاها فقالت: ويحك يا أحنف! بم تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان؟ أمن قلة عدد؟ أو أنّك لا تطاع في العشيرة؟ قال: يا أُمّ المؤمنين! ما كبرت السن ولا طال العهد وإنّ عهدي بك عام أوّل تقولين فيه وتنالين منه. قالت: ويحك يا أحنف! إنّهم ما صوه موص الإناء ثمّ قتلوه. قال: يا أم المؤمنين! إنّي آخذ بآمرك وأنت راضية، وأدعه وأنت ساخطة))[٤].

وفي (السيرة الحلبية) لبرهان الدين الحلبي الشافعي: ممّا كتبه عليّ عليه السلام إلى عائشة قبل حرب الجمل: ((أمّا بعد، فإنّك قد خرجت من بيتك تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين المسلمين وطلبت بزعمك دم عثمان وأنت بالأمس تؤلّبين عليه فتقولين في ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: اقتلوا نعثلاً فقد كفر قتله الله، واليوم تطلبين بثأره

(١) وفي لفظ ابن قتيبة: فجر.

(٢) وفي لفظ ابن قتيبة: (عذر والله ضعيف يا أم المؤمنين)، ثمّ ذكر الأبيات.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٧، الكامل في التاريخ ٣: ١٠٠، الإمامة والسياسة ١: ٧١، ٧٢، تذكرة الخواص: ١٠٢.

(٤) الاستيعاب ٢: ٧١٦.

فاتقي الله وارجعي إلى بيتك واسبلي عليك سترك قبل أن يفضحك الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم))، ثمّ ذكر الحلبي كتاباً آخر بعثه عليّ عليه السلام إلى طلحة والزبير، وقال بعدها: ((فلمّا قرأوا — أي: عائشة وطلحة والزبير - الكتابين عرفوا أنّه على الحقّ))[1].

هذا، ويوجد غير هذا شواهد من ألفاظ ومواقف لعائشة في حق عثمان، وأيضاً أقوال قيلت في حقّها من قبل بعض الصحابة المعاصرين لموقفها المتقدّم من عثمان، وبعضها قد قيل لها مباشرة كالذي تقدّم ذكره عن أمير المؤمنين عليه السلام والأحنف بن قيس وابن أم كلاب.. والمتتبع لمجموع هذه المواقف والألفاظ لا يستبعد استفادة التواتر المعنوي في مناهضة عائشة لعثمان، وأنّ هذا الأمر ثابت عنها، ولا ريب فيه.

فانظر مثلاً إلى قولها لابن عباس، وتحريفها على عثمان، حيث قالت: يا بن عباس إنَّ الله قد أعطاك لساناً وعلماً، فانشدك الله أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكّك فيه، تعني عثمان[2].

وفي لفظ البلاذري: أن تردّ الناس عن هذا الطاغية[3].

وقولها لمروان: والله لوددت أنَّ صاحبك الّذي جئت من عنده ـ تعني عثمان ـ في غرارتي هذه فأوكيت عليها فألقيتها في البحر[4].

ومن أقوال الصحابة والتابعين لها، قول عمار بن ياسر لها: أنتِ بالأمس تحرّضين عليه، ثمّ أنت اليوم تبكينه[5].

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٥٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٣٥.

(٣) أنساب الأشراف ٥: ٧٥.

(٤) تاريخ المدينة ٤: ١١٧٢، شواهد التنزيل ٢: ٢٧٢، أنساب الأشراف ٥: ٧٥.

(٥) أنساب الأشراف ٥: ٧٥.

وقول أم سلمة: والله لقد كنتِ من أشدّ الناس عليه، وما كنتِ تسمّيه إلا نعثلاً، فما لك ودم عثمان؟![١]

وقول المغيرة عندما أخبرته بأنَّ السهام قد وصلت إلى جلدها في يوم الجمل: وددت والله أنَّ بعضها قتلك، فقالت: يرحمك الله ولم تقول هذا؟ قال: لعلها تكون كفارة في سعيك على عثمان[٢].

وكذلك قول مالك الأشتر لها: كتبتن إلينا حتّى إذا ما قامت الحرب على ساق أنشأتن تنهينا[٣].

وأيضاً قول سعد بن أبي وقاص، عندما سؤل عمّن قتل عثمان، فقال: قتله سيف سلّته عائشة[٤].

وأيضاً قول عبد الله بن أذينة: إنَّ دم عثمان ثلاثة أثلاث ثلث على صاحبة الخدر، يعني عائشة[٥].

وقول أبي مسلم الخولاني لأهل الشام عندما سمعهم ينالون من عائشة في شأن عثمان: يا أهل الشام، أضرب لكم مثلكم ومثل أمكم هذه، مثلكم ومثلها كمثل العين في الرأس تؤذي صاحبها ولا يستطيع أن يعاقبها إلا بالّذي هو خير لها[٦].

وأيضاً قول سعيد بن العاص معرِّضاً بها يوم الجمل ومحرِّضاً للأمويين:

أين تذهبون! وثأركم على أعجاز الأبل؟![٧].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ٢: ٤٤٥، المعيار والموازنة ٢٧، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٦: ٢١٧.

(٢) أنساب الأشراف ٦: ٢٠١، العقد الفريد ٣: ٣٠٣.

(٣) أنساب الأشراف ٦: ٢٢٥.

(٤) تاريخ المدينة ٤: ١١٧٤، الإمامة والسياسة ١: ٤٨.

(٥) تاريخ المدينة ٤: ١١٧٤.

(٦) المصدر السابق.

(٧) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٢.

وقد ورد عن عائشة نفسها قولها: ليتني كنت نسياً منسياً قبل أمر عثمان[١].

فهذه الوثائق الّتي ذكرها أصحاب الحديث والسير في مصنفاتهم تؤكّد كلّها على حقيقة لا مهرب منها، وهي أنَّ عائشة أوّل من حرّض على عثمان وألّب الناس عليه.

ودعوى أنَّ عائشة قالت في حق عثمان: ((لعن الله من لعنه))[٢]، أو أنّها قالت ((والّذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت سوداء في بيضاء))[٣].. نقول: إنَّ هذين القولين لم تصح نسبتهما إليها بسند صحيح يمكن الاحتجاج به، فالقول الأوّل وهو: ((لعن الله من لعنه)) ورد عند أحمد والطبراني في الأوسط بسند فيه أم كلثوم بنت ثمامة، علّق عليه الهيثمي بقوله: وأم كلثوم لم أعرفها وبقية رجال الطبراني ثقات[٤].

وهذه الرواية يجزم بكذبها، لأنّه ورد فيها ـ بحسب رواية أحمد ـ عن عمر بن إبراهيم اليشكري أنّه قال: سمعت أمي تحدّث أنّ أمّها انطلقت إلى البيت حاجّة والبيت يومئذٍ له بابان قالت: فلمّا قضيت طوافي دخلت على عائشة قالت: قلت: يا أم المؤمنين أنّ بعض بنيك بعث يقرئك السلام وأنَّ الناس قد أكثروا في عثمان فما تقولين فيه، قالت: لعن الله من لعنه (الرواية).

فالملاحظ على هذا النص أنَّ عائشة قد قالت هذا الكلام في أيام عبد الله بن الزبير، لأنّه هو الّذي جعل للبيت بابان عندما سيطر على الكعبة المشرّفة بعد السنة الثالثة والستين للهجرة[٥]. ومن المعلوم أنَّ السيدة عائشة قد توفيت في السنة الثامنة

---

(١) أنساب الأشراف ٦: ٢٢٥.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٥٠، المعجم الأوسط ٤: ١١٧.

(٣) البداية والنهاية ٢: ٢١٨.

(٤) مجمع الزوائد ٩: ٨٦

(٥) أنظر: البداية والنهاية ٢: ٣٧٢.

والخمسين للهجرة عند الأكثر، أو في السنة السابعة والخمسين كما عند هشام بن عروة[(١)].

أي: أنّها لم تدرك أيام ابن الزبير وسيطرته على مكة وهدمه للكعبة وجعل بابين لها كما كانت على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام بحسب ما ينقله المؤرّخون عن رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذكر هذه الحادثة.

فهذه الرواية لا تصح، بل هي رواية باطلة ومكذوبة عليها، وهي تفضح نفسها بنفسها!

وأمّا القول الآخر وهو: ((والّذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت سوداء في بيضاء))، فهو ـ وإن شهد ابن كثير بضحته في (البداية والنهاية)[(٢)] ـ قد ورد بسند ضعيف، هذا رجاله: قال أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق، قال: قالت عائشة حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثمّ قتلتموه، وفي رواية: ثمّ قربتموه ثمّ ذبحتموه كما يذبح الكبش؟ فقال لها مسروق: هذا عملك، أنتِ كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه، فقالت: لا والّذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتّى جلست مجلسي هذا، فقال الأعمش: فكانوا يرون أنّه كتب على لسانها[(٣)].

فالملاحظ على هذا الحديث أنّ في سنده مدلِسين اثنين – بحسب علم الجرح والتعديل عند أهل السنة –، هما: أبو معاوية الضرير، والأعمش.

---

(١) أُنظر: الإصابة ٧: ١٩٠.

(٢) البداية والنهاية ٧: ٢١٨.

(٣) المصدر السابق.

فأمّا أبو معاوية الضرير فقد ذكر ابن حجر في التهذيب عن يعقوب بن شيبة بأنّه ربما كان يدلّس، ونقل عن ابن سعد قوله بأنه كان يدلّس[١]. وكذا عن أحمد بن أبي طاهر قوله فيه بأنّه كان يدلّس[٢].

وقد صرّح أبو معاوية بنفسه - كما في التهذيب - بأنَّ كلّ حديث قلت فيه: حدّثنا، فهو ما حفظته من فَي المحدّث. وكلّ حديث قلت وذكر فلان فهو ممّا قُرئ من كتاب..[٣].

وفي هذا الحديث لم يصرّح أبو معاوية بقوله: حدّثنا، أو: ذكر فلان، وإنّما عنعن عن غيره، والمدلّس إذا عنعن فروايته لا تقبل ولا حجيّة لها كما سيأتي بيانه.

وأمّا الأعمش، فقد قال الذهبي عنه: ما نقموا عليه إلا التدليس[٤].

وقال الجوزجاني: قال وهب بن زمعة المروزي: سمعت ابن المبارك يقول: إنّما أفسد حديث أهل الكوفة أبو إسحاق، والأعمش.. وقال علي بن سعيد النسوي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: منصور أثبت أهل الكوفة، ففي حديث الأعمش اضطراب كثير.

قال أبو داود: روايته عن أنس ضعيفة. وقال الذهبي في تعليقه على كلام أبي داود هذا: قلت: وهو يدلّس، وربما دلّس عن ضعيف ولا يدري به، فمتى قال: حدّثنا، فلا كلام. ومتى قال: عن، تطرق إلى احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم، كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإنَّ روايته على هذا الصنف محمولة على الاتصال[٥].

---

(١) تهذيب التهذيب ٩: ١٢٠.
(٢) التبين لأسماء المدلّسين: ٥٠.
(٣) تهذيب التهذيب ٩: ١٢١.
(٤) ميزان الاعتدال ٢: ٢٢٤.
(٥) المصدر السابق.

وعن ابن حجر في (تقريب التهذيب)[١] و(طبقات المدلّسين)[٢] بأنّه كان يدلّس.

وقد ذكر جمهور أهل التحقيق من أئمة الحديث عند أهل السنة أنّ المدلّس لو عنعن فإنّه لا يقبل منه، وروايته ساقطة عن الحجية، هذا هو صريح الحاكم والطيبي وابن كثير والنووي والعراقي والسخاوي والسيوطي وابن الصلاح وغيرهم[٣].

وأضف إلى ذلك أنّ المقطع المتقدّم وردت فيه شهادة مسروق على عائشة بأنّها كتبت إلى الناس بالخروج على عثمان، فإذا اتُهم مسروق بالكذب هنا فقد سقط الحديث برمّته، لأنَّ مسروق هو أوّل رواته!!

وأيضاً يمكن القول بأنّ الحديث المتقدّم لم ينفِ كتابة عائشة إلى الناس بالخروج على عثمان، وإنّما كانت تلك الكتابة ـ بحسب ما يرونها ـ على لسانها، لا في سواد على بياض.. فتدبّر.

وبالإضافة إلى هذا الدور المشار اليه في التحريض على عثمان توجد هناك وثائق أخرى تؤكّد دوراً آخر بارزاً لطلحة والزبير في التحريض على عثمان والتأليب عليه.

منها ما ذكره البلاذري في الأنساب في حديث: «أنَّ طلحة قال لعثمان: إنّك أحدثت أحداثاً لم يكن الناس يعهدونها، فقال عثمان: ما أحدثت أحداثاً ولكنكم أظنّاء تفسدون عليّ الناس وتؤلّبوهم»[٤]، وفي مورد آخر قال البلاذري: «كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر، ومنع طلحة على عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل عليّ إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة: أن دع هذا الرجل

---

(١) تقريب التهذيب ١: ٣٩٢.

(٢) طبقات المدلّسين: ٣٣.

(٣) أُنظر : معرفة علوم الحديث ١: ٣٤، المجموع ٤: ٥٤٦، فتح المغيث ١: ١٦٤، تدريب الراوي ١: ٢١٦، مقدّمة أبي الصلاح: ١١٣.

(٤) أنساب الأشراف ٥: ١٥٦.

فليشرب من مائه ومن بئره يعني بئر رومة، ولا تقتلوه من العطش، فأبى. فقال عليّ: لولا أنّي قد آليت يوم ذي خشب أنّه إن لم يعطني لا أرد عنه أحداً لأدخلت عليه الماء))[١].

وفي (الإمامة والسياسة): ((أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يحرّض الفريقين جميعاً على عثمان، ثمّ إنّ طلحة قال لهم: إنّ عثمان لا يبالي ما حضرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه))[٢].

وجاء في (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر: أنّ مروان بن الحكم رمى بطلحة يوم الجمل وهو واقف إلى جنب عائشة بسهم فأصاب ساقه ثمّ قال: والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك أبداً. فقال طلحة لمولى له: أبغني مكاناً لا أقدر عليه. قال: هذا والله سهم أرسله الله[٣].

وعن الطبراني في المعجم الكبير عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في عين ركبته فما زال يسبح إلى أن مات[٤].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ((لا يختلف العلماء الثقات في أنّ مروان قتل طلحة يومئذٍ وكان في حزبه))[٥].

وقد أخرج ابن عبد البر من طريق ابن أبي سبرة قال: نظر مروان إلى طلحة يوم الجمل، فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم. فرماه بسهم فقتله.

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٢١١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٥٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٥: ١١٣.

(٤) المعجم الكبير ١: ١١٣، مجمع الزوائد ٩: ١٥٠ قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٥) الاستيعاب ٢: ٧٦٦، تهذيب التهذيب ٥: ١٩.

وأخرج من طريق ابن سعيد عن عمه أنّه قال: رمى مروان طلحة بسهم ثمّ التفت إلى أبان بن عثمان قال: قد كفيناك بعض قتلة أبيك[1].

والسؤال الّذي يطرح نفسه هنا بعد كلّ الّذي تقدّم من تحريض كبار الصحابة على عثمان، بل هناك جملة من الأسئلة تطرح نفسها بقوّة في المقام، وهي: أين موقع ابن سبأ من هذه الأحداث؟!! ثمّ ما هي قيمة دوره في التحريض إن وجد أمام دور عائشة وطلحة والزبير؟! ثمّ لِمَ لمْ يتعقّبه الطالبون بالثأر لدم عثمان ويقتلوه؟!

هذه الأسئلة وغيرها نعتقد أنّ الاجابة عليها أصبحت واضحة بعد الاطّلاع على البحوث المتقدّمة في اختلاقات سيف للأحداث والأشخاص، بل نقول ولغرض توضيح بعض الأمور الّتي قد تكون ما زالت مبهمة لدى القارئ الكريم في موضوع عثمان: إنّ المتابع للأحداث في هذه الفترة يجد أنّ أغلب الصحابة هم ممّن حرّض على عثمان فعلاً، وأنّ بعضهم ممن شارك في قتله بالفعل، وأنّ أسمائهم معلومة ومذكورة في كتب التاريخ.. وإليك بعض النصوص الدالة على ذلك:

روى الطبري في تاريخه: ((عن عبد الرحمن بن يسار أنّه قال: لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبيّ ﷺ إلى من بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرقوا في الثغور: إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله ﷻ تطلبون دين محمّد ﷺ، فإنّ دين محمّد قد أفسد من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد ﷺ، فأقبلوا من كُلّ اُفق حتّى قتلوه))[2].

وهذا نص صريح فيما تقدّمت الإشارة إليه.

وروى الطبري أيضاً، قائلاً: ((كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض: أن أقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد، وكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وأصحاب رسول الله ﷺ يرون ويسمعون ليس فيهم أحد ينهى

---

(١) الاستيعاب ٢: ٧٦٨، سير أعلام النبلاء ١: ٣٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٠٠.

ولا يذب إلا نفير زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، فاجتمع الناس وكلّموا عليّ بن أبي طالب فدخل على عثمان فقال: الناس من ورائي وقد كلّموني فيك.. فالله الله في نفسك، فإنّك والله ما تبصر من عمى، وإنّ الطريق لواضح بيّن، وإنّ أعلام الدين لقائمة، تعلم يا عثمان أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدي))[١].

وجاء في تاريخ ابن عساكر، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ((قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر معاوية بقدومه، فأرسل إليه فأتاه وهو شيخ كبير فلمّا دخل عليه قال له معاوية: أنت أبو الطفيل عامر ابن واثلة؟ قال: نعم. قال معاوية: أكنت ممّن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: ولِمَ؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار))[٢]. (انتهى)

وقال ابن سعد في الطبقات: ((أشرف عثمان على الّذين حاصروه فقال: يا قوم لا تقتلوني فإنّي والٍ وأخ مسلم.. فلمّا أبوا قال: اللّهمّ احصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً. قال مجاهد: فقتل الله منهم من قتل في الفتنة، وبعث يزيد إلى أهل المدينة عشرون ألفاً، فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاءوا لمداهنتهم))[٣].

والظاهر من هذا النص أنّ يزيداً لم يبعث بجيشه إلى المدينة إلا لينتقم من أهلها لمداهنتم في قتل عثمان وعدم نصرته، ومن المعلوم أنّ المدينة لم يكن فيها سوى الصحابة والتابعين لا غير!! وفي هذا روى ابن كثير في تاريخه عن الزهري عندما سُئل عن عدد القتلى في يوم الحرّة أنّه قال: ((سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي، وممّن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٧٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٦: ١١٦، تاريخ الخلفاء: ٢٢٧، الإمامة والسياسة ١: ١٦٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٦٧.

آلاف))[١]، وقال السيوطي في تاريخه: ((إنّ وقعة الحرّة ذكرها الحسن مرّة فقال: والله ما كاد ينجو منهم أحد، قتل فيها خلق من الصحابة ﷺ ومن غيرهم، ونهبت المدينة، وافتُضّ فيها ألف عذراء))[٢].

وعن ابن سعد في الطبقات، قال: ((كان المصريون الّذين حاصروا عثمان ستمائة، رأسهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر بن عتاب، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والّذين قدموا من الكوفة مئتين رأسهم مالك الأشتر، والّذين قدموا من البصرة مائة رجل رأسهم حكيم بن جبلة العبدي.. وكان أصحاب النبي ﷺ الّذين خذلوه كرهوا الفتنة))[٣].

وأيضاً إليك هذا النص في تكفير عثمان للصحابة والدعوة إلى مقاتلتهم، وأنَّ معاوية كره أن يخالف أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم على مخالفة عثمان.

روى الطبري في تاريخه: ((كتب عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم: أمّا بعد، فإنّ أهل المدينة قد كفروا، وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة، فابعث إليَّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كُلّ صعب وذلول، فلمّا جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم))[٤].

فهذا النص يظهر بوضوح بأنّ الصحابة في المدينة هم الّذين قاموا ضدّ عثمان ابن عفان، وهم الذين أرادوا تنحيته عن الخلافة، وأنّ عثمان قد حكم بكفرهم، وهو يطلب النجدة من معاوية لقتالهم ـ باعتبار أنّهم كفرة في نظره ـ.

---

(١) البداية والنهاية ٨: ٢٤٢.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٧١.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٤٠٢.

ويستفاد أيضاً أنّ معاوية لم يتحرك لطلب عثمان، وأنّه تأخّر في استجابة طلبه، وقد علّل ذلك بكراهة مخالفة أصحاب النبيّ ﷺ بعد علمه باجتماعهم على مناهضة عثمان وخلعه.

وأضف إلى كلّ هذا، أنّ المؤرّخين قد ذكروا أسماء الصحابة الذين باشروا قتل عثمان، كعبد الرحمن بن عديس البلوي[١]، وعمرو بن الحمق الخزاعي[٢]، ومحمّد بن أبي بكر[٣].. وآخرون غيرهم.

بل إنّنا نجد أنّ من الصحابة ممّن لم يكتف في التحريض على عثمان وقتله، بل منع حتّى دفنه في مقابر المسلمين، وفي ذلك يروي الطبري في تاريخه: ((لبث عثمان بعدما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه، ثمّ حمله أربعة.. فلمّا وضع ليصلى عليه جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه فيهم أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي وأبو حية المازني في عدّة ومنعوهم أن يدفن بالبقيع، فقال أبو جهم: ادفنوه... فقالوا: لا

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة ٤: ٢٨١: ((عبد الرحمن بن عديس.. قال ابن سعد: صحب النبيّ ﷺ وسمع منه وشهد فتح مصر وكان فيمن سار إلى عثمان، وقال ابن البرقي والبغوي وغيرهما كان ممّن بايع تحت الشجرة)) (انتهى).

(٢) قال ابن سعد في الطبقات ٦: ٢٥: ((عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو.. من خزاعة صحب النبيّ ﷺ ونزل الكوفة وشهد مع عليّ رضي الله تعالى عنه مشاهده وكان فيمن سار إلى عثمان وأعان على قتله)) (انتهى).

وقال الزركلي في الأعلام ٥: ٧٦: ((عمرو بن الحمق بن كاهل الخزاعي الكعبي: صحابي من قتلة عثمان)).

(٣) أُنظر: الطبقات الكبرى ٢: ٧٣، تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٣٩: ٤٠٩، تاريخ الإسلام ٣: ٤٥٤، الإصابة ٦: ١٩٣.

والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً، فدفنوه في حش كوكب[١]، فلمّا ملكت بنو أُمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع فهو اليوم مقبرة بني أُمية))[٢].

وفي رواية أخرى للطبري: ((نبذ عثمان ﷺ ثلاثة أيام (إلى أن يقول) وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون حائطاً بالمدينة يقال له حش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلمّا خرج على الناس رجموا سريره وهمّوا بطرحه..))[٣]. (انتهى)

والخلاصة ممّا تقدّم: أنّنا لا نرى لابن سبأ أيّ اسم أو أثر في هذه الأحداث المار ذكرها، فهو لم يكن المحرّض -بحسب النصوص المتقدّمة- على قتل عثمان، وأيضاً لم يكن من المشاركين في قتله، وكذلك لم يكن من الممانعين في دفنه في مقابر المسلمين، وإنّما كان كلّ ذلك فعل جماعة من الصحابة يشهد أهل السنّة عليهم -بحسب نظريتهم في عدالة الصحابة- بأنّهم سيدخلون الجنّة: ((أجمعين أكتعين أبصعين)).

ولكن مع كلّ هذا، يبقى السؤال المحيّر في هذه المسألة، وهو: كيف ظهر ابن سبأ؟! وماهو الدافع لاختلاقه وزجّه في هذه الأحداث؟!

أو بعبارة ثانية: كيف أدار مؤرّخو البلاط معركتهم في تمويه الحقائق من خلال ابن سبأ هذا لصالح النظرية الأموية ونعني بها: نظرية عدالة الصحابة؟!

---

(١) وهو موضع بستان بظاهر المدينة خارج البقيع، كان موضعاً لقضاء الحاجة، وأصل التسمية من الحش أي البستان، لأنّهم كانوا كثيراً ما يتغوطون في البساتين.. وقيل هو موضع كانت اليهود تدفن فيه موتاهم كما في الرواية التالية للطبري.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٤٠، أُسد الغابة ١: ٧٥، الاستيعاب ٣: ١٠٤٨.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٣٨.

حقيقة ابن سبأ

وقت الاحتياج إلى ابن سبأ

إنّ كلّ هذه الطامات الّتي عرفتها أيّها القارئ الكريم فيما تقدّم ذكره: من تكفير عائشة لعثمان، وتكفير عثمان لعائشة، بل وتكفيره للصحابة - بحسب رواية الطبري المتقدّمة -، ثمّ تحريض عائشة وطلحة والزبير على عثمان، بل وتحريض أغلب الصحابة عليه، ثمّ دعوة الصحابة إلى قتله وخلعه عن الخلافة، وأيضاً مشاركة بعض الصحابة في قتله.. كلّ هذا دعى البعض إلى إيجاد مخرج من هذا المأزق الّذي يتنافى مع النظرية المبتدعة (عدالة الصحابة)، ويتنافى مع روايات التبشير بالجنّة، فالصحابة هنا ـ في قضية عثمان ـ يكفّر بعضهم بعضاً، ويدعون إلى قتل بعضهم بعضاً، ومن هنا برزت الحاجة الفعلية ـ عند القوم ـ إلى شخص تُلقى عليه تبعة هذه الأمور كلّها، ليتم تمرير النظرية أو (الصفقة على الأصح) الّتي اختلقها الحزب الأموي وأتباعه أمام خط أهل البيت عليهم السلام، ونعني بها نظرية عدالة الصحابة[1]، ليظهر الموضوع

---

(١) هذه النظرية، أي: نظرية (عدالة الصحابة) يصح تسميتها بالصفقة، لأنّها في واقع أمرها كذلك، ذكر شيخ المعتزلة أبو جعفر الإسكافي ـ فيما نقله عنه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ٤: ٦٣ ـ: ((أنّ معاوية حمل قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه)).. وفي السياق ذاته يذكر ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ١١: ٤٥: ((كتب معاوية إلى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقر لعيني وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله..فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها)) (انتهى).. نقول: والشاهد على ما فعله معاوية هنا ما ذكره ابن حجر في (فتح الباري) ٧: ٨١ بقوله: ((أخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي ما تقول في عليّ ومعاوية فأطرق ثمّ قال: اعلم أنّ عليّاً كان كثير الأعداء ففتش

أمام الرأي العام بأنّ الصحابة كانوا متآلفين كالأحباب، وأنّه لم يكدّر صفو عيشهم وتمام مودّتهم سوى ظهور شخص (غريب)، (يهودي)، (حديث العهد بالإسلام) يدعو لعليّ عليه السلام فقاد هؤلاء (العمالقة) (والأصحاب الّذين يؤخذ عنهم أمر الدين والدنيا) إلى ما قادهم إليه (وكأنّهم أطفال)!!، والنتيجة: أنّ الذنب ليس ذنبهم، وأنّ الصحابة كلّهم، القاتل والمقتول، سيدخلون الجنّة (أجمعين أكتعين أبصعين)!!

إلا أنّ الحقيقة تقول: إنّ ابن سبأ، الصانع للفتن، المحرّض للأصحاب، الداعي بالوصية لعليّ عليه السلام، الواضع للرجعة، يدور أمره بين أمرين لا ثالث لهما: إمّا أن يكون موضوعاً مختلقاً من أساسه ـ وهذا ما ذهب إليه البعض ـ، أو هو اسم رمزي لعمّار بن ياسر أضيفت إليه بعض الاختلاقات لغرض التمويه لا غير، إذ كلّ ما ورد بشأنه إنّما ورد بسند مشبوه متهالك، ومتن مضطرب متناقض!! ولا توجد رواية واحدة صحيحة السند (للمدّعين) – عند أهل السنّة على الأقل – تثبت شيئاً يمكّن لـ(عجزة التاريخ) أو (المقعدين) الاحتجاج به لإثبات صحة ما يدّعونه من هذه الأمور ونسبتها بشكل حقيقي إلى شخص بهذا الاسم له وجود حقيقي ظاهر!!

نعم، قد يذكر المتحذلقون، وأصحاب الاحتجاج بلا حجاج هذا الدفع أمام الكلام المتقدّم.

فيقولون: لقد وردت روايات تناولت أخبار عبد الله بن سبأ من طريق آخر ليس فيه سيف بن عمر التميمي[1]، فها هو ابن عساكر يروي بسنده عن عمّار الدهني قال: «سمعت أبا الطفيل يقول رأيت المسيب بن نجبة أتى به مُلبّبة – يعني ابن السوداء – وعليّ على المنبر. فقال عليّ: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله وعلى رسوله»[2].

أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل حاربه فأطروه كيداً منهم لعليّ، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له)). (انتهى)

(١) ورد هذا الدفع في كتاب عليّ عبد الرحمن السلمان (عبد الله بن سبأ وإمامة عليّ بن أبي طالب): ٣٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ٧.

وروى أيضاً من طريق شعبة عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب: ((قال عليّ بن أبي طالب: (ما لي ولهذا الحميت[1] الأسود)، يعني عبد الله بن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر))[2].

نقول: أمّا الرواية الأُولى، إن غضضنا النظر عن سندها فهي لا دلالة فيها على أنّ ابن السوداء المذكور فيها هو عبد الله بن سبأ، فإنّ هذا اللفظ (ابن السوداء) كان يعيّر به من كانت أمّه سوداء، ولعلّه عبد الله بن وهب الراسبي، الّذي كان من رؤوس الخوارج من الّذين خرجوا على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فإنّه كان يعيّر بهذا اللفظ أيضاً[3]، وصفاتهم معروفة، والخلاف بينهم وبين أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه معلوم مشهور، مع ملاحظة أنّ الراوي المشاهد للحدث وهو الصحابي أبو الطفيل، والفاعل له، أي: الآخذ بتلابيب ابن السوداء، وهو المسيّب بن نجبة، كلاهما من المعروفين بتشيّعهم وولائهم لعليّ عليه السلام[4].

فالدلالة قاصرة على أنّ المراد بابن السوداء هنا هو عبد الله بن سبأ، ولو سلّم فالسند ضعيف لجهالة بعض رواته[5]!

(١) الحميت: الزق، المشعر الّذي يجعل فيه السمن، ووقع في مختصر ابن منظور ١٢: ٢٢٢: الخبيث.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ٧.

(٣) أُنظر: بحار الأنوار ٣٢: ٣٥٤.

(٤) ذكر ابن حجر في مقدّمة (فتح الباري): ٤١٠: ((قال ابن عدي: لأبي الطفيل صحبة وكان الخوارج يرمونه باتصاله بعليّ وقوله بفضله وفضل أهل بيته وليس بحديثه بأس..وقال صالح ابن أحمد بن حنبل عن أبيه: مكي ثقة، وكذا قال ابن سعد وزاد: كان متشيّعاً)) (انتهى)...أمّا المسيب بن نجبة فهو ممّن شهد مشاهد أمير المؤمنين عليه السلام كلّها، وخرج مع سليمان بن صرد الخزاعي سنة ٦٥هـ للطلب بثأر الحسين عليه السلام فاستشهد هناك. أُنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى ٦: ٢١٦، وتهذيب الكمال ٢٧: ٥٩٠.

(٥) أُنظر: الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٥٩، ٣٦٢.

ولا ينفع في المقام أيضاً استعانة صاحب الدفع المتقدّم في تأييد استفادته من هذا الحديث بحديث مجالد عن الشعبي الّذي قال: «أوّل من كذب عبد الله بن سبأ»[١]، لأسباب متعددة:

أوّلها: أنّ ابن سبأ لو سلّم وجوده فهو ليس أوّل كاذب في الإسلام، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (لقد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذّب عليّ فليتبوأ مقعده من النار)[٢]. وقد ذكر ابن الجوزي في سياق ذكره لرواة هذا الحديث وما جاء بمضمونه بسنده عن عبد الرحمن بن رافع عن أبيه قال: كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله فجاءه رجل فقال: إنّ الناس يتحدثون عنك بكذا، قال: (ما أقول إلا ما ينزل من السماء، ويحكم لا تكذبوا عليّ، فإنّه ليس كذب عليّ ككذب على أحد)[٣].

وأيضاً، ذكر النظام: أنّه أكذب أبا هريرة كلّ من عمر وعثمان وعليّ وعائشة[٤]. وقال مصطفى صادق الرافعي: «كان عمر وعثمان وعليّ وعائشة ينكرون على أبي هريرة ويتهمونه وهو أوّل راوية اتّهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه»[٥].

وهذا – كما ترى – خلاف دعوى الشعبي بأنّ أوّل من كذب هو عبد الله بن سبأ، لتأخّر إسلام ابن سبأ إلى عهد عثمان حسب روايات الطبري وغيره.

والثاني - في وهن الأخذ بكلام الشعبي -: أنّ الكلام المتقدّم لا يعدو أن يكون رأياً للشعبي وهو غير حجّة، فلا يلزم الغير.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ١.

(٢) أُنظر: أضواء على السنّة المحمّدية لأبي ريّة: ٣٢٠ حيث عدّ هذا الحديث من أوثق الأحاديث.

(٣) الموضوعات ١: ٧٧.

(٤) فيما نقله عنه ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث): ٤١.

(٥) آداب العرب ١: ٢٨٢ مبحث الرواية في الإسلام.

والثالث: هذا الأثر، الوارد عن الشعبي، ضعيف السند، لجهالة بعض رواته، وورود القدح في البعض الآخر[١].

ملاحظة يجدر التنبيه عليها!

ذكر البلاذري في (أنساب الأشراف): «أنّ عبد الله بن وهب الراسبي هو ابن سبأ، وذكر أيضاً: «وأمّا حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثمّ العرني وعبد الله بن وهب الهمداني وهو ابن سبأ، فإنّهم أتوا عليّاً فسألوه عن أبي بكر وعمر»[٢].

وهذه الدعوى ـ أي: أنّ عبد الله بن وهب هو ابن سبأ ـ ينبغي الوقوف عندها، وتبيان الحقيقة فيها. إذ إنَّ ابن سبأ المزعوم بأنّه صاحب الوصية لعليّ عليه السلام وواضع الرجعة يختلف تمام الاختلاف في منشأه وعقيدته عن عبد الله بن وهب الراسبي، أحد رؤوساء الخوارج...

نعم، توجد هناك أوجه للتشابه بين الرجلين أوقعت بعض المؤرخين في توهم الاتحاد بينهما، إذ كلاهما اسمه (عبد الله)، وأيضاً كلاهما كان من اليمن، وكلاهما كانا مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكلاهما يسمّى ابن السوداء كما مرّ، وأيضاً هذا يطلق عليه (السبائي)[٣] وذاك (ابن سبأ)...

---

(١) أُنظر كتاب الضعفاء الصغير للبخاري: ١١٦، ضعفاء العقيلي ٤: ٢٣٤ وفيه روى عن الميموني قوله: (سمعت أحمد يقول: مجالد عن الشعبي وغيره ضعيف، وذكر والله شيئاً عن مجالد فقال: كم من أعجوبة لمجالد) (انتهى).

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٥٥.

(٣) أُنظر: تاريخ بغداد ٨: ٤٩٠.

أمّا الاختلاف الظاهر، فإنّ عبد الله بن وهب لم يذكر أحد ممّن ترجم له أنّه كان يهودياً، بل ذكروا أنّه كان صاحب نسك وعبادة حتّى أنّه كان يسمّى (ذا الثفنات)[1].

ويختلفا أيضاً أنّ عبد الله بن سبأ أسلم في زمن عثمان كما مرّ في رواية الطبري وغيره، بينما كان عبد الله بن وهب ممّن شارك في الفتوحات في خلافة عمر ابن الخطاب، قال ابن حجر في (الإصابة) في ترجمته: وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقّاص، وذكر الطبري في التاريخ أنّ سعداً أرسله مع المضارب العجلي وجماعة، وأمّر عليهم ضرار بن الخطاب بأمر عمر إلى أناس اجتمعوا من الّذين يقاتلونهم[2].

وأيضاً أنّ عبد الله بن سبأ اليهودي كان يقول: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب روايات الطبري وغيره، وحسب روايات آخرين أنّه كان يؤلهه، وأمّا عبد الله بن وهب الراسبي فكان يكفّر أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لا يسميه إلا (الجاحد)[3].. وما أبعد ما بين هذين المعتقدين!!

وعبد الله بن وهب كان من رؤوس الخوارج، وأمّا عبد الله بن سبأ فلم يكن كذلك، بل كان يؤلّب الناس على عثمان ويحرّضهم على عمّاله حسب روايات الطبري.. وعبد الله بن سبأ إمّا أحرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، وإمّا نفاه إلى المدائن وبقي فيها إلى أن بلغه مقتل أمير المؤمنين عليه السلام حسب بعض الروايات، وأمّا عبد الله ابن وهب الراسبي فقد أجمع كلّ من ذكر واقعة النهروان أنّه قتل فيها...[4]

---

(١) أنظر: الإصابة ٥: ٧٨.

(٢) المصدر السابق ٥: ٧٨.

(٣) أنظر البداية والنهاية ٧: ٣٢١ قال ابن كثير: روى الهيثم عن بعض الخوارج أنّه قال: ما كان عبد الله بن وهب من بغضه عليّاً يسمّيه إلا الجاحد.

(٤) وينبغي الملاحظة هنا بأنّنا في هذه المقارنة لم نقتصر على مرويات ذات اتجاه واحد أو مصدر واحد عن ابن سبأ، بل ذكرنا كلّ ما يمكن ذكره عن ابن سبأ في قبال (عبد الله بن وهب الراسبي) للتأكيد على أنّهما لا يلتقيان في شخص واحد في أيّ حال من الأحوال.

وأمّا الرواية الثانية الّتي ذكرها صاحب الدفع المتقدّم: عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب قال: «قال عليّ بن أبي طالب: (ما لي ولهذا الحميت الأسود) يعني عبد الله بن سبأ وكان يقع في أبي بكر وعمر»[١]، فهي من حيث الدلالة مجملة! فلعل المراد به (عبد الله بن وهب الراسبي السبائي) فإنّه أيضاً يقال له عبد الله بن سبأ كما مرّ بيانه، مع ملاحظة أنّ عبارة (يعني عبد الله بن سبأ وكان يقع في أبي بكر وعمر) ظاهرة الزيادة من الرواة.

ولو سلّم، فهي ضعيفة السند بأبي محمّد بن أبي نصر الّذي ضعّفه ابن المبارك حين سُئل عنه وعن ابن فضيل فسكت، ثمّ قال: «لا أرى أصحابنا يرضونهما»[٢].

روايات أخرى في ابن سبأ:

وتوجد روايات أخرى رواها أهل السنّة في ابن سبأ، إلا أنّها بأجمعها لا تنهض ـ لا سنداً ولا دلالة ـ فيما يبتغيه البعض منها.

أ ـ الرواية الّتي رواها أبو يعلى في مسنده، قال: «حدّثنا أبو كريب محمّد بن العلاء، حدّثنا محمّد بن الحسن الأسدي، حدّثنا هارون بن صالح الهمداني، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي الجلاس قال: سمعت عليّاً يقول لعبد الله السبائي: (ويلك، والله ما أفضى إليّ بشيء كتمه أحداً من الناس، ولقد سمعته يقول: إنّ بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً، وإنّك لأحدهم)»[٣].

وهذه الرواية ضعيفة السند بمحمّد بن الحسن الأسدي المعروف بالتل[٤]، وبالحارث بن عبد الرحمن[٥]،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ٧.

(٢) أُنظر: سير أعلام النبلاء ٩: ٣٥٦.

(٣) مسند أبي يعلى ١: ٣٤٩.

(٤) أُنظر: تهذيب التهذيب ٩: ١٠٢، تهذيب الكمال ٢٥: ٦٧.

(٥) الجرح والتعديل ٣: ٧٩.

وبأبي الجلاس الكوفي[١]. وقد أخرج هذا الحديث ابن أبي عاصم في (كتاب السنّة)، وعلّق الألباني على هذا الحديث بقوله: «إسناده ضعيف، أبو الجلاس كوفي مجهول كما في التقريب، وهارون بن صالح مجهول أيضاً، وفي التقريب: مستور»[٢].

فالنتيجة أنّ الرواية ضعيفة السند، لا يصح الاحتجاج بها.

ب ـ ما رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده عن سلمة بن كهيل عن حجية بن عدي الكندي، قال: رأيت علياً كرم الله وجهه وهو على المنبر، وهو يقول: (من يعذرني من هذا الحميت الأسود الّذي يكذب على الله ورسوله؟ - يعني ابن السوداء - لولا أن لا يزال يخرج عليَّ عصابة ينعى عليَّ دمه كما ادّعيت عليَّ دماء أهل النهر لجعلت منهم ركاماً))[٣].

وهي ضعيفة السند بأبي محمّد عبد الرحمن بن أبي الحسن الداراني، قال ابن عساكر: «لم يكن الحديث من صنعته»[٤]، ولجهالة حجية بن عدي الكندي عند أبي حاتم، قال: «شيخ لا يحتج بحديثه شبيه بالمجهول، شبيه بشريح بن النعمان الصائدي، وهبيرة بن يريم»[٥].

ج ـ ما ذكره ابن حجر في (لسان الميزان)، قال: «وقال أبو إسحاق الفزاري عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن زيد بن وهب: إنّ سويد بن غفلة دخل على عليّ في إمارته، فقال: إنّي مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنّك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله أوّل من أظهر ذلك، فقال عليّ: (ما لي ولهذا الخبيث الأسود؟) ثمّ قال: (معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل).

---

(١) تهذيب التهذيب ٢: ١٢٨.

(٢) كتاب السنّة لابن أبي عاصم، تخريج الألباني: ٤٦٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠: ٣٤٨.

(٥) تهذيب الكمال ٥: ٤٧٧.

ثمّ أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيّره إلى المدائن، وقال: (لا يساكنني في بلدة أبداً). ثمّ نهض إلى المنبر حتّى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله، وفي آخره: (ألا ولا يبلغني عن أحد يفضّلني عليهما إلا جلدته حدّ المفتري))[(١)].

ومتن هذه الرواية - كما هو واضح - ظاهر الاضطراب! إذ لو كان عبد الله بن سبأ مذنباً فيما فعله، فالمفروض معاقبته وفق العقوبة الّتي ذكرها الإمامعليه السلام بنفسه في خطبته، وإلا فما الوجه في تسييره إلى المدائن وتركه هناك، فهل لينشر بدعته وضلالاته ـ المشار إليها ـ بين أهل المدائن من المسلمين، وهي محل الاعتراض والعقوبة عند الإمامعليه السلام نفسه كما هو ظاهر الرواية؟!

وأيضاً الرواية ضعيفة السند بأبي الزعراء، وهو كما يبدو عبد الله بن هانئ الكندي أو الأزدي الكوفي، بقرينة رواية سلمة بن كهيل عنه، وقد ضعّفه البخاري وقال: ((لا يتابع في حديثه))[(٢)].

هذا وقد استدل البعض على وجود ابن سبأ، وانتساب من يسمّون بالسبئية إليه بكتاب زياد بن أبيه إلى معاوية الّذي ذكره الطبري في تاريخه، والّذي ذكر فيه السبئية، حيث جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان، أمّا بعد فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فكاد له عدوه، وكفاه مؤونة من بغى عليه، إنّ طواغيت من هذه الترابية السبئية رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم، وأمكننا منهم..))[(٣)].

---

(١) لسان الميزان ٣: ٢٩٠.

(٢) تهذيب التهذيب ٦: ٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٢.

وهذه الرواية مرسلة، ويغلب على الظن أنّها مروية عن أبي مخنف، بقرينة أنّ الروايات السابقة عليها كلّها مروية عن أبي مخنف، وهو ضعيف جدّاً[(١)]، وعليه فلا يمكن الاعتماد عليها. وأمّا من حيث الدلالة، فالرواية لا تدل على أنّ هؤلاء المذكورين أتباع عبد الله بن سبأ، إذ لعل زياد بن أبيه يريد بالسبئية المنتسبين إلى سبأ من قبائل اليمن، فإنّ جلّ المذكورين وغيرهم ممّن عرفوا بتشيّعهم لأمير المؤمنين عليه السلام تنتهي أنسابهم إلى اليمن وبالخصوص إلى سبأ، وقد ذكر زياد أنّ رأسهم هو حجر بن عدي وهو من كندة، وكندة إحدى قبائل سبأ!!

والمتحصل: أنّ كلّ هذه الروايات المتقدّمة هي ضعيفة سنداً ودلالة، وهي لم ترو من طريق الشيعة الإمامية، بل رويت من طرق غيرهم، فهي حجّة - على فرض التسليم بصحتها - على من يرى حجيّتها وليس على غيره، فهي لا تصلح للاحتجاج بها على الشيعة الإمامية، وهذا أمر واضح لمن يعرف أسس الاحتجاج على المذاهب!

قال ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل في الأهواء والملل والنحل): ((لا معنى لاحتجاجنا عليهم (يريد المخالفين لهم) برواياتنا، فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الّذي تقام عليه الحجّة به، سواء صدّقه المحتج أو لم يصدّقه، لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري، فيصير حينئذ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه))[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) أُنظر: ضعفاء العقيلي ٤: ١٨، والجرح والتعديل ٧: ١٨٢، والكامل في ضعفاء الرجال ٦: ٩٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ٧٨.

وربما قد يتجاوز البعض الأسلوب الآنف الذكر، ويسلك الطريق الصحيح في الاحتجاج على أهل المذاهب.

ويقول: إنّ عبد الله بن سبأ قد ورد ذكره في روايات الشيعة أيضاً، فهو شخص له وجود حقيقي -بحسب هذه الروايات- فما تقولون؟!

قلنا: الاحتجاج على أهل المذاهب بما ورد عندهم من أدلة وأحاديث هو عين الصواب.

إلا أنّه في نفس الوقت الّذي نؤيد فيه مثل هذا الاحتجاج، ينبغي أن يكون الاحتجاج بدليل متكامل يرتقي إلى تمام الدعوى وليس بجزء مقتضب منها، فإنّه لا يصح أن يكون الاحتجاج -مثلاً- بوجود شخص بهذا الاسم -أي: بمجرد الاسم- ذكرته الروايات، وهو له أفكار وعقائد تخالف أصل الدعوى الّتي تقول أنّ ذلك الشخص كان يقول بالوصاية لعليّ عليه السلام وأحقيّته بالخلافة من عثمان، وأنّه وضع الرجعة وأشباه ذلك، بينما الشخص المحتج به يدّعي ألوهية أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام أحرقه بالنار على رواية، أو نفاه إلى المدائن على أخرى، فشتان بين الدعويين.. مع أنّها -أي: هذه الروايات المحتج بها- روايات ضعيفة لا يتم الاحتجاج بها على أيّ حال.

ولننقل للقارئ الكريم نماذج منها:

أ- روى الكشي في رجاله بسنده عن أبي جعفر عليه السلام: «أنّ عبد الله بن سبأ كان يدّعي النبوّة، ويزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى الله عن ذلك)، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله، فأقرّ بذلك وقال: نعم، أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنّك أنت الله وأنّي نبيّ. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك

الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمّك وتب. فأبى فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب، فأحرقه بالنار، وقال: إنّ الشيطان استهواه، فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك»[(١)].

وهذه الرواية ضعيفة بمحمّد بن عثمان العبدي وبسنان والد عبد الله بن سنان، فإنّهما لم يثبت توثيقهما.

ب - روى الكشي أيضاً بسنده عن عبد الله قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّا أهل بيت صدّيقون، لا نخلو من كذّاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق الناس لهجة، وأصدق البريّة كلّها، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله، وكان الّذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه، ويفتري على الله الكذب عبد الله بن سبأ»[(٢)].

وهذه الرواية أيضاً ضعيفة السند، فإنّ في طريقها محمّد بن خالد الطيالسي، وهو لم يرد له توثيق في كتب الرجال.

وهناك روايات أخرى تحاكي المتون المتقدّمة رواها الكشي في كتابه، من ادعاء ابن سبأ الربوبية لأمير المؤمنين عليه السلام[(٣)]، وهي لا يمكن الاحتجاج بها لكونها خارجة عن محل النقاش وأصل الدعوى المتنازع عليها بأنّ ابن سبأ هو أوّل من قال بالوصاية لعليّ عليه السلام!!

وعليه فلا يوجد للمدّعي دليل واحد يمكنه الاستناد إليه في هذه المسألة سواء كان ذلك من طرق السنّة أو الشيعة!

وبقيت هناك روايتان تخالف المتون المتقدّمة!

الأولى: رواها الشيخ في التهذيب، والصدوق في الفقيه والعلل والخصال بأسانيد تنتهي إلى الحسن بن راشد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه: «أنّ

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٢٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٢٤.

(٣) أُنظر: اختيار معرفة الرجال ١: ٣٢٣، ٣٢٤.

أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء، ولينصب في الدعاء، فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس الله في كلّ مكان؟ قال: بلى. قال: فلم يرفع يديه إلى السماء؟ فقال: أو ما تقرأ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1] ؟ فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه؟ وموضع الرزق وما وعد الله السماء»[2].

إلا أنّ هذه الرواية ضعيفة السند بالحسن بن راشد، فإنّه لم يثبت توثيقه، فالرواية ساقطة فلا يحتج بها على وجود عبد الله بن سبأ فضلاً عن نسبة الدعاوى المتقدّمة إليه.

هذا مع أنّه يمكن أن يراد بعبد الله بن سبأ هنا - في هذه الرواية - عبد الله بن وهب الراسبي السبائي المتقدّم ذكره، والّذي صار فيما بعد أحد رؤوس الخوارج. وعلى أية حال فهو احتمال يبطل الاستدلال بهذه الرواية على أصل الدعاوى المتقدّمة، فإنّ ما دخله الاحتمال بطل به الاستدلال.

والثانية: رواها محمّد بن إبراهيم النعماني في كتابه (الغيبة) بسنده عن أبي جميلة المفضل بن صالح عن جابر قال: حدّثني من رأى المسيب بن نجبة قال: وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومعه رجل يقال له: ابن السوداء، فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ هذا يكذب على الله وعلى رسوله ويستشهدك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد أعرض وأطول، يقول ماذا؟ فقال: يذكر جيش الغضب، فقال: خلّ سبيل الرجل، أولئك قوم يأتون في آخر الزمان...» (الرواية)[3].

وهذه الرواية مجملة الدلالة كما ترى، فلا يعرف أنّ المراد بابن السوداء هنا هل هو عبد الله بن سبأ - المزعوم - أم غيره، لإطلاق هذا اللفظ على أكثر من شخص كما تقدّم ذكره؟ وهي أيضاً ضعيفة السند بأبي جميلة المفضل بن صالح،

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٢٢.

(٢) وسائل الشيعة ٦: ٤٨٧.

(٣) كتاب الغيبة: ٣٢٥.

الّذي قال ابن الغضائري عنه: ضعيف، كذّاب، يضع الحديث[١]، وأيضاً لجهالة الراوي الّذي يروي عنه جابر بقوله حدّثني من رأى، فالرواية ساقطة عن الاحتجاج سنداً ودلالة.

وهذه الرواية كان قد رواها الشيخ الطوسي في (أماليه)[٢] بسند آخر ومتن مقارب، إلا أنّ السند ضعيف أيضاً لجهالة بعض رواته، ولعدم ورود التوثيق في كتب الرجال عند الإمامية بحق البعض الآخر كسفيان بن عينية، فهي إذن ساقطة عن الحجية من هذه الناحية!

ما ذكره صاحب المقالات:

ولعل البعض يحتج بما ذكره سعد بن عبد الله الأشعري القمي في كتابه (المقالات والفرق) الذي قال: «السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني... وكان أوّل من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادّعى أنّ عليّاً أمره بذلك، وأنّ التقية لا تجوز ولا تحل، فأخذه عليّ فسأله عن ذلك فأقرّ به وأمر بقتله، فصاح الناس إليه من كلّ ناحية: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبّكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فسيّره عليّ إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى عليّاً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه في عليّ بمثل ذلك، وهو أوّل من شهر بالقول بفرض إمامة عليّ بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم..»[٣].

---

(١) معجم رجال الحديث ١٩: ٣٠٩.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٣٠.

(٣) المقالات والفرق: ٢٠.

نقول: الملاحظ على هذا الكلام بأنّ الأشعري لم يذكر له سنداً أو مصدراً واحداً يمكن الرجوع إليه لإثبات صحة ما يقوله هنا أو يدّعيه، وإنّما أرسل المدّعى على عواهنه وكأنّه غير مسؤول عنه. وأيضاً توجد ملاحظات على نفس المتن المذكور، إذ هو قد اشتمل على مسائل مضطربة لا يمكن قبولها.

فمثلاً قوله: «إنّ عبد الله بن سبأ هو عبد الله بن وهب الراسبي»، وهذا الأمر قد تقدّم الكلام فيه وبيّنا أنّه لا تلاقي بين الاثنين في المنشأ والعقيدة، وإنّما هو محض اشتباه وقع فيه بعض المؤرخين لوجود بعض نقاط التشابه بين الاثنين، مع أنّ عبد الله ابن وهب الراسبي كان قد قتل مع أصحابه في واقعة النهروان، بينما هنا - حسب مقالة الأشعري - أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سيّره إلى المدائن، وهو قول ظاهر البطلان!

وأيضاً ما حكاه عن بعض أهل العلم «بأنّ إسلام ابن سبأ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه أشهر القول بوصاية أمير المؤمنين عليه السلام منذ ذلك الوقت»، مخالف لما نصّ عليه كلّ من ذكر ابن سبأ من أنّه أسلم زمن عثمان، وأظهر مقالاته في ذلك الوقت. ولو كان شهر القول بالوصاية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فأين كان عنه عمر بن الخطاب؟ فإنّه نهى أبا هريرة عن أن يروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله ما هو دون هذا، فكيف لا ينهى ابن سبأ اليهودي عن الجهر بما يزعزع شرعية خلافة أبي بكر وخلافته؟!

وأيضاً قوله: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر بقتله لمّا بلغه أنّه كان يسب أبا بكر وعمر فلمّا قال الناس ما قالوه سيّره إلى المدائن...»، وهنا يرد تساؤل: إن كان سب ابن سبأ لأبي بكر وعمر يستوجب قتلاً فلا يجوز إطلاقه حتّى لو كان يدعو إلى حبّ أهل البيت عليهم السلام، فإنّ ذلك لا يسقط الحدود اللازمة، وإن كان هذا التصرّف منه لا يستوجب ذلك فلمَ يأمر الإمام عليه السلام بقتله؟ وهذا إشكال لا مفر منه! بالإضافة إلى أنّ نفي أمير المؤمنين عليه السلام ابن سبأ إلى المدائن لم يقم عليه دليل صحيح من الأخبار[1].

---

(١) أُنظر: عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والخيال للشيخ عليّ آل محسن: ٣٨، ٥٧.

ومع كلّ ما تقدّم من أدلة وبيّنات يمكن أن نقول: إنَّ أصحاب الأغراض السيئة والقلوب المريضة سوف لا ينتهون عن العزف على هذا الوتر الأشل، استئناساً منهم بالوهم، ورغبة في الاستمرار في خط الضعف والهزيمة عن مواجهة الحقائق العلمية والتأريخية كما هي، خلاف أهل التحقيق والتدقيق من طلاب الحقيقة وعشّاقها، الّذين لا غاية لهم سوى نصرة الحق بما هو حق دون نصرة الرجال ولو على حساب الحق، فقد قيل في الحكمة: اعرف الحق تعرف أهله.. فالاستمرار في العزف على هذا الوتر الأشل يكشف ـ في الواقع ـ عن إفلاس عازفيه، بل سعيهم الحثيث في التمويه على الأمّة المحمّدية وتضليلها وحرفها عن إدراك ما جرى في تاريخها.. إلا أنّ الشيء الّذي غاب عن هؤلاء إدراكه أنّ عالم اليوم هو غير عالم الأمس، إذ بإمكان المرء في هذه الأيام ـ وبفضل وسائط الاتصال الحديثة والمتطورة ـ أن يطّلع على مختلف البحوث ومن شتّى قنوات المعرفة بدقائق محدودة.. لذا ندعوهم أن يتقوا الله ويتوبوا إليه، وأن يتخذوا سبيل البحث الجاد طريقاً لهم في الوصول إلى الدين القويم، بدل التشبث بالوهم أو الظنون واتخاذها سبيلاً فيما يرومون الوصول إليه والتي لا تقودهم في النهاية سوى إلى الالتقاء بالشيطان الرجيم والسكن معه في نار جهنم!

وعلى أية حال، فقد أتمّ المولى سبحانه الحجّة على عباده، وهيّأ لهم السبل الكفيلة الّتي تعينهم على تمييز الحقّ من الباطل، ولم يبق أمام الإنسان سوى السعي الجاد والهمة الصادقة في الوصول إلى ذلك.

قال تعالى: **﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾**[1]، وقال سبحانه: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾**[2]، وقال جلّت آلاؤه:

---

(١) سورة البلد، الآيات ٨ ـ ١٠.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣.

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[١].

فهذه الآيات الكريمة ترشد إلى تمامية الحجّة من المولى سبحانه في حقّ الإنسان، وأنّه لا عذر له – بعد هذا – في التشبث بالوهم، وخاصة في هذه الأيام الّتي توفرت فيها مختلف الوسائل في الوصول إلى الحقّ الصراح!

قال المولى سبحانه: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].. ولا يخفى على ذي لب أنّ المراد بالطاغوت هنا ليس حكّام الجور فقط، وإنّما هو يشمل كلّ باطل يُروّج له بهدف الاستيلاء على قلوب الناس والسيطرة عليها!! فتدبّر مليّاً.

إن كان بيتك من زجاج ..

ذكر بعض الباحثين فيما سبق، أنّ قصة ابن سبأ كان الهدف منها إضفاء عنصر يهودي على التشيّع لتحقيق أهداف معينة، غايتها إقصاء الآخر والغلبة عليه ولو بالباطل، وبعد أن تبيّن لنا أنّ أمر هذه القصة كان منحولاً إلى آخره – على حدّ قول طه حسين – وهي لا تقوى على إثبات نفسها، فضلاً عن الدفع بها في صدور الآخرين!!

فإنّنا سنبحث هنا ـ على قاعدة الجزاء بالجزاء والبادي أظلم ـ فيما ثبت عند القوم من أحاديث صحاح، ووقائع رووها هم في كتبهم المعتبرة، تكشف بكلّ وضوح عن الدور الّذي لعبه اليهود في الدس على عقائد أهل السنة، وكيف تلقّف

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(رموز السلف) خاصة، وتبعاً لهم (السلفيون) هذا الفكر اليهودي دون غيرهم على أنّه عقيدة صحيحة، وروّجوا له بكلّ ما أوتوا من جهد وقوّة، ساعين في حمل المسلمين على الاعتقاد به واعتناقه!! ممّا يضعنا أمام تساؤل حقيقي وكبير هو: أيّ الفريقين أحق بإلصاق التهمة المتقدّمة به، ونعني بها: الأثر اليهودي في فكره وعقيدته؟!

دور اليهود في (مصادر) الفكر السلفي:

وقبل البدء بتناول ما بثّه اليهود من عقائد، وتلقّفه (السلفيون) بالخصوص دون غيرهم من الفرق الّتي تنتسب للإسلام، وأخذوا به على أنّه عقيدة صحيحة يدينون لله بها، نذكر تأثّر رموز (السلفية) بهذا الفكر اليهودي، والّذين ما فتأوا عن الاهتمام بأحبار اليهود الّذين أسلموا، حتّى أنّهم جعلوهم ـ أي: هؤلاء الأحبار ـ بطانة لهم دون غيرهم من الصحابة الكبار كما سيأتي بيانه!!

عمر بن الخطاب يدرس عند اليهود زمن النبيّ ﷺ!

عمر بن الخطاب ركن مهم من أركان (السلف)، وعنه يأخذ الكثير من (أهل السنة والجماعة) بل أغلبهم ممّا يتعلّق بدينهم ودنياهم، وبلحاظ هذا الأمر فلننظر إلى مدى تأثّر هذه الشخصية في منهجها وسلوكها بالفكر اليهودي وأثره عليها!

روى المتقي الهندي في (كنز العمال) من مسند عمر؄ عن الشعبي قال: «نزل عمر بالروحاء، فرأى ناساً يبتدرون أحجاراً فقال: ما هذا؟ فقال: يقولون إنّ النبيّ ﷺ صلّى إلى هذه الأحجار، فقال: سبحان الله ما كان رسول الله ﷺ إلا راكباً، مرّ بوادي فحضرت الصلاة فصلّى. ثمّ حدّث فقال: إنّي كنت أغشى اليهود يوم دراستهم،

فقالوا: ما من أصحابك أحد أكرم علينا منك لأنّك تأتينا))[1]. فعمر - بحسب هذا النص - كان محل (تكريم خاص) عند اليهود لأنّه كان يأتيهم يوم (دراستهم)!

أمّا لماذا كان عمر لا ينزل إلى اليهود إلا يوم دراستهم؟! وأيضاً ماهو الداعي لمحلّ الكرامة هذا له عندهم؟! وهل ترى أنّ اليهود يكرمون أحداً، هكذا لوجه الله ولا يرجون منه شيئاً يخدم مصالحهم وديانتهم؟! هذه الأسئلة وغيرها نتركها كآيات للمتوسمين!!

أحاديث اليهود تأخذ بقلب عمر!

عن السيوطي في (الدر المنثور) قال: ((أخرج ابن الضريس عن الحسن أنّ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إنّ أهل الكتاب يحدّثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا وقد هممنا أن نكتبها، فقال: يابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى، أما والّذي نفس محمّد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولكني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً))[2].

قال الزمخشري في (الفايق) في مادة (هوك): النبيّ صلى الله عليه وآله قال له عمر: إنّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها. فقال: (أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتّباعي).

---

(١) كنز العمال ٢: ٣٥٣، رواه عن العقيلي وابن راهويه وابن جرير وابن أبي حاتم ثمّ قال: (وسنده صحيح لكن الشعبي لم يدرك عمر، وروى سفيان بن عيينه في تفسيره عن عكرمة نحوه، وله طرق أخرى مرسلة تأتي في المراسيل).

(٢) الدر المنثور ٥: ١٤٩ وهذا الحديث لم يضعّفه ابن الضريس ولم يتعقبه السيوطي بشيء، وقريب منه في: مسند أحمد ٣: ٣٨٧، المصنف لابن أبي شيبة ٦: ٢٢٨، كتاب السنة: ٢٧ قال الألباني محقق الكتاب: (حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنّه ضعيف، ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في (المشكاة) (١٧٧)، ثمّ خرّجت بعضها في (الإرواء) (١٥٨٩) (انتهى).

ثمّ قال: «تهوك وتهور أخوان في معنى: وقع في الأمر بغير روية. وقال الأصمعي: المتهوك الّذي يقع في كلّ أمر، وأنشد الكسائي:

رآني امرأ لا هذرة متهوكاً ولا واهناً شراب ماء المظالم

وقيل: التهوك والتهفك: الاضطراب في القول، وأن يكون على غير استقامة، والضمير في (بها) للحنيفية»[١].

عمر ينسخ كتاباً من التوراة!

وعن ابن حجر في (فتح الباري)، قال: «أخرج أحمد والبزار – واللفظ له – من حديث جابر قال: نسخ عمر كتاباً من التوراة بالعربية، فجاء به إلى النبيّ ﷺ فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغيّر فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا بن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنّهم لن يهدوكم وقد ضلّوا وإنّكم إمّا أن تكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتّبعني)...».

ثمّ ذكر ابن حجر طرقاً أخرى للحديث، وتناول بعض أسانيدها بالتضعيف والآخر باللين، إلا أنّه قال بعدها: «وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أنّ لها أصلاً»[٢].

وقد قوّى الألباني هذا الحديث في (إرواء الغليل) وذكر له شواهد كثيرة[٣].

---

(١) الفايق في غريب الحديث ٣: ٤١١.

(٢) فتح الباري ١٣: ٤٣٨.

(٣) إرواء الغليل ٦: ٣٤.

عمر يطلب من النبيّ ﷺ أن يأذن له بتعلّم التوراة!

قال الشوكاني في (فتح القدير): أخرج البيهقي وصححه: «عن عمر بن الخطاب قال: سألت رسول الله ﷺ عن تعلّم التوراة فقال: (لا تتعلّمها وآمن بها وتعلّموا ما أنزل إليكم وآمنوا به)» !![1]

عمر يستشير كعباً فيمن يخلفه من بعده!

ذكرنا سابقاً ذكر أنّ النبي ﷺ طلب من عمر أن لا يسأل أهل الكتاب عن شيء وقال ﷺ له: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنّهم لن يهدوكم وقد ضلّوا وإنّكم إمّا أن تكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل)... وقد عنّفه ﷺ مرّة: (أمتهوكون أنتم) ـ أي: متحيرون أنتم ـ إلى غير ذلك من الألفاظ الّتي نقلتها للتاريخ الروايات المختلفة الواردة في هذا الخصوص!! ولكن هل تخلّى عمر عن متابعة اليهود وكتبهم امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ حتّى وإن أسلموا وصاروا بحسب الظاهر من المسلمين، فهم أيضاً لا يحق له سؤالهم بخصوص ما وردِ في كتبهم بحسب النهي المتقدّم الصادر عن النبي ﷺ!!

عن ابن عباس قال: «تبرم عمر بالخلافة في آخر أيامه، وخاف العجز، وضجر من سياسة الرعية، فكان لا يزال يدعو الله بأن يتوفّاه، فقال لكعب الأحبار يوماً وأنا عنده: إنّي قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الأمر وأظن وفاتي قد دنت، فما تقول في عليّ؟ أشر عليّ في رأيك وأذكرني ما تجدونه عندكم، فإنّكم تزعمون أنّ أمرنا هذا مسطور في كتبكم، فقال: أمّا من طريق الرأي فإنّه لا يصلح، إنّه رجل متين

---

(١) فتح القدير ٤: ١٤٨.

الدين، لا يغضي على عورة، ولا يحلم عن زلة، ولا يعمل باجتهاد رأيه، وليس هذا من سياسة الرعية في شيء، وأمّا ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي الأمر ولا ولده، وإن وليه كان هرج شديد، قال: كيف ذاك؟ قال: لأنّه أراق الدماء، فحرمه الله الملك))[(١)].

ولعل (أبا حفص) أذعن لهذه النصيحة (الحبرية) وآمن بما أملته عليه (التوراة) الكعبية!!

كتب التوراة تخترق البيت النبوي من طريق حفصة (ابنة عمر)!

قال السيوطي في (الدر المنثور): ((أخرج عبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري: أنّ حفصة جاءت إلى النبيّ ﷺ بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرؤه عليه والنبيّ ﷺ يتلون وجهه فقال: (والّذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم)))[(٢)].

عثمان يأخذ دينه من كعب الأحبار!

يعتبر عثمان بن عفان هو الآخر من الأركان المهمة عند (الفكر السلفي)، فعنه يوردون معالم دينهم، وبالولاء له يلتمسون طريقاً إلى الجنّة، فلننظر ما لليهود من أثر وتأثير عليه أيضاً:

روى البلاذري في الأنساب، والمسعودي في (مروج الذهب) ـ واللفظ له ـ: ((أنّ أباذر حضر مجلس عثمان ذات يوم فقال عثمان: أرايتم من زكّى ماله، هل فيه حقّ لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين. فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يا بن اليهودي، ثمّ تلا: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٢: ٨١

(٢) الدر المنثور ٥: ١٤٨، مسند ابن راهويه ٤: ١٩٩.

(الآية)[١]. فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك، فرفع أبوذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يا بن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي! غيّب وجهك عنّي فقد آذيتنا، فخرج أبو ذر إلى الشام))[٢].

وفي لفظ الطبري وابن عساكر: ((أنّ أباذر دخل على عثمان وعنده كعب الأحبار فقال - أي: أبا ذر - لعثمان: لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتّى يبذلوا المعروف وقد ينبغي للمؤدّي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتّى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات. فقال كعب: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه. فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجّه، فاستوهبه عثمان فوهبه له، وقال يا أبا ذر اتق الله واكفف يدك ولسانك. وكان قد قال له - أي: أبا ذر لكعب -: يا بن اليهودية ما أنت وما هاهنا والله لتسمعنّ منّي أو لأدخل عليك، والله لا يسمع أحد من اليهود إلا فتنوه))[٣].

وكما ترى ـ أيّها القارئ الكريم ـ فإنّه لم يتصد لهذا اليهودي الّذي لم يدخل الإسلام إلا كيداً - كما سيأتي بيانه - وقد أرخى إليه (الخليفة) سدوله يأخذ دينه عنه، إلا بطلاً من أبطال التشيّع، هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الّذي قال فيه الرسول الأعظم ﷺ: (ما أقلّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر)[٤]!!

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧، قال المحقق لكتاب المسعودي محمّد سعيد اللحام في تعليقته: (والمقصود ما ذكر في تتمة الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾، أي أنّ المقصود هو أنّه في مال المرء أشياء أُخر عليه أن يؤديها للفئات المذكورة في هذه الآية غير الزكاة) (انتهى).

(٢) أنساب الأشراف ٦: ١٦٦، مروج الذهب ٢: ٣٣٨.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٣٣٦، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ١٩٨.

(٤) مسند أحمد ٢: ١٦٣، ١٧٥، ٢٢٣، سنن ابن ماجة ١: ٥٥، سنن الترمذي ٥: ٣٣٤، المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٨٧، ٤: ٥٢٦ صححه، ووافقه الذهبي.

معاوية يستقدم يهودياً ليجعله بطانة له!

معاوية هو أيضاً ركن آخر من أركان (السلفية)، وقد كان لليهود دور ظاهر في مساندته والإعداد لدولته.

روى ابن حجر في (الإصابة) أنّ معاوية طلب من كعب أن يدلّه على (أعلم) الناس، قال: ما أعلمه إلا ذو قربات وهو باليمن، فبعث إليه معاوية وهو بالغوطة.

قال ابن حجر: فتلقّاه كعب فوضع رأسه له، ووضع الآخر له رأسه، فذكر قصة طويلة وفي ضمنها أنّه كان يهودياً[١].

فمعاوية يطلب من كعب (اليهودي) أن يدلّه على (أعلم الناس) على (يهودي) آخر، وقد كان الاثنين معاً (كعب وذو قربات) يهيئان معاوية ـ مسبقاً ـ للخلافة كما سنعرفه من النص الآتي، و بالتحديد منذ وفاة النبيّ ﷺ، الأمر الّذي يكشف عن وجود إعداد (يهودي) مسبق لإيصال بعض (الشخصيات) إلى موقع (الصدارة) في الإسلام!! وهذا البحث يضيق به الكتاب، إلا أنّنا سنكتفي بالإشارة إلى النصوص فقط.

روى أبو القاسم البغوي عن سعيد بن عبد العزيز، قال: ((لمّا توفي رسول الله ﷺ قيل لذي قربات الحميري وكان من أعلم اليهود: يا ذا قربات، من بعده؟ قال: الأمين يعني: أبابكر. قيل: فمن بعده؟ قال: قرن من حديد يعني: عمر، قيل: فمن بعده؟ قال: الأزهر، يعني: عثمان. قيل: فمن بعده؟ قال: الوضاح المنصور يعني: معاوية))[٢].

ولعل القارئ يستغرب هنا بأنّه كيف تم استبعاد عليّ عليه السلام وهو الخليفة الراشد الرابع حتّى في حسابات المدرسة الأخرى، ونعني بها مدرسة الخلفاء؟! والجواب: أنّ

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٣٤٧، تاريخ مدينة دمشق ١٧: ٣٦٧.

(٢) الإصابة ٢: ٣٤٦، تاريخ مدينة دمشق ١٧: ٣٦٥، ٥٩: ١٢٤، سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٨٣.

الترتيب المتقدّم قد ورد ضمن (نبؤات توراتية)، و(إعدادات يهودية) فقط.. والحليم تكفيه الإشارة!!

وعن وكيع عن الأعمش عن أبي صالح قال: ((كان الحادي يحدو بعثمان، ويقول:

وفي الزبير خلف رضي إنّ الأمير بعده عليّ

فقال كعب الأحبار: بل هو صاحب البغلة الشهباء، يعني معاوية، فبلغ ذلك معاوية، فأتاه فقال: يا أبا إسحاق تقول هذا وها هنا عليّ والزبير وأصحاب محمّد ﷺ، قال: أنت صاحبها))[١].

وهكذا هنا، يتم أيضاً استبعاد علي عليه السلام بحسب هذه النبوءة (اليهودية)، ولنا أن نقول: إنّ كان كعب الأحبار قد استند في قوله هذا إلى (التوراة) الّتي كان قد ذكر للمسلمين عنها في أكثر من مرّة أنّ فيها أخبار كلّ شيء، فعليّ عليه السلام بحسب التسلسل الزمني يتلو عثمان مباشرة وهو خليفة شرعي معترف بخلافته عند الجميع، ولا يعقل أنّ (التوراة) المزعومة قد أغفلت الخليفة الشرعي المجمع على خلافته، ونظرت بعين (عوراء) إلى شخص وسمته الأحاديث الصحيحة، وأجمع المسلمون على أنّه باغ في سعيه وطلبه للخلافة، وقد قال رسول الله ﷺ فيه: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)[٢]؟!

إنّ هذه تساؤلات تدفعنا للتحقيق في شأن (كعب) هذا، ولماذا هذا التركيز منه في الإعداد لمعاوية كي يتولّى زمام أمور المسلمين؟! وهل كان هذا نوع من التحفيز والتسريع نحو أهداف خاصة كان (اليهود) يرسمونها للمسلمين مسبقاً؟!

(١) نسخة وكيع: ٩١، النزاع والتخاصم: ٨٢ تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١٢٢، سير أعلام النبلاء ٣: ١٣٦، البداية والنهاية ٨: ١٣٦، مصنف ابن أبي شيبة ٨: ٥٨٦.

(٢) اُنظر صحة هذا الحديث من كتب أهل السنة في موسوعة (الغدير) ٨: ١٤٢ ـ ١٤٨.

قال الشيخ محمود أبورية في كتابه (أضواء على السنّة المحمّدية)، بعد ذكره لنبوءة (كعب) المتقدّمة: ((وقدّر معاوية هذه اليد الجليلة لكعب، وأخذ يغمره بأفضاله، وقد عرف من تاريخ هذا الكاهن أنّه تحول إلى الشام في عهد عثمان وعاش تحت كنف معاوية فاستصفاه لنفسه وجعله من خلصائه لكي يروي من أكاذيبه وإسرائيلياته ما شاء أن يروي من قصصه لتأييده، وتثبيت قوائم دولته، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة بأنّ معاوية هو الّذي أمر كعباً بأن يقص في الشام...))[١].

إطلالة قصيرة على تاريخ كعب:

ومن حقّ القارئ الكريم أن يعرف شيئاً عن كعب الأحبار هذا، خاصة بعد أن عرفنا أنّه الشخص الّذي استطاع أن يستولي على قلوب ذوي السلطة (من رموز السلفية المتقدّم ذكرهم) ويتمكن منها، بحيث يخصّه عمر بالاستشارة فيمن يخلفه من بعده، ويأخذ عثمان بن عفان - وهو في مقام (الخلافة الراشدة) - دينه عنه، وأيضاً يجعله معاوية من حواريه وأقرب المقرّبين إليه!!

قال أبورية: ((هو كعب بن ماتع الحميري من آل ذي رعين، وقيل: من ذي الكلاع، ويكنى أبا إسحاق من كبار أحبار اليهود، وعرف بكعب الأحبار، وأسلم في عهد عمر على التحقيق، وسكن المدينة في خلافته، وكان معه في فتح القدس، ثمّ تحول إلى الشام في زمن عثمان فاستصفاه معاوية وجعله من مستشاريه لكثرة علمه[٢]، كما كانوا يفهمون، وهو الّذي أمره أن يقص في بلاد الشام، وبذلك أصبح أقدم الإخباريين في موضوع الأحاديث اليهودية والإسلامية، وبواسطة كعب وابن

---

(١) أضواء على السنّة المحمّدية: ١٨٠.

(٢) يقول أبو ريّة في ص ١٤٨: وكيف لا يوصف كعب بكثرة العلم وقد قال لقيس بن خرشة القيسي: (ما من شيء في الأرض إلا وهو مكتوب في التوراة الّتي أنزل على نبيه موسى عليه السلام يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة ـ رواه البيهقي في الدلائل، وابن عبد البر في الاستيعاب) انتهى.

منبه وسواهما من اليهود الّذين أسلموا تسربت إلى الحديث طائفة من أقاصيص التلمود - الإسرائيليات - وما لبثت هذه الروايات أن أصبحت جزءاً من الأخبار الدينية والتاريخية. وقال عنه الذهبي في (تذكرة الحفاظ): إنّه قدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وروى عنه جماعة من التابعين مرسلاً، مات بحمص في سنة ٣٢ أو ٣٣ أو ٣٨ بعدما ملأ الشام وغيرها من البلاد الإسلامية برواياته اليهودية وقصصه المستمدة من الأخبار، كما فعل تميم الداري في الأخبار النصرانية))[١].

تكذيب الصحابة لكعب!

كنّا قد ذكرنا سابقاً المواجهة الشديدة الّتي حصلت بين أبي ذر وكعب في مجلس عثمان، وكيف أنّ أبا ذر زجر كعباً وضربه في صدره.. وهنا نريد أن نذكر بقية آراء الصحابة في كعب (الّذي أسلم متأخراً في سنة سبع عشر هجرية) واتهامهم له في دينه، الأمر الّذي يمكن عدّه دليلاً منهم على زيف إسلامه وخبث نواياه!

اتهمه الصحابي عوف بن مالك في سرده للقصص، وفي هذا يروي الطبراني في الكبير، قال: عن عوف بن مالك أنّه أتى على كعب وهو يقص فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلّف)، فأمسك عن القصص حتّى أمره به معاوية[٢].

وفي بعض المصادر: (إلا أمير أو مأمور أو مختال)[٣]. قال الزمخشري في (الفائق): ((أي: لا يخطب إلا الأمير لأنّ الأمراء كانوا يتولّون الخطب بأنفسهم،

---

(١) أضواء على السنّة المحمّدية: ١٤٨.

(٢) المعجم الكبير ١٨: ٧٦.

(٣) سنن أبي داود ٢: ١٨٠، مجمع الزوائد ١: ١٩٠ قال الهيثمي: (رواه أحمد وإسناده حسن).

والمأمور الّذي اختاره الأئمّة فأمروه بذلك، ولا يختارون إلا الرضا الفاضل، والمختال الّذي ينتدب لها رياء وخيلاء))[١].

واتهمه عبد الله بن مسعود بالقول في كلام الله بما لا يعلم، وفي هذا يروى ابن عساكر في تاريخه: ((جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: إنّ كعباً يقرأ عليك السلام ويبشّركم أنّ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ**﴾[٢]، قال ابن مسعود: وعليه السلام إذا أنت أتيته، فأخبره أنّها نزلت وهو يهودي))[٣].

واتهمه حذيفة بن اليمان بالكذب، وفي هذا أخرج ابن أبي خيثمة بسند حسن قال: بلغ حذيفة أنّ كعباً يقول: إنّ السماء تدور على قطب كقطب الرحى. فقال: كذب، إنّ الله يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا**﴾[٤].

وعن الطبري في تفسيره (جامع البيان) بسنده عن جرير، قال: ((ذهب جندب البجلي إلى كعب الأحبار، فقدم عليه ثمّ رجع، فقال له عبد الله: حدّثنا ما حدّثك، فقال: حدّثني أنّ السماء في قطب كقطب الرحى، والقطب عمود على منكب ملك، قال عبد الله: لوددت أنّك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ثمّ قال: ما تنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه! ثمّ قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا**﴾[٥]، كفى بها زوالاً أن تدور))[٦].

وفي تفسير القرطبي قال ابن مسعود: ((كذب كعب، ما ترك يهوديته))[٧].

---

(١) الفايق في غريب الحديث: ١٠٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ٥٠: ١٧٢.
(٤) المصدر السابق ٥٠: ١٧٢.
(٥) فاطر: ٤١.
(٦) جامع البيان ٢٢: ١٧٣، تفسير ابن كثير ٣: ٥٦٩.
(٧) تفسير القرطبي ١٤: ٣٥٧.

وأيضاً كان متهماً عند ابن عباس، فقد روى القرطبي في تفسيره: ((أنّ ابن عباس قال لرجل مقبل من الشام: من لقيت به؟ قال: كعباً. قال: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: إنَّ السماوات على منكب ملك. قال: كذب كعب، أما ترك يهوديته بعد!))[١]

وعلى العموم، فقد كان الصحابة يتوقفون فيما يرويه كعب ولا يأخذون به، بل يضعونه محل الريبة والاتهام، بل وجدنا أنَّ الاتهام بالكذب وعدم الصدق كان يأتيه حتّى ممّن يقرّبه ويدنيه منه.

قال البخاري في صحيحه: ((أخبرنا شعيب أبو اليمان عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدّثين الّذي يحدّثون عن أهل الكتاب وإن كنّا مع ذلك لنبلوا عليه بالكذب!!))[٢]

مع العلم أنّ معاوية كان قد جعل كعباً من بطانته، كما تقدّم ذكره إلا أنّه ـ كما يبدو ـ أنّ سمة الكذب عند كعب كانت غالبة بحيث لا يقدر على إخفائها أو التغاضي عنها أقرب المقرّبين إليه!!

وأيضاً كذّب كعباً عمرو بن العاص، وفي هذا يروى أنّ ابن العاص مرّ على كعب الأحبار فعثرت به دابته فقال: يا كعب أتجد في التوراة أنّ دابتي تعثر بي؟![٣]

ومن المحدّثين كذّبه ابن كثير في تفسيره: قال ـ فيما جاء ذكره عن قصة ملكة سبأ مع سليمان بواسطة الأخبار الإسرائيلية ـ ما نصّه: ((والأقرب في هذه السياقات أنّها متلقاة عن أهل الكتاب ممّا وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمّة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب

---

(١) المصدر السابق ١٤: ٣٥٧.

(٢) صحيح البخاري ٨: ١٦٠.

(٣) الإيضاح: ٨٧

ممّا كان وممّا لم يكن وممّا حرّف وبدّل ونسخ، وقد أغنانا الله بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنّه واتهمه أبوذر باليهودية))[١].

وقال ابن خلدون في مقدّمته، في معرض كلامه عن التفسير النقلي، وأنّه يشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود: ((والسبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأميّة، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى... مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم...وتساهل المفسّرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلّها كما قلنا عن أهل التوراة))[٢].

وقال ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم): ((وقد صنّف طائفة من الناس مصنفات في فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع الّتي بالشام، وذكروا فيها من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب وعمّن أخذ عنهم ما لا يحل للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم، وأمثل من نقل عنه تلك الإسرائيليات كعب الأحبار، وكان الشاميّون قد أخذوا عنه كثيراً من الإسرائيليات))[٣].

وأيضاً من المفسّرين كذّبه محمّد رشيد رضا، صاحب المنار، حيث قال في رد من وصف كعباً بكثرة العلم: ((إنّ ثبوت العلم الكثير لا يقتضي نفي الكذب. وكان جلّ علمه عندهم ما يرويه عن التوراة ليقبل، وغيرها من كتب قومه وينسبه

---

(١) تفسير ابن كثير ٣: ٣٧٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٤٤٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١: ٤٣٦.

إليها ليقبل، ولا شك أنّه كان من أذكى علماء اليهود قبل إسلامه وأقدرهم على غش المسلمين بروايته بعده))!

وأضاف: ((إنّه من زنادقة اليهود الّذين أظهروا الإسلام لتقبل أقوالهم في الدين، وقد راجت دسيسته حتّى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه، وصاروا يتناقلون قوله بدون إسناد إليه، حتّى ظن بعض التابعين ومن بعدهم أنّها ممّا سمعوه عن النبيّ ﷺ وأدخلها بعض المؤلفين في الموقوفات الّتي لها حكم المرفوع كما قال الحافظ ابن كثير في مواضع من تفسيره))[١].

وفي موضع آخر يقول: ((إنّه كان بركان الخرافات، وأجزم بكذبه، بل لا أثق بإيمانه))[٢].

وقال أيضاً عند ذكر كعب مع زميله اليهودي الآخر وهب بن منبه: ((إنّ شرّ رواة هذه الإسرائيليات، أو أشدّهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان[٣]، فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الإسلامي في أمور الخلق والتكوين والأنبياء وأقوامهم والفتن والساعة والآخرة، إلا وهي منهما مضرب المثل، ولا يهولنّ أحد انخداع بعض الصحابة والتابعين بما بثّاه وغيرهما من هذه الأخبار، فإنّ تصديق الكاذب لا يسلم منه أحد من البشر ولا المعصومين من الرسل))[٤].

وقال أيضاً: ((رأينا الشيء الكثير في روايتهما ممّا نقطع بكذبه، لمخالفة ما روياه ممّا كان يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الأنبياء فجزمنا بكذبهما...)).

---

(١) مجلة المنار ٢٧: ٧٥٢.

(٢) مجلة المنار ٢٧: ٦٩٧.

(٣) قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ٤/ ٥٤٥ عند ترجمته لوهب بن منبه: ((وروايته للمسند قليلة، وإنّما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب)) (انتهى).

(٤) مجلة المنار ٢٧: ٧٨٣.

وفي موضع آخر يقول محمّد رشيد رضا عن روايتهما: ((إنّ أكثرها خرافات إسرائيلية شوّهت كتب التفسير وغيرها من الكتب، وكانت شبهاً على الإسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة أنّه كغيره دين خرافات وأوهام وما كان فيها غير خرافة. فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالّذي ذكره كعب من صفة النبيّ في التوراة))[1].

إلا أنّنا لم نجد من الصحابة الّذين خدعوا - كما يشير محمّد رشيد رضا - بكعب سوى رموز أهل السنة ممّن وطّأ له الأكناف وأجلسه مجلس المستشار منه كعمر وعثمان ومعاوية، أو ممّن تتلمذ على يديه كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، كما سيأتي بيانه، الأمر الّذي يؤسس -وبكلّ وضوح- لحقيقة البعد اليهودي في الفكر السني، بل (السلفي) خاصة!

قال الشيخ محمود أبو رية - وهو من علماء الأزهر -: ((وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء وأشدّهم مكراً، كعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام..ولمّا وجدوا أنّ حيلهم قد راجت بما أظهروه من كاذب الورع والتقوى، وأنّ المسلمين قد سكنوا إليهم، واغتروا بهم، جعلوا أوّل همهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم، وذلك بأن يدسّوا إلى أصوله الّتي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات، وأوهام وترهات، لكي تنتهي هذه الأصول وتضعف. فلمّا عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم؛ لأنّه قد حفظ بالتدوين، واستظهره آلاف من المسلمين، وأنّه قد أصبح بذلك في منعة من أن يزاد فيه كلمة أو يدس إليه حرف اتجهوا إلى التحديث عن النبيّ ﷺ، فافتروا ما شاؤوا أن يفتروا عليه أحاديث لم تصدر عنه، وأعانهم على ذلك أنّ ما تحدّث به النبيّ ﷺ في حياته لم يكن محدد المعالم، ولا محفوظ الأصول، لأنّه لم يكتب في عهده صلوات الله عليه كما كتب القرآن، ولا كتبه صحابته من بعده، وأنّ في استطاعة كلّ ذي هوى أو دخلة سيئة، أن يدس إليه بالافتراء، ويسطوا عليه

(١) المصدر السابق ٢٧: ٦١٨.

بالكذب، ويسّر لهم كيدهم أن يجدوا الصحابة يرجعون إليهم في معرفة ما لا يعلمون من أمور العالم الماضية))[١].

وفي هذا الصدد يقول ابن كثير في تفسيره: ((إنّه لما أسلم [أي: كعب الأحبار] في الدولة العمرية جعل يحدّث عمرﷺ عن كتبه قديماً فربما استمع له عمر ﷺ فترخص الناس في استماع ماعنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمّة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد ممّا عنده))[٢].

وفي السياق ذاته يقول الدكتور أحمد أمين: ((اتصل بعض الصحابة بوهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام، واتصل التابعون بابن جريج، وهؤلاء كانت لهم معلومات يروونها عن التوراة والإنجيل وشروحها وحواشيها، فلم ير المسلمون بأساً من أن يقصّوها بجانب آيات القرآن فكانت منبعاً من منابع التضخم))[٣].

أبو هريرة (تلميذاً) لكعب!

روى ابن سعد في (طبقاته الكبرى) عن عبد الله بن شقيق أنّ أبا هريرة جاء إلى كعب يسأل عنه، وكعب في القوم. فقال كعب: ما تريد منه؟ فقال: أما إنّي لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله أن يكون أحفظ لحديث رسول الله منّي! فقال كعب: أما إنّك لم تجد طالب شيء وإلا سيشبع منه يوماً من الدهر إلا طالب علم أو طالب دنيا!

فقال أبو هريرة: أنت كعب؟ فقال: نعم. فقال: لمثل هذا جئتك[٤].

---

(١) أضواء على السنّة المحمّدية: ١٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٤:١٩.

(٣) أُنظر: ضحى الإسلام ٢: ١٣٩.

(٤) الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٢، سنن الدارمي ١: ٨٦، المستدرك على الصحيحين ١: ١٧٠.

وفي هذا المعنى يقول أبو رية في كتابه الّذي كتبه عن أبي هريرة خاصة والّذي أسماه بـ(شيخ المضيرة): ((ما كاد أبو هريرة يرجع إلى المدينة معزولاً عن ولايته بالبحرين حتّى تلقّفه الحبر الأكبر كعب الأحبار اليهودي، وأخذ يلقّنه من إسرائيلياته، ويدسّ له من خرافاته، وكان المسلمون يرجعون إليه فيما يجهلون، وبخاصة بعد أن قال لقيس بن خرشة هذه الأكذوبة: ((ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة الّتي أنزل على موسى ما يكون عليه، وما يخرج منه)).

ومن أجل ذلك هرع أبو هريرة إليه، ليأخذ منه ويتتلمذ عليه، وسال سيل روايتهما، ولا سيما بعد أن خلا الجو لهما، بموت عمر واختفاء درّته، ولا يزال هذا السيل يتدفق بالأحاديث الخرافية والمشكلة..))[١].

وقال في كتابه الآخر (أضواء على السنّة المحمّدية): ((ذكر علماء الحديث في باب (رواية الصحابة عن التابعين)، أو (رواية الأكابر عن الأصاغر) أنّ أبا هريرة والعبادلة ومعاوية وأنس وغيرهم، قد رووا عن كعب الأحبار اليهودي الّذي أظهر الإسلام خداعاً، وطوى قلبه على يهوديته، ويبدو أنّ أبا هريرة كان أكثرهم رواية للحديث، ويتبين من الاستقراء أنّ كعب الأحبار قد سلّط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه وينيمه ليلقّنه كلّ ما يريد أن يبثّه في الدين الإسلامي من خرافات وأوهام، وكان له في ذلك أساليب غريبة، وطرق عجيبة.

فقد روى الذهبي في طبقات الحفّاظ - في ترجمة أبي هريرة - أنّ كعباً قال فيه - أي: في أبي هريرة - ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة!!

(قال أبو رية) فانظر مبلغ دهاء هذا الكاهن ومكره بأبي هريرة الّذي يتجلّى في درس تاريخه أنّه كان رجلاً فيه غفلة وغرة! إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوراة وهو لم يعرفها؟! ولو عرفها لما استطاع أن يقرأها لأنّها كانت باللغة العبرية وهو لا يستطيع أن يقرأ حتّى لغته العربية، إذ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب!

---

(١) شيخ المضيرة أبو هريرة: ٩٠.

(يقول أبو رية) وممّا يدلك على أنّ هذا الحبر الداهية قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتّى جعله يردد كلام هذا الكاهن بالنص ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبيّ ما نورد لك شيئاً منه:

روى البزار عن أبي هريرة أنّ النبيّ قال: إنّ الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة.

فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدّثك عن رسول الله وتقول ما ذنبهما؟!

وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه، فقد روى أبو يعلى الموصلي، قال كعب: ((يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم يراهما من عبدهما))[1].

وروى الحاكم في (المستدرك) والطبراني - ورجاله رجال الصحيح - عن أبي هريرة: ((أنّ النبيّ قال: إنّ الله أذن لي أن أحدّث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثبتة تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك! قال: فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً)).

وهذا الحديث من قول كعب الأحبار ونصه: أنّ لله ديكاً عنقه تحت العرش وبراثنه في أسفل الأرض فإذا صاحت الديكة فيقول: سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره.

وروى أبو هريرة أنّ رسول الله قال: النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنّة.

وهذا القول نفسه رواه كعب إذ قال: أربعة أنهار من الجنّة وضعها الله ﷻ في الدنيا، فالنيل نهر العسل في الجنّة، والفرات نهر الخمر في الجنّة، وسيحان نهر الماء في الجنّة، وجيحان نهر اللبن في الجنّة.

---

(١) راجع ما قاله كعب في: لسان العرب ٤: ٥٩٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٢: ٤٣٤، تاريخ الطبري ١: ٤٤.

وقال ابن كثير في تفسيره: ((إنّ حديث أبي هريرة في ياجوج وماجوج ونصّه كما رواه أحمد عن أبي هريرة: إنّ ياجوج وماجوج ليحفرون السد كلّ يوم حتّى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الّذين عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون..الخ، وقد روى أحمد هذا الحديث عن كعب.. قال ابن كثير ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فإنّه كان كثيراً ما كان يجالسه ويحدّثه))، وبيّن في مواضع كثيرة من تفسيره ما أخذه أبو هريرة من كعب.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنّ الله خلق آدم على صورته، وهذا الكلام قد جاء في الاصحاح الأوّل عن التوراة (العهد القديم) ونصّه هناك: وخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه.

ولمّا ذكر كعب صفة النبيّ في التوراة: قال أبو هريرة في صفته ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق.

(قال أبو رية): وهذا هو نص كلام كعب كما أوردناه من قبل.

وروى مسلم عن أبي هريرة: قوله أخذ رسول الله بيدي! فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد! وخلق الشجر يوم الاثنين! وخلق المكروه يوم الثلاثاء! وخلق النور يوم الأربعاء! وبث فيها الدواب يوم الخميس! وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل.

وهذا الحديث قد رواه عن أبي هريرة كذلك أحمد والنسائي!!

وقد جاء عن البخاري وابن كثير وأيضاً عن غيرهما في خصوص هذا الحديث إنّ أبا هريرة قد تلقّى هذا الحديث عن كعب الأحبار لأنّه يخالف نص القرآن في أنّه سبحانه خلق السموات والأرض في ستة أيام.

(قال أبو رية): ومن العجيب أنّ أبا هريرة قد صرّح في هذا الحديث (بسماعه) من النبيّ ﷺ وأنّه قد أخذ بيده حين حدّثه به، وإنّي لأتحدّى الّذين يزعمون أنّهم

على شيء من علم الحديث عندنا، وجميع من هم على شاكلتهم في غير بلادنا أن يحلّوا لنا هذا المشكل[١].

إنّ الحديث صحيح السند على قواعدهم - لا خلاف في ذلك - وقد رواه مسلم في صحيحه ولم يصرّح بسماعه من النبيّ فقط، بل زعم أنّ رسول الله قد أخذ بيده وهو يحدّثه به، وقد قضى أئمّة الحديث بأنّ هذا الحديث مأخوذ من كعب الأحبار وأنّه مخالف للكتاب العزيز، فمثل هذه الرواية تعدّ ولا ريب كذباً صراحاً، وافتراءً على رسول الله، فما حكم من يأتي بها؟ وهل تدخل تحت حكم حديث الرسول: (من كذّب عليّ فليتبوأ مقعده من النار)؟ أم هناك مخرج لراوي هذا الحديث بذاته؟! إنّي والله لفي حاجة إلى الانتفاع بعلمهم في هذا الحديث وحده الّذي يكشف ولا ريب عن روايات أبي هريرة التي يجب الاحتياط الشديد في تصديقها!))[٢]. (انتهى)

ونحن هنا نضم صوتنا إلى صوت الشيخ أبي رية ونطلب من (علماء) الخلف لـ (خير) سلف من أهل السنّة والجماعة أن يحلّوا هذا الإشكال العويص، والّذي يأذن بانهيار أحد أعمدة الفكر (السلفي) عندهم، والّذي أطلقوا عليه لقب (راوية الإسلام)!!

(١) روى ابن كثير في (البداية والنهاية) ٨: ١١٧ عن يزيد بن هارون قوله: (سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس - أي: يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ ولا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر) (انتهى).

(٢) أضواء على السنّة المحمّدية لأبي رية: ٢٠٧ - ٢٠٩.

عبد الله بن عمرو بن العاص تلميذ كعب وصاحب الزاملتين!

عبد الله بن عمرو مصدر آخر من مصادر السلف ممن تتلمذ أيضاً على يد كعب، وحصل على ما لم يحصل عليه غيره، ونعني بذلك الزاملتين[١] من كتب اليهود، اللتين عثر عليهما في معركة اليرموك، وقد كانتا معه يحدّث المسلمين منهما.

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ((وقد كان له - أي: عبد الله بن عمرو - اطّلاع على ذلك من جهة زاملتين كان أصابهما يوم اليرموك، فكان يحدّث منهما عن أهل الكتاب، وعن كعب الأحبار))[٢].

وقد أوقع كعب عبد الله بن عمرو بن العاص في فخّه كما أوقع أبا هريرة من قبل، وبالطريقة ذاتها، إذ قال له يوماً: ((أنت أفقه العرب))، وهذه السياسية، أي: سياسة (النفخ) طريقة معلومة يتّبعها اليهود للإيقاع بضحاياهم والوصول من خلالها إلى مآربهم، وقد تقدّم عن كعب أنّه قال لأبي هريرة: ((ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة))[٣]. ومع العلم أنّ أبا هريرة لم يكن حتّى يقرأ أو يكتب، فهو يجهل قراءة لغته العربية فضلاً عن اللغة التي كتبت التوراة بها، وكلّ ماعنده من علم بالتوراة لم يكن له من طريق إليه سوى أهل الكتاب أنفسهم، بل ومن خلال أُستاذه كعب بالذات، فكيف صار أبو هريرة أعلم بالتوراة منه؟!!

والقول الّذي ذكرناه لكعب في حق عبد الله بن عمرو بن العاص رواه سعد في (الطبقات) وغيره عن عبد الرحمن بن السلماني، قال: ((التقى كعب الأحبار وعبد الله بن عمرو فقال كعب: أتطير؟ قال: نعم. قال: فما تقول؟ قال: أقل اللّهمّ لا طير إلا

---

(١) جاء في (لسان العرب) ١١:٣١١ : ((الزاملة: البعير الّذي يحمل عليه الطعام والمتاع كأنّها فاعلة من الزمل الحمل)). والمراد أنّه عثر على حمل بعيرين من كتب اليهود.

(٢) البداية والنهاية ٦: ٦٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٣٦، الإصابة ٧: ٣٥٨، تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ٣٤٣.

طيرك ولا خير إلا خيرك ولا ربّ غيرك ولا حول ولا قوّة إلا بك. فقال: أنت أفقه العرب، إنّها لمكتوبة في التوراة كما قلت!))[١].

وقد اعترف ابن كثير بأخذ علماء (الخلف) عن هذا (السلف) أي: عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أقوال أهل الكتاب من دون تمحيص ولا تدقيق بناءً على (حسن الظن)، الأمر الّذي يعني وجود أمور دخيلة كثيرة في هذا (الفكر السلفي)، الأمر الذي ينبغي على هؤلاء (السلفية) تمحيصه وتنظيف بيتهم الداخلي قبل الهجوم أو التهجّم على الآخرين!!

قال ابن كثير في (البداية والنهاية) عن سعة اطلاع عبد الله بن عمرو بن العاص بعلوم أهل الكتاب وأخذه بها، وأخذ (الخلف) عن هذا (السلف): ((فكان يقولها بما فيها من غير نقد، وربما أحسن بعض السلف بها الظن فنقلها عنه مسلّمة، وفي ذلك من المخالفة لبعض ما بأيدينا من الحقّ جملة كثيرة، لكن لا يتفطن لها كثير من الناس))[٢].

وإذا نظرنا إلى تصريح (راوية الإسلام) أبي هريرة في حقّ عبد الله بن عمرو ابن العاص بأنّه أكثر حديثاً منه، لأنّه كان يكتب وهو لا يكتب، ممّا يعني أنّ (الأخذ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص يكونِ أكثر! وقد علمنا (مصادره)، فتدبّر وتبصّر!!

روى البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه عن أخيه قال: ((سمعت أبا هريرة يقول ما من أصحاب النبيّ ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منّي إلا ما كان من عبد الله ابن عمرو فإنّه كان يكتب ولا أكتب))[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى ٤: ٢٦٨، تاريخ مدينة دمشق ٣١: ٢٦٤، مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٢٢٧، ٨٨:٧، التمهيد لابن عبد البر ٢٠٢:٢٤.

(٢) أُنظر: البداية والنهاية ٦: ٦٩.

(٣) صحيح البخاري ١: ٣٦.

نقول: فهذان مصدران مهمان من مصادر (الفكر السلفي) قدّمناهما للقارئ الكريم: أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، وقد كانا تلميذين مميزين للحبر اليهودي كعب، وهما - بالإضافة إلى الأخذ عن كعب - كانا قد تأثراً بكلام أهل الكتاب بشكل عام، ونقلوا ما أخذوه عنهم وحدّثوا به المسلمين من غير تمحيص أو تنقيح، فاختلطت الأمور على الراوي والآخذ عنه معاً كما صرّح بذلك محدّثو أهل السنّة أنفسهم، إذ لم يعرف الصحيح من السقيم فيما يأخذه الراوي وفيما ينقله الآخذ عنه، ممّا يمكن الجزم معه بوجود الكثير من (المدخول) اليهودي في هذا الفكر، وهو الأمر الذي سنكشف النقاب عنه في الصفحات التالية، فلنتابع معاً هذا الأمر المثير الخطير في نفس الوقت!!

أثر اليهود في العقيدة ((السلفية))[1]!!

الإشارة إلى بعض هذه العقائد..

من المعلوم أنّ اليهود مشبّهة ومجسّمة ويقولون برؤية الله بالعين المجردة، وقد سرت هذه المأثورات الثلاث عن اليهود إلى روح الفكر (السلفي) حتّى صارت عقيدة للجماعات (السلفية) خاصة، يدينون لله بها ويفتون بكفر وزندقة من لم يقل بها، بل يدعون إلى قتله!

ولنذكر في البدء أصل هذه المفردات في العقيدة (التوراتية) -وهي المحرّفة طبعاً عن توراة موسى عليه السلام الّتي تحدّى المولى سبحانه اليهود بالإتيان بها وتلاوتها كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]-، ثمّ نذكر نَقَلتها إلى الفكر (السني)، وبعدها كيف صارت هذه الأفكار (عقيدة) لمن يدّعي متابعة (السلف) خاصة، مع أنّ السلف الصالح منها براء!!

جاء في التوراة المطبوعة باسم (العهد القديم والجديد) طبعة الكنائس الشرقية في بيروت، الأصحاح الأوّل من أصحاحات التكوين:

الفقرة السادسة والعشرون: ((وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا)).

وفي الفقرة السابعة والعشرون: ((فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم)).

وفي ص٦ الفقرة الثامنة: ((وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنّة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته)).

---

(١) المراد من (السلفية) ليس مطلق أهل السنّة وإنّما تلك الجماعات الّتي تتشدق بعبارة: أنّهم أتباع السلف الصالح،مع أنّهم يتبنون عقائد منحرفة لم يتبناها ذلك السلف، أمثال ابن تيمية وأتباعه.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٣.

وفي ص ٢٤ الفقرة الأولى: ((ولمّا كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً)).

وفي ص ٢٠٤ الفقرة الثانية والعشرون: ((فقال منوح لامرأته نموت موتاً لأنّنا قد رأينا الله)).

وفي ص ٥٤٩ الفقرة الثانية: ((إنّ الربّ تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون)).

وفي ص ٤٣١ الفقرة الواحدة والعشرون: ((وعاد الربّ يتراءى في شيلوه لأنّ الربّ استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الربّ)).

وهناك عشرات النصوص الأخرى الواردة في التوراة (بعهديها القديم والجديد) - الشاملة لعقائد النصارى واليهود معاً - الّتي تنبأ بهذه العقيدة، أي: عقيدة التشبيه والتجسيم ورؤية الله عياناً.

وهذه العقيدة، والعقائد التوراتية اليهودية المزيّفة قد انتقلت إلى المسلمين عن طريق بعض الرواة الّذين تتلمذوا على يد كعب خاصة!!

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلمّا خلقه قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيّونك فإنّها تحيّتك وتحيّة ذرّيتك)[1].

وفي (إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري)، روى القسطلاني عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: (خلق آدم على صورة الرحمن)[2]. وقد جعل القسطلاني هذا الحديث قرينة على أنّ الهاء من (صورته) في الحديث المتقدّم هي لله تعالى لا لآدم.

---

(١) صحيح البخاري ٧: ١٢٥ كتاب الاستئذان، باب بدء السلام.

(٢) إرشاد الساري ٥: ٣١٩، وأُنظر تصحيحه في: ميزان الاعتدال ٢: ٤٢٠.

وأخرج البخاري في كتابه (الأدب المفرد) عن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال: (لا تقولنّ قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإنّ الله ﷻ خلق آدم على صورته)[1].

ولا يخفى أنّ ظواهر هذه الروايات تفيد تجسيم الله سبحانه وتعالى وتشبيهه بخلقه، إذ هي تثبت له - جلّ وعلا - وجهاً وصورة وأنّ هناك تشابهاً بين صورة الإنسان وصورة الله، وخاصة إذا تبنّى البعض تفسير الحديث الأوّل بالحديثين الأخيرين!

وهذه النصوص تطابق بمضامينها النصوص المتقدّمة عن التوراة، وقد تبنّاها - كعقيدة - ابن تيمية وأتباعه وساروا على (هداها) في اعتقادهم بالله تعالى!!

فقد صرّح ابن تيمية بثبوت هذا الحديث، أي: حديث (أنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن) بهذا اللفظ - من دون تأويل - في جملة من كتبه، منها: (التأسيس في ردّ أساس التقديس) و(دقائق التفسير) في الجزء الثاني منه، ص ١٧١، و(الفتاوى الكبرى) في الجزء الخامس منه، ص ٣٠٢. وهذا الاعتقاد الّذي صدح به ابن تيمية في كتبه هذه هو الّذي يسير عليه أتباعه ومقلّدوه إلى الآن، حتّى أنّ أحدهم وهو (حمود التويجري) قد ألّف كتاباً مستقلاً في إثبات هذه العقيدة، أسماه(عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)!! وهذا الكتاب قرّظه عبد العزيز بن باز مفتي الديار السعودية، كما يجده المطالع للكتاب في الصفحات الأولى منه.

وفي سؤال وجهه البعض إلى لجنة الإفتاء الوهابية (المجلد الرابع، ص ٣٦٨، فتوى رقم ٢٣٣١) تجد التبني الواضح لهذه العقيدة، جاء في السؤال: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (خلق الله آدم على صورته ستون ذراعاً)، فهل هذا الحديث صحيح؟

---

(١) الأدب المفرد: ٤٧، فتح الباري ٥: ١٣٣.

الجواب: ((نص الحديث: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ثمّ قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع فما يحيّونك فإنّها تحيّتك وتحيّة ذرّيتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله، فكلّ من يدخل الجنّة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق تنقص بعده إلى الآن). رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم. وهو حديث صحيح ولا غرابة في متنه، فإنّ له معنيين:

الأوّل: إنّ الله لم يخلق آدم صغيراً قصيراً كالأطفال من ذريته ثمّ نما وطال حتّى بلغ ستين ذراعاً، بل جعله يوم خلقه طويلاً على صورة نفسه النهائية طوله ستون ذراعاً.

والثاني: إنّ الضمير في قوله (على صورته) يعود إلى الله، بدليل ما جاء في رواية أخرى صحيحة: على صورة الرحمن، وهو ظاهر السياق، ولا يلزم على ذلك التشبيه، فإنّ الله سمّى نفسه بأسماء سمّى بها خلقه، ووصف نفسه بصفات وصف بها خلقه، ولم يلزم من ذلك التشبيه وكذا الصورة، ولا يلزم من اتيانها لله تشبيهه بخلقه؛ لأنّ الاشتراك في الاسم وفي المعنى الكلي لا يلزم منه التشبيه فيما يخص كلاً منهما، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1])). (انتهى)

ولكن، هل ترى أنّ مثل هذه السفسطة تنفع في إبعاد حقيقة التشبيه والتجسيم للمعتقد بهذه العقيدة، فإنّ هذا الكلام لا يعدو كونه فلسفة شعرية ولغو من القول سيأتي الكشف عن تهافته وتناقضه. وقبل لجنة الإفتاء هذه قد تصدّى جمع من شرّاح الأحاديث النبوية من علماء أهل السنّة ونفوا استفادة التشبيه أو التجسيم من هذه الأحاديث الّتي لا يخفى على علماء الوهابية استفادة التشبيه والتجسيم منها، مع أنّهم يحاولون دفع ذلك بألفاظ ليست دافعة له!!

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: ((قال المازري: وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث فأجراه على ظاهره، فقال لله تعالى صورة لا كالصور، وهذا الّذي قاله ظاهر الفساد، لأنّ الصورة تفيد التركيب وكلّ مركب محدث والله تعالى ليس بمحدث فليس هو مركباً فليس مصوراً، قال: وهذا كقول المجسمة جسم لا كالأجسام، لأنّهم رأوا أهل السنّة يقولون الباري سبحانه وتعالى شيء لا كالأشياء، طردوا الاستعمال فقالوا: جسم لا كالأجسام، والفرق أنّ لفظ شيء لا يفيد الحدوث ولا يتضمن ما يقتضيه، وأمّا جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث))[1]. (انتهى)

وعليه فالاعتذار المتقدّم في جواب لجنة الإفتاء عن التشبيه وتذييله بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]، اعتذار سقيم، لأنَّ حمل الصورة والجسم على الشيء إنّما هو قياس مع الفارق!

وقال ابن حبان في صحيحه عند ذكر حديث أبي هريرة المتقدّم: (((لا يقولنّ أحدكم قبح الله وجهك...))): يريد به على صورة الّذي قيل له قبّح الله وجهك من ولده، والدليل أنّ الخطاب لبني آدم دون غيرهم قوله ﷺ: ووجه من أشبه وجهك. لأنّ وجه آدم في الصورة تشبه صورة ولده))[3].

وعن الحديث الأوّل وهو حديث (خلق الله آدم على صورته)، قال ابن حبان: ((هذا الخبر تعلّق به من لم يحكم صناعة العلم وأخذ يشنّع على أهل الحديث الّذي ينتحلون السنن ويذبّون عنها ويقمعون من خالفها بأن قال ليست تخلو هذه الهاء من أن تنسب إلى الله أو إلى آدم، فإن نسبت إلى الله كان ذلك كفراً إذ ليس كمثله شيء، وإن نسبت إلى آدم تعرى الخبر عن الفائدة، لأنّه لا شك أنّ كلّ شيء خلق

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦: ١٦٦.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

(٣) صحيح ابن حبان ١٣: ١٩.

على صورته لا على صورة غيره. ولو تملق قائل هذا إلى بارئه في الخلوة وسأله التوفيق لإصابة الحقّ والهداية للطريق المستقيم في لزوم سنن المصطفى ﷺ لكان أولى به من القدح في منتحلي السنن بما يجهل معناه وليس جهل الإنسان بالشيء دالاً على نفي الحقّ عنه لجهله به.

ونحن نقول: إنّ أخبار المصطفى ﷺ إذا صحت من جهة النقل لا تتضاد ولا تتهاتر ولا تنسخ القرآن، بل لكلّ خبر معنى معلوم يعلم، وفصل صحيح يعقل، يعقله العالمون. فمعنى الخبر عندنا بقوله ﷺ: (خلق الله آدم على صورته)، إبانة فضل آدم على سائر الخلق، والهاء راجعة إلى آدم، والفائدة من رجوع الهاء إلى آدم دون إضافتها إلى الباري جلّ وعلا، جلّ ربّنا وتعالى عن أن يشبّه بشيء من المخلوقين أنّه جلّ وعلا جعل سبب الخلق الّذي هو المتحرك النامي بذاته اجتماع الذكر والأنثى، ثمّ زوال الماء عن قرار الذكر إلى رحم الأنثى ثمّ تغيّر ذلك إلى العلقة بعد مدّة ثمّ إلى المضغة ثمّ إلى الصورة ثمّ إلى الوقت المحدود فيه ثمّ الخروج من قراره ثمّ الرضاع ثمّ العظام ثمّ المراتب الأخر على حسب ما ذكرنا إلى حلول المنية به، هذا وصف المتحرك النامي بذاته من خلقه، وخلق الله جلّ وعلا آدم على صورته الّتي خلقه عليها وطوله ستون ذراعاً من غير أن تكون تقدمه اجتماع الذكر والأنثى أو زوال الماء أو قراره أو تغيير الماء علقة أو مضغة أو تجسيمه بعده، فأبان الله بهذا بفضله على سائر من ذكرنا من خلقه بأنّه لم يكن نطفة فعلقة، ولا علقة فمضغة، ولا مضغة فرضيعاً، ولا رضيعاً ففطيما، ولا فطيما فشاباً، كما كانت هذه حالة غيره ضد قول من زعم أنّ أصحاب الحديث حشوية يروون ما لا يعقلون ويحتجون بما لا يدرون))[1]. (انتهى ما أفاده ابن حبان)

وقد ذكر ابن الجوزي الحنبلي في كتابه (دفع شبه التشبيه) ثلاثة أقوال في تفسير الحديث المذكور، وخاصة فيما يتعلّق بعود الهاء في (صورته)، قال: ((قوله ﷺ:

---

(١) صحيح ابن حبان ١٤: ٣٣ـ ٣٥.

(خلق الله آدم على صورته)، للناس في هذا مذهبان، أحدهما: السكوت عن تفسيره، والثاني: الكلام في معناه، واختلف أرباب هذا المذهب في الهاء على من تعود..؟ على ثلاثة أقوال:

أحدها: تعود على بعض بني آدم، وذلك أنّ النبيّ ﷺ مرّ برجل يضرب رجلاً وهو يقول: قبّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك. فقال: (إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته).

قالوا: وإنّما اقتصر بعض الرواة على بعض الحديث فيحمل المقتصر على المفسر قالوا: فوجه من أشبه وجهك يتضمن سبّ الأنبياء والمؤمنين. وإنّما خص آدم بالذكر، لأنّه هو الّذي ابتدأت خلقة وجهه على هذه الصورة الّتي احتذى عليها من بعده، وكأنّه نبّه على أنّك سببت آدم وأنت من أولاده وذلك مبالغة في زجره فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب. ومن الخطأ الفاحش أن ترجع إلى الله ﷻ بقوله: ووجه من أشبه وجهك، فإنّه إذا نسب إليه شبه سبحانه وتعالى كان تشبيهاً صريحاً. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه، فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته).

القول الثاني: إنّ الهاء كناية عن اسمين ظاهرين، فلا يصح أن يضاف إلى الله ﷻ لقيام الدليل على أنّه ليس بذي صورة، فعادت إلى آدم، ومعنى الحديث: أنّ الله خلق آدم على صورته الّتي خلقه عليها تاماً لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه، هذا مذهب أبي سليمان الخطابي، وقد ذكره ثعلب في أماليه.

القول الثالث: أنّها تعود إلى الله تعالى، وفي معنى ذلك قولان:

أحدهما: أن تكون صورة ملك، لأنّها فعله، فتكون إضافتها إليه من وجهين:

أحدهما: التشريف بالإضافة كقوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾[1]، والثاني: لأنّه ابتدعها على غير مثال سابق. وقد روي هذا الحديث من طريق ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (لا تقبح الوجه فإنّ آدم خلق على صورة الرحمن).

قلت ـ والحديث لابن الجوزي ـ: هذا الحديث فيه ثلاثة علل: أحدها: أنّ الثوري والأعمش اختلفا فيه فأرسله الثوري ورفعه الأعمش. والثاني: أنّ الأعمش كان يدلّس فلم يذكر أنّه سمعه من حبيب بن أبي ثابت. والثالثة: أنّ حبيباً كان يدلّس فلم يعلم أنّه سمعه من عطاء.

قلت: وهذه أدلة توجب وهناً في الحديث. ثمّ هو محمول على إضافة الصورة إليه ملكاً.

والقول الثاني: أن تكون صورة بمعنى الصفة. نقول: ((هذا صورة هذا الأمر)) أي: صفته، ويكون المعنى خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام، فميّزة بذلك على جميع الحيوانات، ثمّ ميّزه على الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له.

وقال ابن عقيل: إنّما خص آدم بإضافة صورته إليه لتخصيصه وهي السلطنة الّتي تشاكلها الربوبية استعباداً وسجوداً وأمراً نافذاً وسياسات تعمّر بها البلاد ويصلح به العباد وليس في الملائكة والجن من تجمع على طاعة نوعه وقبيلته سوى الآدمي.. وإنّ الصورة ها هنا معنوية لا صورة تخاطيط، وقد ذهب أبو محمّد بن قتيبة في هذا الحديث إلى مذهب قبيح فقال: لله صورة لا كالصور فخلق آدم عليها..!! وهذا تخليط وتهافت لأنّ معنى كلامه: إنّ صورة آدم كصورة الحقّ.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): ((يطلق على الحقّ تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا اسم ذاته)).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

قلت ـ والكلام ما زال لابن الجوزي ـ: وهذا تخليط، لأنّ الذات بمعنى الشيء، وأمّا الصورة فهي هيئة وتخاطيط وتأليف، وتفتقر إلى مصوّر ومؤلف، وقول القائل لا كالصور نقض لما قاله، وصار بمثابة من يقول: جسم لا كالأجسام، فإنّ الجسم ما كان مؤلّفاً، فإذا قال: لا كالأجسام نقض ما قال))[١]. (انتهى ما أفاده ابن الجوزي)

ومن المعاصرين، قال الشيخ أبو الفضل عبد الله بن الصدّيق الغماري في الرد على المشبّهة والمجسّمة الّذين يريدون إثبات الصورة لله ﷻ ويستدلون على ذلك بحديث (خلق الله آدم عليه السلام على صورته طوله ستون ذراعاً):

((وهذا حديث مختصر من حديث في الصحيحين، والاستدلال به لإثبات الصورة لله ﷻ غلو في الإثبات مذموم، فإنّ الضمير في صورته يعود على آدم لأنّه أقرب مذكور، ويؤيد ذلك قوله طوله ستون ذراعاً، وقوله في آخر الحديث عن أهل الجنّة (على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء) فالحديث كما ترى يبيّن أنّ الضمير في صورته يعود على آدم. قال الحافظ في الفتح: والمعنى أنّ الله تعالى، أوجده على الهيئة الّتي خلقه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالاً... وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٢]، وقوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[٣]، وإقرار النبيّ لمن قال: (يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون) في الحديث الصحيح، مع ذكر الله تعالى في كتابه أنّه هو المصور ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ﴾[٤]، يوجب أنّ الله تعالى منزّه عن الصورة الّتي يضيفها

(١) دفع شبه التشبيه: ١٤٤ ـ ١٤٧.
(٢) سورة الشورى: الآية ١١.
(٣) سورة الإخلاص، الآية ٤.
(٤) آل عمران: ٦.

المجسّمة وصفاً له، ولذلك أجمع أهل السنّة على تنزيه الله عن الصورة، قال الإمام عبد القاهر البغدادي في الفرق: وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء.

ويقول أبو الحسن الأشعري في مقدّمة (الإبانة) الّتي يتبجح بها الحشوية: ليس له صورة تقال ولا حد يضرب به مثال))[1]. (انتهى)

* * *

وعن الحديث الآخر، ونعني به حديث: (إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن) أجاب محققو أهل السنة وشارحي الأحاديث، كما عن النووي في شرحه: على صحيح مسلم: ((قال المازري: هذا الحديث ـ أي: أنّ الله خلق آدم على صورته ـ ثابت، ورواه بعضهم: أنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن، وليس بثابت عند أهل الحديث وكأنّ من نقله رواه بالمعنى الّذي وقع له وغلط في ذلك))[2]. (انتهى)

وقال ابن حجر في الفتح: ((وقيل الضمير لله – أي: في حديث إنّ الله خلق آدم على صورته ـ وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه على صورة الرحمن، والمراد بالصورة الصفة، والمعنى أنّ الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء))[3].

وعن هذه الرواية قال الشيخ الغماري في (فتح المعين): إنّ الرواية الواردة بلفظ (صورة الرحمن) ضعيفة منكرة، وإنّ لفظة (الرحمن) زائدة، ومن تصرف الرواة.. إنّ هذه الرواية قد ردّها ابن خزيمة في كتابه (التوحيد)، وذكر لها عللاً ثلاثاً (وهي العلل المتقدّمة الّتي ذكرها ابن الجوزي في كلامه).

---

(١) فتح المعين بنقد كتاب الأربعين: ٣٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦: ١٦٥.

(٣) فتح الباري ١١: ٣.

قال الغماري: وله – أي: للحديث المذكور – علل أخرى ذكرتها في (الأدلة المقوّمة لاعوجاجات المجسّمة)، وعبارة (صورة الرحمن) أنكرها ابن خزيمة والمازري وأبو ثور والذهبي وكذا الألباني))[1]. (انتهى)

والجدير بالذكر هنا أنّنا نلاحظ عناء التأويل الّذي يتجشّمه علماء أهل السنّة، بلحاظ هذه الأحاديث، إنّما هو بناء منهم على القول بصحتها، وإلا فرائحة الوضع والاختلاق لا تبرح ظاهرة منها، خاصة إذا ضممنا إليها ما رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة نفسه أنّ رسول الله ﷺ قال: (كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً)[2]، فهذا الحديث ممّا لا يمكن التسليم بصحته، إذ يرد عليه ما لا مرد له:

فمثلاً، إذا كان طول الإنسان ستين ذراعاً يلزم أن يكون طول الجمجمة أكثر من ذراعين، ولكن جماجم الإنسان البدائي في القرون الأُولى الّتي تم كشفها والعثور عليها في علم الحفريات لم تكن بينها وبين جمجمة الإنسان في العصر الحالي اختلاف كثير وتفاوت كبير، وحتّى أنّه لم يعثروا إلى هذا التاريخ على أية جمجمة تكون على حجم ذراعين، ولم يحصلوا على أيّ أثر يدل على وجود إنسان ذي الستين ذراع، هذا أوّلاً.

وثانياً: إذا كان طول الإنسان ستين ذراعاً، ولكي تتناسب أعضاؤه يجب أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعاً وسبع الذراع، لا سبعة أذرع، لأنّ العرض الطبيعي مع استواء خلقته بمقدار سبعي طوله..فلو بقينا نحن والحسابات الأبو هريرية، فهذا يعني أنّ آدم عليه السلام كان قبيح الهيكل وكريه المنظر، أو أنّه لم يكن مخلوقاً مستوي الخلقة، وهو نقض لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ...﴾[3].

---

(١) فتح المعين: ٣٥.

(٢) مسند أحمد ٢: ٥٣٥.

(٣) ويرجى مراجعة سورة التين، الآية ٤ .. (أضواء على الصحيحين): ١٦٩، للوقوف على جملة أخرى من الإيرادات الواردة على هذا الحديث.

وقد توقف ابن حجر في الفتح عن قبول هذا الحديث للإشكال المتقدّم، حيث قال: ((ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود، فإنّ مساكنهم تدل على أنّ قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق[1]، ولا شك أنّ عهدهم قديم وأنّ الزمان الّذي بينهم وبين آدم دون الزمان الّذي بينهم وبين أوّل هذه الأمّة ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال))[2]. (انتهى)

وفي ختام الإشارة إلى هذه العقيدة نقول:

إنّه على الرغم ممّا ذكرناه من البيانات المتقدّمة لأئمّة الشرّاح كالنووي وابن حجر في شرحهم لخصوص هذه الأحاديث، وسعي بعض علماء أهل السنّة النأي بهذه الأحاديث عن معاني التشبيه والتجسيم وتأويلها بما يلائم الشريعة عقلاً ونقلاً، نجد أنَّ (السلفيين) يصرّون على حملها بما يفيد التشبيه والتجسيم، بل يصرّحون بأنّ هذه العقيدة إنّما هي ذاتها عقيدة اليهود، وهم لا يجدون غضاضة في الاعتقاد بها!! كما صرّح بذلك الشيخ حمود التويجري، صاحب كتاب (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)، الّذي قرظه عبد العزيز بن باز.

قال التويجري هذا في ص ٧٦ من الطبعة الثانية: ((وأيضاً فهذا المعنى - أي: بأنّ صورة آدم مخلوقة على صورة الله سبحانه - عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة فإنَّ في السفر الأوّل منها: (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها).. اهـ)).

وهكذا يعلن (السلفيون) جهاراً نهاراً ـ ومن دون أيّ خجل ـ بأنّ عقيدتهم هذه إنّما هي عقيدة اليهود ذاتها، ويستشهدون لذلك بنصّ (مقدّس) جاؤوا به من التوراة الّتي اعتبرها هذا (السلفي) أنّها مأثورة عن أنبياء الله! وكأنَّ هذا (المعتوه) لم يعلم بأنَّ

---

(١) أي: بحسب ما ورد في بعض ألفاظ الحديث عند البخاري ومسلم: (فلم يزل الخلق ينقص بعده حتّى الآن)!!

(٢) فتح الباري ٦: ٢٦٠.

هذه الكتب المتداولة إنّما هي كتب محرّفة، وأنّ الله سبحانه قد تحدّى اليهود بالإتيان بالتوراة الحقيقية وتلاوتها، كما جاء في قوله عزّ من قائل: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]؟!

نقول: ولا غرابة أن ينتهي هؤلاء في عقيدتهم هذه إلى هذه النتيجة، فإنّ هذا يُعدّ نتيجة طبيعية لسلطة الهوى والتساهل في الدين الّتي أخبر عنها المولى سبحانه بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[2].. نسأل الله العافية.

عقيدة أخرى ((مستلّة)) من عقائد اليهود!!

منفذ آخر نفذت منه عقائد اليهود إلى كتب أهل السنّة، وفيه بيان لعقيدة اليهود في الله تعالى، وتلقّفه (المتمسلفون) خاصة، وجعلوه عقيدة لهم دون بقية المسلمين، رغم محاولة بعض علماء أهل السنة تأويله أو السكوت عنه، كي لا يقعوا في (التجسيم) الّذي لا يتورع (المتمسلفون) من الوقوع فيه، بل الدفاع عنه رغم ثبوته كعقيدة منحرفة من عقائد اليهود!!

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: ((جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّا نجد أنّ الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول أنا الملك فضحك النبيّ ﷺ حتّى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾))[3]. وقد ذكر البخاري هذا الحديث بطرق أخرى لم يرد فيها ما ذكره الراوي هنا (تصديقاً لقول الحبر)[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٤٣.

(٣) صحيح البخاري ٦: ٣٣ تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

(٤) أُنظر: صحيح البخاري ٨: ١٧٣ كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

وفي لفظ مسلم: ((فضحك رسول الله تعجباً ممّا قال الحبر تصديقاً له ثمّ قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾))[١].

قال ابن حجر في الفتح: ((قال ابن بطال لا يحمل ذكر الإصبع على الجارحة، بل يحمل على أنّه صفة من صفات الذات لا تكيّف ولا تحدد وهذا ينسب للأشعري، وعن ابن فورك: يجوز أن يكون الإصبع خلقاً يخلقه الله فيحمله الله ما يحمل الإصبع ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان كقول القائل ما فلان إلا بين إصبعين إذا أراد الإخبار عن قدرته عليه، وأيد ابن التين الأوّل..)).

ثمّ نقل ابن حجر عن الخطابي قوله: ((ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي فإنّ اليهود مشبّهة وفيما يدّعونه من التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه ولا تدخل في مذاهب المسلمين، وأمّا ضحكه ﷺ من قول الحبر فيحتمل الرضى والإنكار، وأمّا قول الراوي تصديقاً له فظن منه وحسبان، وقد جاء الحديث من عدّة طرق ليس فيها هذه الزيادة، وعلى تقدير صحتها فقد يستدل بحمرة الوجه على الخجل، وبصفرته على الوجل ويكون الأمر بخلاف ذلك فقد تكون الحمرة لأمر حدث في البدن كثوران الدم والصفرة لثوران خلط من مرار وغيره وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظاً، فهو محمول على تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[٢] أي: قدرته على طيها، وسهولة الأمر عليه في جمعها بمنزلة من جمع شيئاً في كفّه واستقل بحمله من غير أن يجمع كفه عليه بل يقله ببعض أصابعه، وقد جرى في أمثالهم فلان يقل كذا بإصبعه ويعمله بخنصره..)).

ثمّ نقل ابن حجر عن قوله في المفهم: (((إنّ الله يمسك، إلى آخر الحديث) هذا كلّه قول اليهودي، وهم يعتقدون التجسيم، وأنّ الله شخص ذو جوارح كما

---

(١) صحيح مسلم ٨: ١٢٦.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٧.

يعتقده غلاة المشبّهة من هذه الأمة، وضحك النبيّ ﷺ إنّما هو للتعجب من جهل اليهودي، ولهذا قرأ عند ذلك: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عرفوه حقّ معرفته ولا عظموه حقّ تعظيمه، فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة، وأمّا من زاد (وتصديقاً له) فليست بشيء فإنّها من قول الراوي وهي باطلة، لأنّ النبيّ ﷺ لا يصدق المحال وهذه الأوصاف في حقّ الله محال، إذ لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحد منّا فكان يجب له من الافتقار والحدوث والنقص والعجز ما يجب لنا ولو كان كذلك لاستحال أن يكون إلهاً، إذ لو جازت الآلهية لمن هذه صفته لصحت للدجال وهو محال، فالمضي إليه كذب فقول اليهودي كذب ومحال، ولذلك أنزل الله في الرد عليه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وإنّما تعجّب النبيّ ﷺ من جهله فظن الراوي أنّ ذلك التعجّب تصديق وليس كذلك فإن قيل قد صح حديث أنّ قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن، فالجواب أنّه إذا جاءنا مثل هذا في الكلام الصادق تأوّلناه أو توقفنا فيه إلى أن يتبين وجهه مع القطع باستحالة ظاهره لضرورة صدق من دلّت المعجزة على صدقه، وأمّا إذا جاء على لسان من يجوز عليه الكذب، بل على لسان من أخبر الصادق عن نوعه بالكذب والتحريف كذّبناه وقبّحناه، ثمّ لو سلّمنا أنّ النبيّ ﷺ صرّح بتصديقه لم يكن ذلك تصديقاً له في المعنى، بل في اللفظ الّذي نقله من كتابه عن نبيه ونقطع بأنّ ظاهره غير مراد.. انتهى ملخصاً))[1].

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: ((هذا الحديث من أحاديث الصفات وقد سبق فيها المذهبان: التأويل، والإمساك عنه مع الإيمان بها مع اعتقاد أنّ الظاهر منها غير مراد. فعلى قول المتأوّلين يتأوّلون الأصابع هنا على الاقتدار، أي: خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل، والناس يذكرون الإصبع في مثل هذا للمبالغة والاحتقار فيقول أحدهم بإصبعي أقتل زيداً، أي: لا كلفة عليّ في قتله. وقيل: يحتمل

---

(١) فتح الباري ١٣: ٣٣٦، ٣٣٧.

أنَّ المراد أصابع بعض مخلوقاته، وهذا غير ممتنع، والمقصود أنَّ يد الجارحة مستحيلة))[١]. (انتهى)

وقال ابن الجوزي الحنبلي في كتابه (دفع شبه التشبيه): ((ظاهر ضحك النبيّ ﷺ الإنكار، واليهود مشبّهة ونزول الآية دليل على إنكار الرسول ﷺ))[٢].

وهكذا نجد غير هؤلاء الأعلام من أهل السنّة قد ذكروا في كتبهم ما يردّ دعوى استفادة التجسيم أو التشبيه من الحديث المذكور، إلا أنّنا مع هذا نجد (المتمسلفون) وأمثالهم من دعاة التجسيم يرون أنّ سكوته ﷺ عن قول اليهودي يعدّ إقراراً له، وهذا ممّا لا يمكن المصير إليه!

قال المحدّث الغماري في كتابه (فتح المعين): ((وهذا - أي: دعوى الإقرار - لا يكفي أبداً في إثبات صفة لله تعالى، واعتقادها كما يعتقد غيرها الثابت بطريق اليقين. وإليك البيان:

أوّلاً: تقرير النبيّ ﷺ حجّة إذا كان تقريراً لمسلم، أمّا غير المسلم فلا. هذا هو المقرر في علم الأصول. قال الشوكاني في (إرشاد الفحول) في مبحث التقرير: ولابدّ أن يكون المقرر منقاداً للشرع، فلا يكون تقرير الكافر على قول أو فعل، دالاً على الجواز، قال الجويني: ويلحق بالكافر المنافق، وخالفهُ المازري، فقال: إنّا نجري على المنافق أحكام الإسلام في الظاهر، وأُجيب عنه بأنّ النبيّ ﷺ كان كثيراً ما يسكت عن المنافقين، لعلمه أنّ الموعظة لا تنفعهم.. اهـ. فسقط كلام ابن خزيمة (الّذي كان يستدل بالإقرار)، لأنّه مخالف لما تقرر في علم الأصول[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧: ١٢٩.

(٢) دفع شبه التشبيه: ٢٠٦.

(٣) ونضيف لما ذكره الغماري هنا من أقوال علماء أهل السنة في شروط الأخذ بإقرار النبي ﷺ ماذكره الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني في كتابه (تحذير الساجد): ٥٧، قال: (لا يصح أن يعتبر عدم الرد عليهم ـ أي: على الكفار ـ إقراراً لهم إلا إذا ثبت أنّهم كانوا مسلمين وصالحين متمسكين بشريعة نبيّهم...وحينئذ فعدم الرد عليه لا يعدّ إقراراً بل إنكاراً). (انتهى)

ثانياً: إنّ ضحك النبيّ ﷺ ليس نصّاً في تصديق اليهود كما فهم الراوي، بل يحتمل الإنكار. وتلاوة الآية أولى بالدلالة على الإنكار لأنّ الآية لا ذكر فيها للأصابع، وإذ احتمل الدليل وجهين، سقط به الاستدلال.

ثالثاً: إنّ الأصابع لم تأتِ في خبر مقطوع به كما قال الخطابي ووافقه الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

رابعاً: إنّها لم تخل من تأويل صحيح موافق للغة العرب. قال الخطابي: ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي، فإنّ اليهود مشبّهة، وفيما يدّعونه من التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه، ولا تدخل في مذاهب المسلمين.

وأمّا ضحكه ﷺ من قول الحبر، فيحتمل الرضا والإنكار، وأمّا قول الراوي: تصديقاً له، فظن منه وحسبان، وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظاً، فهو محمول على تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي: قدرته على طيها، وسهولة الأمر في جمعها بمنزلة من جمع شيئاً في كفه، واستقل بحمله من غير أن يجمع كفه عليه، بل يقله ببعض أصابعه، وقد جرى في أمثالهم: فلان يقل كذا بإصبعه، ويعمله بخنصره))[1]. (انتهى)

وهكذا تجد أنّ علماء أهل السنّة يرفضون هذه الدعوى المزعومة بأنّ أحد حاخامات اليهود أقبل إلى النبيّ ﷺ وعلّمه التجسيم!!

إلا أنّ إمام الوهابية - محمّد بن عبد الوهاب - لا يتردد في تبنّي هذه العقيدة اليهودية!! ونراه قد استنبط من الحديث المذكور تسع عشرة مسألة يدين لله تعالى بها، قدّمها إلى المسلمين في مبادرة منه ليعبدوا الله تعالى على أساسها وليوحّدوه كما وحّده هو.. فلننظر إلى ما جاء في كتابه (التوحيد)، فقد قال بعد نقله للحديث المتقدّم:

((فيه مسائل:

---

(١) فتح المعين: ١٧ ـ ١٩.

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

الثانية: أنَّ هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الّذين في زمنه لم ينكروها ولم يتأوّلوها (!!)

الثالثة: أنّ الحبر لمّا ذكر ذلك للنبيّ ﷺ صدّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك(!!)

الرابعة: وقوع الضحك الكثير من رسول الله ﷺ عنده، لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم (!!).

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأنَّ السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: كخردلة في كف أحدهم.

التاسعة: عظمة الكرسي بنسبته إلى السماوات.

العاشرة: عظمة العرش بنسبته إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أنّ العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كلّ سماء إلى سماء.

الثالثة عشر: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشر: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشر: أنَّ العرش فوق الماء.

السادسة عشر: أنَّ الله فوق العرش.

السابعة عشر: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشر: كثف كلّ سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشر: أنَّ البحر الّذي فوق السماوات، بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة سنة))[١].

قال الشيخ عبد الرحمن حفيد محمّد بن عبد الوهاب في شرحه على كتاب جدّه المتقدّم، في النسخة الّتي صححها وعلّق عليها الشيخ عبد العزيز بن باز أيضاً: ((وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبيّ ﷺ ربّه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات الّتي تدل على عظمته وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبيّ ﷺ في شيء منها: إنّ ظاهرها غير مراد، وإنّها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقّاً بلّغه أمينه أمّته، فإنّ الله أكمل به الدين وأتمّ به النعمة فبلّغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين))[٢].

فالعقائد عند هؤلاء القوم ـ كما يرى القارئ الكريم ـ لا تتم إلا بهذا الشكل، ولايكتمل التوحيد إلا بالالتزام بهذه العقيدة اليهودية في التجسيم، إذ القرآن نزل بتقريرها ـ كما يصرّح به إمام الوهابية محمّد بن عبد الوهاب ـ، وأيضاً أنّ النبيّ ﷺ سكت عنها ولم يعلّق عليها بشيء، أو يقل إنَّ ظاهرها غير مراد ـ كما فتق به العلم حفيده ـ، بل وأكثر من هذا أنّ هذا العلم العظيم في (التجسيم) – وحسب استنباط ابن عبد الوهاب – بقي سالماً عند اليهود ولم تنله يد التحريف حتّى وصل عن طريق (الحاخام) إلى النبيّ ﷺ!!

ونحن ـ وبحسب الظاهر من طبائع القوم – لا أظنّه ينفعنا الحديث معهم هنا في علمي التفسير أو الأصول اللذين تتنافى نتائجهما مع ما توصل إليه الوهابيون والمجسّمة في هذا المقام، وقد تقدّم بيان شيء من ذلك عمن يشاركهم في كثير من

(١) كتاب التوحيد ١: ١٥١.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: ٤٦١.

أصول الدين وفروعه، ومن الّذين صدقوا القول بأنّهم يبرؤون إلى الله من عقيدة (التجسيم) و(التشبيه) هذه الّتي تجهر بها أحاديث اليهود المتقدّمة!! ولكن (المتمسلفون) وجدوها هي العقيدة الحقّة، وظنوا أنّهم - بكلّ بساطة - سيبرؤون من عقيدة (التجسيم) هذه حين يضيفون إليها بعض الكلمات المتقاطعة، مثل قولهم: بلا تكييف وبلا تشبيه أو تمثيل أو تعطيل.

وهذا الكلام ـ كما يقول ابن الجوزي الحنبلي ـ كلام مخبط أو كلام قائم قاعد، لأنّه إمّا أن يثبت جوارحاً وإمّا أن يتأوّلها، إذ الحمل على الظاهر وأنّ معناها الحقيقي مراد مع دعوى تقرير النبيّ ﷺ والقرآن لذلك، يكون ظاهراً في التجسيم، لأنّ ظواهرها الجوارح، وهي تفيد التبعيض. وحملها على غير الظاهر فهذا يعني التأويل، وهم لا يلتزمون به، فثبت عليهم ما يدّعون الفرار منه[1]!!

ملاحظة يجدر التنبيه عليها!

وهنا ملاحظة نريد أن نلفت النظر إليها، وهي: أنَّ البعض يحاول أن يخلط في كلماته بين مذهب التفويض الّذي يدين به بعض أهل السنّة كمالك وسفيان بن عيينة، وهو مذهب كثير من الرواة والمحدّثين القدامى، وهو أيضاً مذهب بعض الأشاعرة، وهو المذهب الّذي يقول بتحريم التأويل وتجميد تفسير آيات الصفات وأحاديثها، وتفويضها إلى الله تعالى، وتحريم الكلام في معانيها مطلقاً، وبين مذهب المجسّمة من الحنابلة الّذي تعصّب له ابن تيمية والذهبي والوهابيون، والّذي يقول بتحريم التأويل أيضاً إلا أنّه يوجب تفسير آيات الصفات وأحاديثها بمعناها الظاهري الحسي والقول بأنّ لله تعالى يداً ووجهاً ورجلاً وجنباً بالمعنى اللغوي المعروف، وهو أيضاً مذهب اليهود وكعب الأحبار.. ولعل البعض لاحظ نقطة الاشتراك بين المذهبين فقط وهي تحريم التأويل فاستعار بعض المفردات الواردة في كلمات

(١) أنظر كلامه في الرد على مجسّمة الحنابلة في (دفع شبه التشبيه): ٢٠٧.

بعض العلماء عن مذهب التفويض، خاصة أنّه مذهب بعض الصحابة والسلف، فأغدقها على مذهب المجسّمة وموّه على الناس بأنّ التجسيم مذهب للسلف أيضاً، وهذا خلط ظاهر، إذ الفرق بين المذهبين كبير، والمسافة بينهما بعيدة.. الأمر الّذي ينبغي الانتباه له والتنبيه عليه!

عقيدة أخرى!

رؤية اللّه بالعين المجردة.. عقيدة يهودية

مرّت بنا سابقاً تلك النصوص من التوراة المحرّفة الّتي تذكر أنّ الرب ظهر لأبرام وقال له: أنا الله القدير، سر أمامي وكن كاملاً، وأيضاً قول منوح لامرأته: نموت موتاً لأنّنا قد رأينا الله. وأيضاً ما ورد في الفقرة الثانية ص ٥٤٩: بأنّ الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون.

وكذلك ورد في التوراة في ص ٤٣١، الفقرة الواحدة والعشرون: ((وعاد الرب يتراءى في شيلوه))..إلى غيرها من النصوص الّتي زخرت بها هذه الصحائف المحرَّفة، والدالة على رؤية الله عياناً.

فهذه العقيدة، قد أفتى (السلفيون) بكفر من خالفها كما سيأتي بيانه، وهي لها في نفس الوقت جذور يهودية في نفس المصادر الّتي يعتمد عليها (السلفية) ويأخذون دينهم عنها، وأبرز تلك الجذور هو كعب الأحبار الّذي كان يقول: ((إنّ الله قسّم رؤيته وكلامه بين محمّد وموسى فكلّم موسى مرّتين ورآه محمّد مرّتين))[1].

وقد أنكر كبار الصحابة هذه الدعوى على كعب، وفي هذا روى البخاري عن مسروق قال: ((قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمتاه هل رأى محمّد صلى الله عليه وسلم ربّه؟ فقالت: لقد قفّ

---

(١) أُنظر سنن الترمذي ٥: ٦٨، المستدرك على الصحيحين ٢: ٦٢٩ صححه، ووافقه الذهبي على شرط مسلم، تفسير القرطبي ٧: ٥٦، تفسير ابن كثير ٤: ٢٦٨، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ١٩٦.

شعري ممّا قلت، أين أنت من ثلاث من حدّثكهنّ فقد كذب، من حدّثك أنّ محمداً ﷺ رأى ربّه فقد كذب، ثمّ قرأت: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْياً أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[2]، ومن حدّثك أنّه يعلم ما في غد فقد كذّب، ثمّ قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾[3]. ومن حدّثك أنّه كتم فقد كذب، ثمّ قرأت: ﴿يَا أيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[4] الآية. ولكنه رأى جبرئيل عليه السلام في صورته مرّتين»[5].

وهذه الروايات قد ذكرها أيضاً الترمذي في سياق ردّ عائشة المباشر على كلام كعب المتقدّم[6]، فليراجع ثمة.

وأيضاً جاء في صحيح مسلم، عن مسروق قال: «كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلّم بواحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفرية قلت: ما هنّ؟ قالت: من زعم أنّ محمّداً ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[7]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[8]. فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنّما هو جبريل لم أره على صورته الّتي خُلق عليها غير هاتين المرّتين»[9].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٣) سورة لقمان، الآية ٣٤.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٥) صحيح البخاري ٦: ٥٠ كتاب التفسير، تفسير سورة النجم.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٥٦.

(٧) سورة التكوير، الآية ٢٣.

(٨) سورة النجم، الآية ١٣.

(٩) صحيح مسلم ١: ١١٠ باب معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى، وهل رأى النبيّ ﷺ ربّه ليلة الإسراء.

ففي هذه الأحاديث لا يخفى على المتمعن في قول عائشة أنّها قد ردّت الظني، وهو ما كان يتصوره البعض أنّ هذه الآيات تفيد رؤية النبيّ ﷺ لله ﷻ، ردّته بقاطع من القول وهو بيان رسول الله ﷺ في ذلك، حيث ذكرت أنّها قد سألت النبيّ ﷺ عن هذا المعنى مباشرة، فأجابها ﷺ بأنّ الّذي رآه إنّما هو جبرئيل عليه السلام حيث لم يره على صورته الّتي خلقه الله عليها من قبل سوى هاتين المرتين.. ومن هنا كانت عائشة تكذّب بشكل جازم كلّ من يدّعي أنّ النبيّ ﷺ رأى الله سبحانه وتعالى، بل وتستدل على امتناع ذلك بقوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[1]، وهذه الآية مطلقة تفيد نفي الرؤية عن الله في الدنيا والآخرة، وقد طبّقتها عائشة على أحد مصاديق الموضوع وهو رؤية النبيّ ﷺ لله ﷻ في حادثة الإسراء والمعراج!

إلا أنّ البعض قد تجشّم عناء الرد على عائشة في هذا المورد، فجاء كلامه في المقام أوهن من بيت العنكبوت.

ومن هذه الردود ما ذكره النووي في شرحه على مسلم بقوله: «إنّ عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنّما اعتمدت الاستنباط من الآيات... ثمّ قال بعدها: فأمّا احتجاج عائشة بقول الله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ فجوابه ظاهر، فإنّ الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة»[2]. (انتهى)

وهذا الكلام من النووي كما ترى، فإنّ عائشة لم تعتمد في نفي الرؤية على الاستنباط من الآيات فحسب، وإنّما كان عمدة كلامها سؤالها للنبيّ ﷺ عن هذا المعنى بالتحديد وبيانه ﷺ لها في ذلك، وهو ظاهر من رواية مسلم ذاتها.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢: ٥.

وأمّا قوله إنّ الإدراك في الآية الكريمة هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به، ففيه تقصير فاضح عن فهم معاني الألفاظ في اللغة العربية، إذ إنّ الإدراك متى ما قرن بالبصر لا يفهم منه إلا الرؤية بالعين، كما أنّه إذا قرن بآلة السمع فيقال: أدركته بإذني، لا يفهم منه إلا السماع، وهكذا إذا أضيف إلى كلّ واحدة من الحواس فإنّه يفيد ما تلك الحاسة آلة فيه، ومن هنا عدّ قول القائل: (أدركته ببصري وما رأيته)، من المتناقضات عند العرب السامعين لذلك!

ومن هنا أيضاً قال ابن حجر في الفتح في معرض ردّه على كلام النووي المتقدّم: ((وجزمه بأنّ عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فإنّه قال في كتاب التوحيد من صحيحه: النفيُ لا يوجب علماً ولم تحك عائشة أنّ النبيّ ﷺ أخبرها أنّه لم ير ربّه وإنّما تأولت الآية انتهى. وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الّذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق، في الطريق المذكور، قال مسروق: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: ألم يقل الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[1] فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: إنّما هو جبريل. وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بهذا الإسناد، فقالت: أنا أوّل من سأل رسول الله ﷺ عن هذا فقلت: يا رسول الله هل رأيت ربّك؟ فقال: لا، إنّما رأيت جبريل منهبطاً...)).

قال ابن حجر: ((واستدل القرطبي في المفهم بأنّ الإدراك لا ينافي الرؤية بقوله تعالى حكاية عن أصحاب موسى فلمّا تراءى الجمعان قال أصحاب موسى: إنّا لمدركون قال: كلا. وهو استدلال عجيب لأنّ متعلّق الإدراك في آية الانعام البصر فلمّا نفى كان ظاهره نفي الرؤية بخلاف الإدراك الّذي في قصة موسى)).

إلا أنّ ابن حجر قال بعد كلامه المتقدّم هذا: ((ولولا وجود الأخبار بثبوت الرؤية ما ساغ العدول عن الظاهر)).

---

(١) سورة النجم، الآية ١٣.

ثمّ ذكر في السياق ذاته - أي: في سياق إثبات الرؤية - قولاً للقرطبي جاء فيه: «الأبصار في الآية جمع محلى بالألف واللام فيقبل التخصيص، وقد ثبت دليل ذلك سمعاً في قوله تعالى: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[1] فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]، قال وإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة إلى المرئي. انتهى. وهو استدلال جيد»[3]. (انتهى)

وفي التعليق عمّا أفاده ابن حجر هنا في آخر كلامه، نقول: إنّ هذه الأخبار لو صحت، فإنّما هي أخبار آحاد لا تفيد إلا الظن، ومسألة الرؤية هي من مسائل العقائد وليست مسألة فقهية يكتفى فيها بخبر الواحد الثقة، وإنّما يشترط للإيمان بها أن يكون ذلك بما يفيد القطع واليقين ولا يصح الاكتفاء بالظن في هذا المجال، فكيف إذا اجتمع مع الظن كونها من المسائل المختلف فيها بين أهل السنّة أنفسهم، وهو ما اعترف به علماء أهل السنّة وصرّحوا بوجود الاختلاف في هذه المسألة بين السلف والخلف على الإطلاق!!

قال القاضي عياض: «اختلف السلف والخلف، هل رأى نبيّنا ﷺ ربّه ليلة الإسراء؟ فأنكرته عائشة ﵂، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وذهب إليه جماعة من المحدّثين والمتكلّمين»[4].

هذا كلّه بالنسبة لرؤية النبيّ ﷺ لله ﷻ في الدنيا.

وأمّا بالنسبة لرؤيته سبحانه في الآخرة، فقد صرّح ابن حجر - كما جاء في فتح الباري - أنّ غاية ما يمكن الاستناد إليه في الموضوع هو ما جمعه الدارقطني من

(١) سورة المطففين، الآية ١٥.
(٢) سورة القيامة، الآية ٢٢، ٢٣.
(٣) أُنظر: فتح الباري ٨: ٤٦٧.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٣: ٤.

الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وأنّ هذه الأحاديث قد تتبعها ابن القيم في (حادي الأرواح) فبلغت الثلاثين وأكثرها ـ كما يقول ابن حجر ـ جياد، وقد أسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح[1].

وهذه الدعوى من ابن حجر تتبعها الشيخ السقّاف في كتابه الموسوم بـ(صحيح شرح العقيدة الطحاوية) وقال معلّقاً: ((قلت: ليست الأحاديث بجياد ولا صحاح، ولم يستطع أن يصرّح – أي: ابن حجر – بتواترها كأحاديث الشفاعة والحوض، وأمّا ما ذكره عن الدارقطني فلم يثبت، لأنّ الكتاب الّذي جمع الدارقطني فيه الطرق مدسوس على الدارقطني على الصحيح الراجح، ولم يثبت عنه كما بيّنت ذلك في رسالة خاصة صنّفتها في ذلك وهي مطبوعة في آخر كتاب (دفع شبه التشبيه)، ص ٢٨٩، وأسميتها (البيان الكافي)، والأحاديث الّتي في ذلك الكتاب ذكرها ابن القيم وزاد عليها، وقد تتبعت ما ذكره ابن القيم في (حادي الأرواح) (من ص ٢٦٠ ـ ٣٠٣) ونظرت في متون وأسانيد تلك الأحاديث الّتي أوردها وأكثرها ضعيف أو موضوع، ولم أجد ما يصح التمسك به إلا حديث جرير في الصحيحين وحديث أبي موسى وهو مشكل، وباقي الأحاديث مشكلة جدّاً، وبعضها شاذ مردود لا يصح الاستدلال به كحديث أبي سعيد وأبي هريرة الّذي في الصحيحين والّذي فيه (فيأتيهم في غير صورته الّتي يعرفون...) الحديث المعروف، وقد تكلّمنا عليه وبيّنا شذوذه في التعليق على (دفع شبه التشبيه)، ص ١٥٧، وفي هذا الكتاب وبقية ما ذكره من الأحاديث وهو أكثرها ضعيف منكر أو موضوع تالف)).

قال الشيخ السقّاف: ((ولذلك لم يصرّح الحافظ ابن حجر بتواتر الحديث مع أنّه صرّح بتواتر أحاديث أخرى لم تبلغ طرقها العدد الّذي بلغه عدد طرق أحاديث الرؤية، فالحديث غير متواتر قطعاً)).

---

(١) أُنظر: فتح الباري ١٣: ٣٦٥.

ثمّ قال: ((وحديث جرير هذا[١] لو انضم له حديث آخر أو حديثان عن غير جرير يكون من قبيل الآحاد الّذي لا يفيد القطع في هذه المسألة، فنحن إذا رجّحنا ثبوت الرؤية يوم القيامة، أي: في الجنّة لم نقطع بها، فالمسألة ظنية ليست من أصول العقيدة وإنّما من الفروع، وفيها خلاف بين أهل السنّة أنفسهم كما تقدّم، وكذا بين جمهور أهل السنّة وبين من ينفيها كالمعتزلة والإباضية والزيدية وغيرهم، وقد أخطأ من ادّعى الإجماع فيها))[٢]. انتهى كلام السقاف.

وأمّا قول القرطبي الّذي تقدّم ذكره في الفتح بأنّ الأبصار في آية ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ**﴾ جمع محلى بالألف واللام فيقبل التخصيص.. الخ.

نقول: من المعلوم أنّ ألفاظ الجمع المحلى بالألف واللام الواردة في سياق النفي إنّما تفيد عموم السلب لا سلب العموم، فهي تأبى التخصيص ويكون السلب فيها عاماً شاملاً لكلّ فرد من أفرادها، كما في قولنا: لا يحب الله المنافقين، ولا يبغض المؤمنين، وأمثال ذلك.

وكذا بقية الأدلة السمعية الّتي أوردها القرطبي، فهي قابلة للنقاش في المقام، ولا يمكن الجزم بها على مطلوبه، فمثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[٣]، ليس فيه دليلاً على أنّهم محجوبون عن رؤيته سبحانه، إذ الحجاب لا يصح إلا في حقّ من يكون في جهة ومكان ما، والمولى سبحانه لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عن عباده، ولكنه يعني أنّهم عن ثواب ربّهم وكرامته محجوبون كما ذكر ذلك الطبري في تفسيره عن قتادة[٤]، وأيضاً نقله الشوكاني في

---

(١) وهو ما رواه البخاري (١: ١٣٩) ومسلم (٢: ١١٣) عنه، قال: ((كنّا جلوساً عند النبيّ ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: إنّكم سترون ربّكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)).

(٢) أُنظر: صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ٥٨٦ ـ ٥٨٨.

(٣) سورة المطففين، الآية ١٥.

(٤) تفسير الطبري ٣٠: ١٢٦.

(فتح القدير) عن قتادة وابن أبي مليكة ومجاهد وابن كيسان[١].. وأيضاً الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢] لا دلالة فيه على أنّ المراد بالنظر هنا هو خصوص الرؤية البصرية، لأنّ لفظ النظر ولاسيما المتعدّي منه بإلى ليس اسماً للرؤية نفسها، ولا هو بملازم لها، وإنّما هو مدّ الطرف نحو الشيء رآه أو لم يره، كما نصّ عليه أهل اللغة في معاجمهم، ودليله من كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[٣]، حيث أثبت نظرهم إليه في حال نفي الإبصار عنهم وما ذاك إلا لأنّ النظر والرؤية متغايران وغير متلازمين.

وأيضاً يقال في العرف: «نظرت إلى الهلال فلم أره»، و«نظرت إليه فرأيته». وإذا كان النظر والرؤية متغايرين، ولا تلازم بينهما، فلا دلالة في الآية على خصوص الرؤية البصرية كما يحاول البعض استفادته من الآية ذاتها، بل المتبادر إلى الأذهان من قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنّها تنتظر وتتوقع فضل الله وما أعدّه لها من الكرامة في دار الآخرة كما يقول أهل العرف: إنّما ننظر إلى الله ثمّ اليك، أي: إنّما ننتظر ونتوقع فضل الله ثمّ فضلك، واستعمال النظر في الانتظار سائغ عند العرب ولاسيما المتعدّي منه بإلى، ومنه قول الشاعر:

وجوه ناظرات يوم بدر ... إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

إذ أثبت النظر إلى الرحمن مع عدم رؤيته، ونصّ في آخر البيت على أنّ مراده من قوله في أوّله: وجوه ناظرات. أنّها تنتظر الخلاصا. بل هذا المعنى - أي: مجيء ناظرة بمعنى منتظرة - ورد ذكره في القرآن الكريم، في قوله تعالى حكاية عن

---

(١) فتح القدير ٥: ٤٠.
(٢) سورة القيامة، الآية ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٩٨.

بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[١]، أي: منتظرة بم يرجع المرسلون.

بل نقول: يوجد دليل من نفس الآية المذكورة يوجب الحمل على هذا المعنى ـ أي: حمل (ناظرة) على معنى (منتظرة) ـ دون غيره من المعاني، وهذا الدليل هو تقديم المعمول في الآية على العامل، فإنّ تقديمه عليه يعدّ كنص صريح في اختصاص الله تعالى بنظرهم إليه...ألا ترى أنّ قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ في الدلالة على هذا الاختصاص على حدّ قوله سبحانه: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[٢]، ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٣]، ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[٤]، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٥]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٦].

فهذا يوجب القطع بأنّ النظر الوارد في الآية الكريمة لا يراد منه الرؤية، لأنّ المؤمنين يوم القيامة ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها حصر ولا تدخل تحت عدد في محشر تجتمع فيه الخلائق من إنس وجن وملائكة وغيرهم، فاختصاصه تعالى بنظرهم إليه -لو كان الله جائز الرؤية - مستحيل..ولذلك وجب حمل الآية على معنى يصح معه هذا الاختصاص، والّذي يصح معه ذلك إنّما هو كون (ناظرة) في الآية بمعنى (منتظرة) كقول أحدنا: إنّما أنا في أمور دنياي وآخرتي ناظر إلى ربّي ﷻ.

بل يمكن أن يضاف إلى ذلك كلّه أمر آخر وهو الاستفادة من السياق، إذ إنّ سياق التضاد الوارد في الآية الكريمة يرشدنا إلى المعنى المذكور دون غيره من

---

(١) سورة النمل، الآية ٣٥.

(٢) سورة القيامة، الآية ١٢.

(٣) سورة القيامة، الآية ٣٠.

(٤) سورة الشورى، الآية ٥٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

(٦) سورة الفاتحة، الآية ٥.

المعاني، فانظر إلى قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[١]، فإنّك تجد أنَّ قوله تعالى: ﴿بَاسِرَةٌ﴾، أي: مقطبة معلول لقوله: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، أي: أنّها تتوقع أن يفعل بها داهية من العذاب...فالآيات في مقام تصوير هيئتين متضادتين تنتظران عاقبتين متضادتين، فالأولى تنتظر إنجاز الوعد بالأجر والثواب، والثانية تنتظر الوعيد بإنزال العقوبة والعذاب.

وهذا المعنى هو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وأيضاً يروى عن مجاهد والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك[٢]، واختاره الزمخشري عند تفسيره للآية الكريمة من كشّافه حين قال: «فإنَّ المؤمنين نظّارة ذلك اليوم، لأنّهم الآمنون الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنىً يصح معه الاختصاص، والّذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظرٌ فيما يصنع بي. تريد معنى التوقع والرجاء، ومنه قول القائل:

وإذا نظرتُ إليكَ من مَلِك والبحرُ دونَك زدتني نعما»[٣]

وممّن أنكر أيضاً عقيدة الرؤية هذه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، فقد جاء في كتاب التفسير من صحيح البخاري عند تفسيره لبعض الآيات من سورة النجم قوله عن علقمة عن ابن مسعود: «﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: رأى رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق»[٤].

---

(١) سورة القيامة، الآية ٢٢ ـ ٢٥.

(٢) أنظر: مجمع البيان للطبرسي ١٠: ١٩٩، وجامع البيان للطبري ٢٩: ٢٣٩.

(٣) تفسير الكشاف ٤: ٥٠٩، ٥١٠.

(٤) صحيح البخاري ٦: ٥١ كتاب التفسير، تفسير سورة النجم الآية: ١٨.

وفي صحيح مسلم في باب هل رأى النبيّ ربّه ليلة الإسراء، روى مسلم عن زرّ ابن حبيش عن عبد الله بن مسعود: ((﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1] قال: رأى جبريل له ستمائة جناح))[2].

وفي مسند أحمد: ((قال ابن مسعود ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض))[3].

إلا أنّ البعض ومن أجل تثبيت هذه العقيدة اليهودية قد يستعين بتمحلات لا يستطيع الالتزام بها في غير هذا المورد، وقد يضم إلى ذلك إساءة الأدب مع أمّه (عائشة) ـ كما يقول بعض المحققين ـ كابن خزيمة الّذي قال في كتابه (التوحيد): ((هذه لفظة أحسب عائشة تكلّمت بها في وقت غضب، ولو كانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها كان أجمل بها، ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائلة: قد أعظم ابن عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربّهم[4]! ولكن قد يتكلّم المرء عند الغضب باللفظة الّتي يكون غيرها أحسن وأجمل منها، أكثر ما في هذا أنّ عائشة رضي الله عنها وأباذر وابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه قد اختلفوا هل رأى النبيّ ﷺ ربّه؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: لم ير النبيّ ﷺ ربّه، وقال أبو ذر وابن عباس رضي الله عنهما: قد رأى النبيّ ﷺ ربّه، وقد أعلمت في مواضع من كتبنا أنّ النفي لا يوجب علماً والإثبات هو الّذي يوجب العلم، لم تحك عائشة عن النبيّ ﷺ أنّه لم ير ربّه ﷻ وإنّما تلت قوله ﷻ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً﴾، ومن تدبّر هاتين الآيتين ووفّق لإدراك

---

(١) سورة النجم، الآية :١١.

(٢) صحيح مسلم ١: ١٠٩ باب معنى قول الله ﷻ ولقد رآه نزلة أخرى، وهل رأى النبيّ ﷺ ربّه ليلة الإسراء؟!

(٣) مسند أحمد ١: ٣٩٤.

(٤) يريد ما ورد عن عائشة كما في رواية مسلم المتقدّمة ـ ١: ١١٠ باب معنى قول الله ﷻ ولقد رآه نزلة أخرى ـ : (من زعم أنّ محمّداً ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية).

الصواب علم أنّه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق الرمي بالفرية على الله، كيف بأن يقول قد أعظم الفرية على الله! لأنّ قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، قد يحتمل معنيين على مذهب من يثبت رؤية النبيّ ﷺ خالقه ﷻ قد يحتمل بأن يكون معنى قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، على ما قال ترجمان القرآن لمولاه عكرمة: ذاك نوره الّذي هو نوره، إذا تجلّى بنوره لا يدركه شيء. والمعنى الثاني، أي: لا تدركه الأبصار أبصار الناس، لأنّ الأعم والأظهر من لغة العرب أنّ الأبصار إنّما تقع على أبصار جماعة، لا أحسب عربياً يجيء من طريق اللغة أن يقال لبصر امرئ واحد أبصار، وإنّما يقال لبصر امرئ واحد بصر، ولا سمعنا عربياً يقول لعين امرئ واحد بصران فكيف أبصار! ولو قلنا: إنّ الأبصار ترى ربّنا في الدنيا لكنا قد قلنا الباطل والبهتان، فأمّا من قال أنّ النبيّ ﷺ قد رأى ربّه دون سائر الخلق فلم يقل إنّ الأبصار قد رأت ربّها في الدنيا فكيف يكون يا ذوي الحجا من ينفي أنّ النبيّ ﷺ محمّداً قد رأى ربّه دون سائر الخلق مثبتاً أنّ الأبصار قد رأت ربّها، فتفهموا يا ذوي الحجا هذه النكتة تعلموا أنّ ابن عباس رضي الله عنهما وأبا ذر وأنس بن مالك ومن وافقهم لم يعظموا الفرية، لا ولا خالفوا حرفاً من كتاب الله في هذه المسألة))[1]. (انتهى كلام ابن خزيمة)

قال محقق كتاب (التوحيد) لابن خزيمة وهو الشيخ محمّد خليل هراس المدرّس بكلية أصول الدين بالأزهر في جملة تعليقات له على المتن المتقدّم من الكتاب:

((إنّ عذر عائشة ؓ أنّها كانت تستعظم ذلك وتستنكره ولهذا قالت لمسروق (لقد قف شعري بما قلت)، وليس من حقّ المؤلف أن يعلم أمّه الأدب فهي أدرى بما تقول منه!)).

((إنّ عائشة ؓ لم تعيّن في كلامها أحد ولكن قالت (من زعم) بصيغة العموم)).

(١) كتاب التوحيد: ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

((لم يثبت عن ابن عباس أنّه قال رآه بعينه، ولكن قال بقلبه وبفؤاده))[١].

((كيف وجمهور الصحابة معها في إنكار الرؤية بالعين كابن مسعود وغيره ولم يخالف في ذلك إلا ابن عباس، أمّا غيرها من نساء النبيّ ﷺ فلم يؤثر عنهنّ أنهنّ خالفنها في ذلك، وليس فيهنّ من تضارعها في الفقه والعلم)).

وقال الشيخ هراس في معرض تعليقه على قول ابن خزيمة إنّ النفي لا يوجب علماً والإثبات هو الّذي يوجب العلم:

((ولكن لابدّ للمثبت أن يورد دليل الإثبات ومثبتو الرؤية لم يقدّموا أدلّة على ذلك[٢]، والنفي هو الأصل حتّى يقوم دليل الإثبات، وقد عضدت عائشة ﵂ مذهبها في النفي ببعض الآيات الّتي ظنت أنّها تشهد له)).

وقال هرّاس في مقام آخر: ((هذا إنّما يكون صحيحاً إذا ذكر المثبت دليلاً على إثباته وإذ لا دليل فكلام النافي هو المقدّم، والنفي لا يحتاج إلى دليل)).

وفي تعليقته على قول ابن خزيمة المتقدّم ((لا أحسب عربياً يجيء من طريق اللغة.. إلى آخر كلامه))، قال هراس:

((عجباً لإمام الأئمّة[٣] كيف خانه علمه فتوهّم أنّ المنفي هو إدراك الأبصار له إذا اجتمعت، فإذا انفرد واحد منها أمكن أن يراه! فهل إذا قال قائل: لا آكل الرمان،

---

(١) الروايات الواردة عن ابن عباس في مسألة الرؤية في مصادر أهل السنة يجدها المتتبع أنّها متعارضة ومضطربة، فإن كانت كذلك فلابدّ من القول بسقوطها والرجوع إلى الأصل وهو يقتضي عدم ثبوت ذلك عنه إلا بدليل، وقد نقل ابن خزيمة نفسه في كتابه قبل هجومه على عائشة أحاديث عن ابن عباس ينفي فيها الرؤية بالعين، ويمكن مراجعة كتاب ابن خزيمة المذكور لإثبات هذه النقطة بالذات.

(٢) قد تقدم سابقاً الرد على دعوى ابن خزيمة هذه في كلام ابن حجر العسقلاني على النووي الّذي اتهمه بمتابعة ابن خزيمة في هذه المسألة... ومحل العجب من كلام ابن خزيمة المتقدّم أنّه جعل = المستدل بالحديث النبوي والآيات الكريمة ـ وهو عائشة في المقام ـ مدّعياً، والمدّعي من غير دليل ـ وهو ابن عباس ـ مستدلاً، كلّ هذا من أجل الانتصار لرأيه ليس إلا!!

(٣) يريد ابن خزيمة.

يكون معنى هذا أنّه لا يأكل الحبات منه ولكن يأكل الحبّة! يرحم الله ابن خزيمة فلقد كبا، ولكلّ جواد كبوة))[١]. (انتهى)

ولنا في مقام التعليق على هذه الأقوال الّتي جاء بها ابن خزيمة هنا من أجل الانتصار لرأيه في الرؤية، كقوله: إنّ روايات الإثبات مقدّمة على روايات النفي، وإنّ النفي لا يوجب علماً وإنّما الإثبات هو الّذي يوجب العلم، نقول: هل تراه يلتزم بقاعدته هذه في الروايات الّتي تنفي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أوصى بالخلافة، والروايات الّتي تثبت أنّه أوصى بها لعليّ عليه السلام ليقول بثبوت الوصية لأنّ روايات الإثبات مقدّمة على روايات النفي؟!

وأيضاً هل تراه يلتزم فيما صرّح به في أكثر من موضع من كتابه بأنّ كلام ابن عباس مقدّم على كلام عائشة لأنّه أعلم منها، وبذلك يقدّم شهادة ابن عباس بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أوصى لعليّ عليه السلام بالخلافة من بعده وأمر المسلمين ببيعته في غدير خم في حجة الوداع[٢]، على شهادة عائشة بأنّ النبيّ لم يوص لأحد ولا أوصى بشيء؟![٣]

لا نظن ابن خزيمة يلتزم بشيء من ذلك، فللهوى سلطنة حقيقية على البعض لا يمكن للمرء الإفلات منها بسهولة، وخاصة في مقام التخلّص ممّا فطم عليه، فذلك أمر يحتاج إلى مجاهدة وتجرد حقيقيين، قال المولى سبحانه: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾[٤]، وقال عزّ من قائل: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى**

---

(١) كتاب التوحيد بتحقيق الشيخ محمّد خليل هراس: ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(٢) ابن عباس هو أحد رواة حديث الغدير الّذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله: (ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه)، وأخرج حديثه هذا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أحمد بن حنبل في مسنده ١: ٣٣١، والحاكم في مستدركه ٣: ١٤٣ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) وأحاديث النفي هذه وردت عن عائشة عند البخاري ٣: ١٨٦ باب الوصايا، ومسلم ٥: ٧٥ باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، وأحمد في المسند ٦: ٣٢.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٤٣.

﴿النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١]، فانقياد النفس ومتابعتها لسلطة الهوى هو الّذي يدفع ابن خزيمة وأمثاله إلى ارتكاب أمثال هذه المصادرات والتحكمات المتقدّمة، فيقعون في التناقض الصارخ من حيث يدرون أو لا يدرون.. ولله عاقبة الأمور!

ولم يخف الشيخ هراس - محقق كتاب ابن خزيمة - توقعاته في أن يكون لليهود دور في هذه المسألة عند المسلمين، ففي تعليقته على إحدى الروايات الّتي أوردها ابن خزيمة في كتابه المتقدّم عن ابن عباس، وهي أنّ النبيّ ﷺ رأى ربّه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب على كرسي من ذهب..إلخ، قال: ((لعل ابن عباس أخذ رأيه هذا من كعب الأحبار، فقد كان كعب يقول: إنّ الله قسّم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمّد))[٢].

وأيضاً لم يستبعد بعض أهل العلم، غير الشيخ هراس، بأن تكون الروايات المتقدّمة في الموضوع مدخولة على ابن عباس من مولاه عكرمة المتهم بالكذب عليه، وهو المعروف أيضاً بأخذه عن أحبار اليهود ككعب الأحبار.. فقد قال الشيخ محمّد عبده في تفسيره (المنار) عن روايتي ابن عباس وعائشة المتقدّمتين في الموضوع: ((أنّ ما روي عن ابن عباس من الإثبات هو الّذي يصح فيه ما قيل خطأ في نفي عائشة إنّه استنباط منه، لم يكن عنده حديث مرفوع فيه[٣]، وإنّه على ما صح عنه

(١) سورة النازعات، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٢) كتاب التوحيد: ١٩٨ (الحاشية).

(٣) هنا يعيد الشيخ محمّد عبده الأمور إلى نصابها ومواضعها الحقيقية الصحيحة، فالمدّعي حقيقة هو ابن عباس وليس عائشة، وهو الّذي يصح أن يقال في حقّه أنّه استنبط شيئاً ولم يسنده بدليل، خلاف عائشة الّتي قيل في حقّها ذلك مع أنّها أُسندت ما قالت بدليل عن النبيّ ﷺ وآيات من القرآن الكريم، فلاحظ هذا = =الأمر وتدبّره! مع أننا نتحفظ على نسبة هذا القول لابن عباس، خاصة مع تعارض الروايات الواردة عنه في المسألة واضطرابها، وأيضاً مع احتمال مدخوليتها عليه من قبل مولاه عكرمة كما يشير إليه الشيخ محمّد عبده! فتأمل!

من تقييده بالرؤية القلبية معارض مرجوح بما صح من تفسير النبيّ ﷺ لآيتي سورة النجم، وهو أنّهما في رؤيته ﷺ لجبريل بصورته الّتي خلقه الله عليها)).

وقال بعدها: ((على أنّ رواية عكرمة عنه لا يبعد أن تكون ممّا سمعه من كعب الأحبار الّذي قال فيه معاوية (الراوي) إن كنّا لنبلو عليه الكذب كما في صحيح البخاري..)).

ثمّ قال الشيخ محمد عبده: ((فعائشة وهي من أفصح قريش تستدل بنفي الإدراك على نفي الرؤية مع ما علم من الفرق بينهما، وتستدل على نفيها أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[1]، وقد حملوا هذا وذاك على نفي الرؤية في هذه الحياة الدنيا، ولكن إدراك الأبصار للربّ سبحانه محال في الآخرة كالدنيا))[2]. (انتهى)

(السلفيّون) يكفّرون أمّهم عائشة!!

إلا أنّ هذه العقيدة، أي: عقيدة (الرؤية) قد استمكنت من (السلفية)، مع ما فيها من (أيادي) يهودية، كما يشير إليه علماء ومفكري أهل السنّة، حتّى جعلتهم يخرجون عن طورهم ويفتون بكفر وضلال من خالفهم فيها، ففي فتوى لعبد العزيز ابن عبد الله بن باز مؤرخة (٨/ ٣/ ١٤٠٧) ومرقّمة (١٧١٧/ ٢) جواباً عن سؤال في جواز الاقتداء والائتمام بمن لا يعتقد بمسألة الرؤية يوم القيامة، قال: ((من يُنكر رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة لا يُصلّى خلفه وهو كافر عند أهل السنّة والجماعة)).

وهذا الحكم من ابن باز يشمل أيضاً أم المؤمنين عائشة لأنّها كذّبت من زعم أنّ النبيّ ﷺ رأى الله تعالى واستدلت على نفي إمكانية رؤية الله تعالى مطلقاً في

---

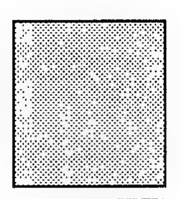
(١) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٢) تفسير المنار ٩: ١٥٠.

الدنيا والآخرة بقوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ..﴾ ولا طريق أمام ابن باز إلا أن يقول بكفر عائشة، أو يكذّب روايات البخاري ومسلم عنها!!

وبهذا القدر من بيان (أثر) اليهود في عقائد (الفكر السلفي) و(مصادره) نكتفي عن ذكر بقية الآثار والتأثيرات اليهودية على هذا الفكر.

وفي الختام نقول: الأولى بـ(المتمسلفين) تنظيف بيتهم الداخلي من هذه العقائد (اليهودية) المارة الذكر، والبيّنة الظهور في كتبهم ومصادرهم، بدل التطاول على الآخرين ورميهم بما هم أولى به منهم، من هذا الأثر (اليهودي) في مذهبهم وعقائدهم.. وقديماً قيل: (إن كان بيتك من زجاج فلا ترمِ الناس بالحجر)!!



المحور الرابع

▣ الفرس أئمّة للسنّة أم للشيعة؟!

الوجه الآخر لمتمسلفي العراق هو العنصرية!

النفَس القومي العنصري هو الحالة الّتي ربّى نظام البعث عليها أتباعه ولم يستطع متمسلفي العراق أن يخفوها عن أنفسهم، وكأنّ الاثنين ـ البعث والمتمسلفين ـ ولدا من رحم واحد، فها هم يتلفظون بتلك الألفاظ الّتي كان أولئك القوميون العلمانيون يتلفظون بها، ويصادرون بها حقوق الآخرين من أهل الإسلام أو القوميات الأخرى غير العربية كالأكراد والتركمان. فهم ـ أي: البعثيين ـ لم يتورّعوا مثلاً بنبز شيعة العراق بولائهم لإيران ـ أي: ولائهم إلى غير ما هو عربي ـ، وثمّ نبز شيعة إيران بالشعوبية – أي: ببغض العرب وتفضيل العنصر الأعجمي على العربي – !

واليوم يستعين (المتمسلفون) هذه اللغة المعروفة للبعث الكافر لينتهوا من خلالها إلى تحقيق أغراضهم الطائفية وكسب المعسكرين العربي والطائفي إلى جانبهم في معركتهم الّتي يخوضونها ضدّ أتباع أهل البيت عليهم السلام في العراق!

وإن أردنا أن نتحدّث مع هؤلاء بلغتهم هذه، وننزل إلى هذا المستوى الذهني الّذي يتكلّمون به، لا لشيء إلا لإراءتهم الحقيقة كما هي، نقول لهم: إنّ شيعة العراق عرب أقحاح ويوالون أئمّة عرباً أقحاحاً هم الأئمّة العرب من آل الرسول صلى الله عليه وآله خلافاً لـ(المتمسلفين) الّذين يوالون أئمّة من أصول غير عربية كأبي حنيفة ومالك بن أنس الأصبحي ومحمّد بن إدريس الشافعي، ويتتلمذون على حفّاظ للحديث وشرّاحه من غير العرب كالبخاري والترمذي وابن ماجة والنسائي وأبي داود والحاكم وغيرهم. وبهذا لا يصح منهم نبز الآخرين بما هم أصل فيه..

فالملاحظ أنّ هذا الطرح – الّذي يستعين به هؤلاء وأشباههم اليوم – يكشف في الواقع عن أزمة نفسية حقيقية يعيشها هؤلاء، فهم لا يهدفون إلى شيء سوى إقصاء الآخرين وتنحيتهم عن طريقهم لغرض الوصول إلى غاياتهم من الاستئثار والتفرّد بأيّ وسيلة كانت، حتّى لو كان ذلك بمغالطة حقيقتهم وواقعهم الذي هم فيه!

وهذا كلّه خلاف الشرع، فقد نهى المولى سبحانه عباده عن التعالي على بعضهم البعض بسبب اللون أو العرق أو اللغة، وجعل المعيار الحقيقي عنده للفخر والكرامة هي التقوى لا غير، فقال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].

وقال نبيّ الهدى (صلوات الله وسلامه عليه) (ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[٢].

وأيضاً لا يستقيم لهؤلاء أن ينبزوا شيعة إيران بالشعوبية، وذلك أنّنا بالعودة إلى أرباب المعاجم للوقوف على معنى الشعوبية نجدهم يفسّرونها بأنّها: فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم[٣]. والشعوبي: هو الّذي يصغّر شأن العرب[٤].

وعندما نسأل: بأيّ الأئمّة يقتدي شيعة إيران؟!

يأتينا الجواب: أنّهم يقتدون بالأئمّة الاثني عشر من آل الرسول عليهم السلام، أي: أنّهم يقتدون بأئمّة عرب أقحاح، ومن خير البيوتات العربية، فالفرس بفعلهم هذا قد فضلوا - ضمناً - العرب على غيرهم، وهذا خلاف التعريف المصطلح عن الشعوبية، فلو كان شيعة إيران يميلون إلى تفضيل العجم على العرب بدافع عنصري - كما هو الشأن عند المتمسلفين في تفضيلهم للعرب - لمالوا إلى أبي حنيفة واتخذوه إماماً لهم، فهو من أصل فارسي، وأيضاً لمالوا إلى مالك بن أنس الأصبحي، الّذي هو من الموالي وليس بعربي، ولمالوا إلى محمّد بن إدريس الشافعي، الّذي هو من الموالي

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) مسند أحمد ٥: ٢١١.

(٣) تاج العروس ١: ٣٢١.

(٤) لسان العرب ١: ٥٠٠.

أيضاً وليس بعربي[١]، مع أنّهم لم يفعلوا ذلك، وإنّما والوا الأئمّة العرب من آل الرسول ﷺ ولم يعدلوا بهم أحداً، وذلك لما دلّ الدليل عندهم بوجوب متابعة هؤلاء الأئمّة الأطهار دون غيرهم!

ونقول أيضاً: لو كان شيعة إيران شعوبيين، لأخذوا الحديث عن البخاري الأعجمي، وأيضاً لأخذوه عن تلميذه الأعجمي الآخر الترمذي، ولأخذوه من محمّد ابن يزيد بن ماجة، وكذلك عن المحدّث النسائي المنسوب لمدينة نسا بخراسان، أو عن أبي داود سليمان بن الأشعث الّذي ينسب إلى سجستان[٢]... إلا أنّ ضوابط شيعة إيران في أخذ الحديث لم تكن بشهوة عنصرية، وإنّما كان ذلك بدافع من العلم والإيمان الحقيقيين، إذ بعد أن ثبت عندهم وبالأدلة المعتبرة لزوم الأخذ بأحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام في ما يتعلّق بأصول الدين وفروعه لم يعدلوا بهم إلى سواهم، ولم يهمهم أخذ الحديث عن غيرهم ممّن لم تثبت حجيّته أو تثبت براءة الذمّة في الأخذ عنه واتّباع قوله، لذا تراهم يأخذون عن الرواة الثقات الّذين يروون أحاديث الأئمة الأطهار من آل البيت عليهم السلام دون غيرهم، ولا يهمهم في ذلك سواء كان الرواة لهذه الأحاديث من العرب أم من غيرهم، وإنّما المهم هو الوصول إلى النقل الصادق عن أئمّة الهدى من آل البيت عليهم السلام لا غير.

فلماذا يغض المتمسلفون الطرف عن هذه الحقائق والوقائع عمداً وتعمية؟! وهم في الوقت الّذي يهرّجون - بدافع مزدوج من القومية والطائفية - على الفرس بما شاء لهم التهريج، يتناسون أنّ ثلاثة من أئمّتهم الأربعة في الفقه هم من أصل فارسي، وأنّ خمسة رواة من أصل ستة من أصحاب الصحاح عندهم هم من الفرس،

---

(١) راجع موسوعة الشيخ أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، لتقف على التحقيق على الأصول غير العربية لكلّ واحد من هؤلاء الأئمّة!

(٢) راجع تراجم هؤلاء الرواة والمحدّثين في مقدّمات الصحاح الستة المعروفة عند أهل السنّة والجماعة.

وأنّ الغالبية العظمى لفقهائهم ومفسّريهم هم من أصل فارسي ونذكر لهم بالتحديد هنا: مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وسعيد بن جبير.

مع ملاحظة أنّ مجاهد وعكرمة ممّن يعتمد عليهما البخاري والشافعي ويوثّقانهما ويأخذان بمروياتهما جملة وتفصيلاً.

والليث بن سعد تلميذ يزيد بن حبيب والّذي يعتبر مؤسس المدرسة العلمية الدينية بمصر، ويقول عنه الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أنّ أصحابه لم يقوموا به، وهو فارسي من أهل أصفهان.

ومنهم ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك وهو ابن عبد الرحمن بن فروخ من أهل فارس، ومنهم طاووس بن كيسان الفارسي ترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء.

ومنهم البيهقي صاحب السنن الّذي قيل عنه: للشافعي فضل على كلّ أحد خلا البيهقي.

ومنهم مكحول بن عبد الله مولى بني ليث، ومحمّد بن سيرين مولى أنس ابن مالك، والحسن البصري الّذي قيل: إنّه أشبه الناس بعمر بن الخطاب على حدّ تعبير الشيرازي في الطبقات.

ومنهم الحاكم صاحب المستدرك، وعبد العزيز الماجشون الأصفهاني مولى بني تميم، وعاصم بن عليّ بن عاصم مولى بني تيم ومن شيوخ البخاري، وعبد الحقّ ابن سيف الدين الدهلوي صاحب مقدّمة في مصطلح الحديث، وعبد الحكيم القندهاري شارح البخاري في حاشيته، وعبد الحميد الخسرو شاهي صاحب اختصار المذاهب في الفقه الشافعي.

ومنهم عبد الرحمن رحيم مولى بني أمية ومحدّث الشام على مذهب الأوزاعي، وعبد الرحمن العضد الإيجي صاحب كتاب المواقف، وعبد الرحمن الجامي صاحب فصوص الحكم، وعبد الرحمن الكرماني رئيس الأحناف بخراسان وصاحب شرح التجريد، وشيخي زادة صاحب كتاب مجمع الأنهار، وأحمد بن

عامر المروزي صاحب مختصر كتاب المزني، وسهيل بن محمّد السجستاني صاحب كتاب إعراب القرآن، ومحمّد بن إدريس أبو حاتم الرازي الّذي يعدّ بمستوى البخاري، وأبو إسحاق الشيرازي صاحب كتاب التشبيه.

وعبد الله بن ذكوان أبو الزناد عالم المدينة بالفرائض والفقه وممّن روى عنه مالك والليث، وأحمد بن الحسين شهاب الدين الأصبهاني صاحب كتاب غاية الاختصار، ويعقوب بن إسحاق النيسابوري صاحب المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج، وأحمد بن عبد الله أبو نعيم صاحب الحلية، وابن خلكان صاحب وفيات الأعيان، وأحمد بن محمّد الثعلبي المفسّر[١].. وغيرهم كثير كثير.

فالفكر السنّي و(السلفي) خاصة بكلّ أبعاده مدين للفرس ومصبوغ بالفارسية وحتّى محمّد بن عبد الوهاب - إمام الوهابية - تربى ونشأ وتثقف على أيدي الفرس وكانت تربيته وثقافته بين كردستان وهمدان، وأصفهان وقم كما نصّ على ذلك جماعة[٢].

ف(المتمسلفون) حين ينبزون شيعة العراق باتّباعهم للفرس حالهم كحال هذا الشخص الّذي قيل له: لماذا تبدلون حرف الذال بالزاي والقاف بالغين في نطقكم؟ فقال: كلا (نحن لا نغول زلك)!

ولعل الأمر الّذي غاب عن هؤلاء معرفته أنّ الفرس كانوا لسبعمائة عام من أتباع مدرسة الخلفاء، وأنّ دخولهم للتشيّع إنّما كان في مستهل القرن الثامن الهجري وليس قبله.

---

(١) أُنظر تراجم هؤلاء الرواة والمحدّثين والفقهاء والمفسّرين في: معجم المؤلفين ١: ٢٠٦، وفجر الإسلام: ٢٤١، والكنى والألقاب للقمي ١: ٧.

(٢) أُنظر: زعماء الإصلاح لأحمد أمين: ١٠.

وبيان آخر أنّ التشيّع كان معروفاً ومنتشراً في جزيرة العرب والعراق قبل دخول الفرس إلى التشيّع بمئات السنين، فكيف ساغ لهؤلاء المدّعين أو غيرهم من هواة قلب الحقائق أن يجعلوا الفرع أصلاً، والأصل فرعاً؟!

وليس لنا في ختام هذا الفصل سوى أن نقول عن هذه الأساليب التهريجية الّتي يتبّعها هؤلاء في إعلامهم المضاد ضدّ أتباع أهل البيت عليهم السلام وبالخصوص ضدّ شيعة العراق: إنّ ما تفعلوه بضاعة كاسدة قد ذهب زمان رواجها مع انتهاء عهد البعث الكافر وصدام المقبور، ومن يريد أن يعتمد هذا المنطق في خطابه اليوم مع شيعة العراق، للوصول إلى مآربه الطائفية، عليه أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء، وأنّى له ذلك، فقد أدرك شهرزاد الصباح، وسكتت عن الكلام المباح.

وفي ختام هذا الكتاب لا يسعنا إلا أن نسأل المولى سبحانه بالهداية لكلّ امرءٍ استأثر به الشيطان وعزله عن التفكير الجاد والمنطق السليم، وأن يسلك به سبل الخير والرشاد إلى الصراط المستقيم، صراط الّذين أنعم عليهم محمّدوآل محمّد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).. إنّه نعم المولى ونعم المجيب.

فهرس المصادر

١ ـ **أحكام القرآن:** أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، ضبط وتخريج عبد السلام محمّد علي شاهين، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٥هـ.

٢ ـ **اختيار معرفة الرجال المعروف بـ(رجال الكشي):** الشيخ أبو جعفر الطوسي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام / قم، ١٤٠٤هـ.

٣ ـ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني، دار الكتاب العربي/ بيروث، ١٣٢٣هـ.

٤ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:** محمّد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٠٥هـ، ط٢.

٥ ـ **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول:** محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني، تحقيق محمّد سعيد البدري، دار الفكر/ بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.

٦ ـ **أسباب نزول الآيات:** أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع/ القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٧ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي/ بيروت.

٨ ـ **أسنى المناقب في تهذيب أسنى المطالب:** محمّد بن محمّد الجزري الشافعي، لم نحصل عليه ونقلنا عنه بالواسطة.

٩ ـ **أشعة اللمعات في شرح المشكاة:** عبد الحق الدهلوي، لم نحصل عليه ونقلنا عنه بالواسطة.

١٠ ـ **أضواء على السنة المحمدية:** محمود أبو رية، الناشر: نشر البطحاء، الطبعة الخامسة، مزيدة محققة.

١١ ـ **إعلام الموقعين عن ربّ العالمين**: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل/ بيروت، ١٩٧٣م.

١٢ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمّد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية/ القاهرة، ١٣٦٩هـ، ط ٢.

١٣ ـ **أوائل المقالات**: محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر/ بيروت، ١٤١٤هـ، ط٢.

١٤ ـ **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، دار الفكر/ بيروت، الطبعة الأولى.

١٥ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٢٦هـ

١٦ ـ **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**: بدر الدين الزركشي، تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٣٩٠هـ ط٢.

١٧ ـ **الأحاديث المختارة**: أبو عبد الله محمّد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة/ مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، ط١.

١٨ ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: علي بن محمّد الآمدي، تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٢٠هـ، ط٢.

١٩ ـ **الآحاد والمثاني**: ابن أبي عاصم المعروف بالضحاك، تحقيق الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية للطباعة النشر/ الرياض، ١٤١١هـ، ط١.

٢٠ ـ **الأدب المفرد**: محمّد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت، ١٤٠٦هـ، ط١.

٢١ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن عبد البر، تحقيق محمّد البجاوي، دار الجيل/ بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.

٢٢ ـ **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى)**: نور الدين علي بن حمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري، تحقيق: محمّد الصباغ، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٣٩١هـ.

٢٣ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٥هـ، ط١.

٢٤ ـ **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٨٠م، ط٥.

٢٥ ـ **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر/ بيروت، الطبعة الثانية.

٢٦ ـ **الأمالي**: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، دار الثقافة / قم، ١٤١٤هـ، ط١.

٢٧ ـ **الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)**: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق طه الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع/ القاهرة.

٢٨ ـ **الأنساب**: أبو سعيد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني، تعليق عبد الله بن عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ١٤٠٨ هـ، ط١.

٢٩ ـ **الأوائل**: أبو هلال العسكري، طبعة سنة ١٩٧٥م، دمشق ـ سوريا.

٣٠ ـ **الإيضاح**: الفضل بن شاذان، تحقيق جلال الدين الأرموي، مؤسسة انتشارات دانشكاه/ طهران، ١٣٦٣ش.

٣١ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمّد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء/ بيروت، ١٤٠٣ هـ، ط٢.

٣٢ ـ البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٤٠٨ هـ، ط١.

٣٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين محمّد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة/ بيروت، ١٤١٤هـ

٣٤ ـ تاريخ ابن خلدون (المقدّمة): عبد الرحمن بن خلدون، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة الرابعة.

٣٥ ـ تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، تحقيق محمّد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة/ القاهرة، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م، ط٣.

٣٦ ـ تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق علي شيري، دار الفكر/ بيروت، ١٤١٥هـ

٣٧ ـ تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٧هـ، ط١.

٣٨ ـ تاريخ الإسلام: شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٧ هـ، ط١.

٣٩ ـ تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ١٤٠٣هـ، ط٤.

٤٠ ـ تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي، دار صادر/ بيروت.

٤١ ـ تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري، تحقيق فهيم محمّد شلتوت، دار الفكر/ قم، ١٤١٠هـ

٤٢ ـ **تاريخ الخلفاء:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية/ بيروت، ١٤١٨هـ

٤٣ ـ **تأويل مختلف الحديث:** أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق الشيخ إسماعيل الأسعردي، دار الكتب العلمية/ بيروت.

٤٤ ـ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:** أبو العلا محمّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٠هـ، ط١

٤٥ ـ **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري:** جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمّد الزيلعي، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة/ الرياض، ١٤١٤هـ، ط١.

٤٦ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي:** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض.

٤٧ ـ **تذكرة الحفاظ:** أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٤٨ ـ **تذكرة الخواص:** سبط بن الجوزي، دار العلوم للتحقيق والطباعة/ بيروت ١٤٢٥هـ، ط١.

٤٩ ـ **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة:** أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي/ بيروت.

٥٠ ـ **تفسير ابن أبي حاتم:** ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس الرازي، تحقيق أسعد محمّد الطيب، المكتبة العصرية/ صيدا.

٥١ ـ **تفسير القرآن العظيم:** عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تقديم الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٢٢هـ.

٥٢ـ **تفسير البحر المحيط:** محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد بن عبد الموجود، دار الكتب العلمية / بيروت، ١٤٢٢هـ، ط١.

٥٣ـ **تفسير الآلوسي (روح المعاني):** أبو الفضل شهاب الدين محمّد الآلوسي البغدادي، دار الفكر/ بيروت، ١٤٢٣هـ ط١.

٥٤ـ **تفسير القرآن:** عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمّد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع/ الرياض، ١٤١٠هـ، ط١.

٥٥ـ **تفسير الطبري (جامع البيان):** أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دارالفكر/ بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٦ـ **تفسير الثعالبي المسمّى بـ(الجواهر الحسان):** عبد الرحمن بن محمّد بن خلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، تحقيق الشيخ علي محمّد معوض، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٤١٨هـ، ط١.

٥٧ـ **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن):** أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٨ـ **تفسير المنار:** السيد محمّد رشيد رضا (دروس الشيخ محمّد عبده)، مطبعة المنار/ مصر، ١٣٦٧هـ، ط٢.

٥٩ـ **تقريب التهذيب:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٥هـ، ط٢.

٦٠ـ **تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ.

٦١ـ **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك:** عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى/ مصر، ١٣٨٩ هـ.

٦٢ ـ **تهذيب التهذيب**: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر/ بيروت، ١٤٠٤هـ ط ١.

٦٣ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤٠٦هـ، ط ٤.

٦٤ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**: محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر/ بيروت، ١٩٩٦م، ط ١.

٦٥ ـ **التبيين لأسماء المدلّسين**: سبط بن العجمي الشافعي، تحقيق الأستاذ يحيى شفيق، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٦هـ، ط ١.

٦٦ ـ **الترغيب والترهيب في الحديث الشريف**: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية/ بيروت،١٤١٧هـ، ط ١.

٦٧ ـ **التعريفات**: علي بن محمّد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٥هـ، ط ١.

٦٨ ـ **التقرير والتحبير في علم الأصول**: ابن أمير الحاج، دار الفكر/ بيروت، ١٤١٧هـ.

٦٩ ـ **الثقات**: محمّد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي السبتي، مؤسسة الكتب الثقافية/ حيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٩٣هـ، ط ١.

٧٠ ـ **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**: أبو سعيد بن خليل العلائي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب/ بيروت، ١٤٠٧هـ، ط ٢.

٧١ ـ **جامع بيان العلم وفضله**: يوسف بن عبد البر المزي، دار الكتب / بيروت، ١٣٩٨هـ.

٧٢ ـ **جمهرة خطب العرب**: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية/ بيروت.

٧٣ ـ **جواهر العقدين**: نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٥هـ، ط ١.

٧٤ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر/ بيروت، ١٤٠١هـ، ط١.

٧٥ـ الجرح والتعديل: أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الرازي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٣٧١هـ، ط١.

٧٦ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار: محمّد أمين الشهير بابن عابدين، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة/ بيروت، ١٤١٥هـ.

٧٧ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٥هـ، ط٤.

٧٨ـ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الشافعي، تحقيق محمّد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة/ طهران.

٧٩ـ خطط الشام: محمّد كرد علي، مطبعة المفيد/ دمشق، ١٣٤٧هـ.

٨٠ـ در السحابة في مناقب القرابة والصحابة: محمّد علي الشوكاني، دار الفكر.

٨١ـ دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مؤسسة البراق.

٨٢ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت.

٨٣ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي/ القاهرة، ١٣٥٦هـ.

٨٤ـ رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبيّ الهادي: أبو بكر شهاب الدين العلوي الحضرمي، تحقيق السيد علي عاشور، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٨هـ، ط١.

٨٥ـ الرياض النضرة: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٢٤هـ، ط٢.

٨٦ـزاد المسير في علم التفسير: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي القرشي البغدادي، تحقيق: محمّد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر / بيروت، ١٤٠٧هـ ط١.

٨٧ـزين الفتى في شرح سورة هل أتى: أحمد بن محمّد بن علي بن أحمد العاصمي، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/ قم المقدسة، ١٤١٨هـ ط١.

٨٨ـزين العابدين علي بن الحسين: عبد العزيز سيد الأهل، المكتبة العلمية ومطبعتها/ القاهرة، ١٩٦١، ط٢.

٨٩ـسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمّد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٤هـ ط١.

٩٠ـسبل السلام: محمّد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق الشيخ محمّد عبد العزيز الخولي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة، ١٣٧٩هـ ط٤.

٩١ـسر العالمين: أبو حامد الغزالي، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية/ القاهرة، ١٤٢١هـ ط١.

٩٢ـسنن ابن ماجة: محمّد بن يزيد القزويني، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت.

٩٣ـسنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق سعيد محمّد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ١٤١٠هـ، ط١.

٩٤ـسنن الترمذي (الجامع الصحيح): أبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر/ بيروت، ١٤٠٣هـ ط٢.

٩٥ـسنن الدارمي: أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، مطبعة الاعتدال/ دمشق، ١٣٤٩هـ.

٩٦ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة:** محمّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع/ الرياض، ١٤١٥هـ، الطبعة الجديدة المنقحة والمزيدة.

٩٧ ـ **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي:** عبد الملك بن حسين الشافعي العاصمي المكي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٩هـ.

٩٨ ـ **سؤالات أبي عبيد الآجري:** أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة دار الاستقامة، مؤسسة الريان / بيروت، ١٤١٨هـ ط١.

٩٩ ـ **سير أعلام النبلاء:** شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤١٣هـ، ط٩.

١٠٠ ـ **السقيفة وفدك:** أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، شركة الكتبي للطباعة/ بيروت، ١٤١٣هـ ط٢.

١٠١ ـ **السنن الكبرى:** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١١هـ، ط١.

١٠٢ ـ **السنن الكبرى:** أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر/ بيروت.

١٠٣ ـ **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون:** علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٠٤ ـ **شرح المقاصد:** مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٢٢هـ، ط١.

١٠٥ ـ **شرح المواهب اللدنية:** محمّد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٢٨هـ.

١٠٦ ـ **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨هـ، ط ١.

١٠٧ ـ **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**: الحافظ عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، نشر مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١هـ ط ١.

١٠٨ ـ **شيخ المضيرة أبو هريرة**: محمود أبو رية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، طبع دار المعارف بمصر.

١٠٩ ـ **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤١٤هـ، ط٢.

١١٠ ـ **صحيح مسلم**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر/ بيروت. طبعة مصححة ومقابلة على عدّة مخطوطات ونسخ متعددة.

١١١ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمّد ناصر الدين الألباني، جمعية إحياء التراث الإسلامي، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٢١هـ، ط٣.

١١٢ ـ **صحيح البخاري**: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ١٤٠١ هـ، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإسطنبول.

١١٣ ـ **صحيح مسلم بشرح النووي**: محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٧هـ.

١١٤ ـ **صحيح ابن خزيمة**: أبو بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق الدكتور محمّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤١٢هـ، ط٢.

١١٥ ـ **صحيح الترمذي بشرح ابن العربي**: أبو بكر بن العربي المالكي، مطبعة الصاوي/ القاهرة، ١٣٥٣ هـ، ط ١.

١١٦ ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٤٠٧هـ، ط ٤.

١١٧ ـ **الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم**: زين الدين أبو محمّد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي، تحقيق محمّد الباقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٤هـ، ط ١.

١١٨ ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**: أبو العباس محمّد ابن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤١٧ هـ، ط ١.

١١٩ ـ **ضحى الإسلام**: أحمد أمين، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط ١٠.

١٢٠ ـ **ضعفاء العقيلي (الضعفاء الكبير)**: أبو جعفر محمّد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٨هـ، ط ٢.

١٢١ ـ **الضعفاء الصغير**: محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ١٤٠٦هـ، ط ١.

١٢٢ ـ **طبقات الحفاظ**: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٣هـ، ط ١.

١٢٣ ـ **طبقات المدلّسين**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق د. عاصم ابن عبد الله القربوتي، مكتبة المنار/ عمان، ١٤٠٣هـ، ط ١.

١٢٤ ـ **الطبقات الكبرى**: محمّد بن سعد بن منيع البصري، دار صادر/ بيروت.

١٢٥ ـ **عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى**: مرتضى العسكري، نشر توحيد، ١٤١٣هـ، ط ٦ المصححة.

١٢٦ ـ **عبد الله بن سبأ وإمامة علي**: علي عبد الرحمن السلمان، دار الأمل للنشر والتوزيع/ القاهرة.

١٢٧ ـ **عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والخيال:** الشيخ علي آل محسن.

١٢٨ ـ **عبد الله بن سبأ:** عبد العزيز الهلالي، لم نحصل عليه ونقلنا عنه بالواسطة.

١٢٩ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٣٠ ـ **عيون الأخبار:** أبو محمود عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرح وضبط الدكتور يوسف الطويل، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٢٤هـ، ط٢.

١٣١ ـ **العقد الفريد:** أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣.

١٣٢ ـ **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية:** عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٣هـ، ط٢.

١٣٣ ـ **عون المعبود على شرح سنن أبي داود:** أبو عبد الرحمن شرف الحق العظيم آبادي، اعتنى به أبو عبد الله النعماني الأثري، دار ابن حزم / بيروت، ١٤٢٦ هـ، ط١.

١٣٤ ـ **الغدير في الكتاب والسنة والأدب:** عبد الحسين أحمد الأميني، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٣٩٧هـ ط٤.

١٣٥ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت. ط٢، أُعيد طبعه بالأوفسيت.

١٣٦ ـ **فتح القدير:** محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني، عالم الكتاب.

١٣٧ ـ **فتح المغيث شرح ألفية الحديث:** شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتاب العلمية/ بيروت، ١٤٠٣هـ، ط١.

١٣٨ ـ **فضائل الصحابة:** أبو بكر عبد الرحمن بن شعيب بن علي النسائي، دار الكتاب العلمية/ بيروت.

١٣٩ ـ **فضائل الصحابة:** أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د.وصي الله محمّد عباس، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤٠٣هـ، ط ١.

١٤٠ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير:** محمّد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٥هـ، ط ١.

١٤١ ـ **الفائق في غريب الحديث:** جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ١٤١٧هـ، ط ١.

١٤٢ ـ **الفتنة الكبرى:** طه حسين، دار المعارف/ مصر.

١٤٣ ـ **الفردوس بمأثور الخطاب:** شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتاب العلمية/ بيروت، ١٤٠٦هـ، ط ١.

١٤٤ ـ **الفصول المهمة في معرفة الأئمة:** علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكي، تحقيق: سامي الغريري، دارالحديث للطباعة والنشر/ قم المقدّسة، ١٤٢٢هـ.

١٤٥ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي/ القاهرة.

١٤٦ ـ **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة:** محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣.

١٤٧ ـ **قاموس الرجال:** محمّد تقي التستري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٩هـ، ط ١.

١٤٨ ـ **قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة:** جلال الدين السيوطي، تحقيق: الشيخ خليل محيي الدين الميس، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٤٩ ـ **القاموس المحيط:** مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي.

١٥٠ ـ **كتاب الأموال**: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمّد خليل هراس، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٦هـ، ط١.

١٥١ ـ **كتاب التوحيد**: محمّد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي، مطابع الرياض/ الرياض، ط١.

١٥٢ ـ **كتاب المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين**: محمّد بن حبان ابن أحمد أبي حاتم، تحقيق محمود إبراهيم زايد، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

١٥٣ ـ **كتاب السنة**: أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك، تحقيق: محمّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤١٣هـ.

١٥٤ ـ **كتاب الضعفاء والمتروكين**: أحمد بن علي بن شعيب النسائي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٦ هـ.

١٥٥ ـ **كتاب الضعفاء**: أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة/ الدار البيضاء ـ المغرب.

١٥٦ ـ **كتاب العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ، ط٢.

١٥٧ ـ **كتاب الغيبة**: أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم المعروف بـ(ابن أبي زينب النعماني)، تحقيق فارس حسون كريم، مطبعة مهر/ قم، ١٤٢٢هـ، ط١.

١٥٨ ـ **كتاب الفتوح**: أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر/ بيروت، ١٤١١هـ، ط١.

١٥٩ ـ **كتاب الفهرست**: أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب إسحق ابن النديم المعروف بالوراق، تحقيق: رضا ـ تجدد.

١٦٠ ـ **كتاب المقالات والفرق**: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي، تعليق: الدكتور محمّد جواد مشكور، مطبعة حيدري/ طهران، ١٩٦٣م.

١٦١ ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس:** إسماعيل بن محمّد العجلوني الجراحي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٨ هـ، ط٣.

١٦٢ ـ **كشف المشكل من حديث الصحيحين:** أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن/ الرياض، ١٤١٨هـ.

١٦٣ ـ **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب** عليه السلام: أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الكنجي الشافعي، تحقيق محمّد هادي الأميني، المطبعة الحيدرية/ النجف، ١٣٠٩هـ، ط٢.

١٦٤ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:** علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تصحيح الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤٠٩هـ.

١٦٥ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال:** عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر/ بيروت، ١٤٠٩هـ، ط٣.

١٦٦ ـ **الكامل في التاريخ (تاريخ ابن الأثير):** أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمّد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٥هـ، ط٢.

١٦٧ ـ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:** أبو عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق محمّد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية/ جدة، ١٤١٣هـ، ط١.

١٦٨ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل:** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ مصر، ١٣٨٥ هـ.

١٦٩ ـ **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث:** إبراهيم بن محمّد بن سبط ابن العجمي، تحقيق صبحي السامرائي، مكتبة النهضة العربية/ بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١.

١٧٠ ـ **لباب النقول في أسباب النزول:** جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم/ بيروت.

١٧١ ـ **لسان العرب**: جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، نشر أدب الحوزة / قم، ١٤٠٥هـ.

١٧٢ ـ **لسان الميزان**: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، ١٣٠٩هـ، ط٢.

١٧٣ ـ **لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة**: محمّد مرتضى الزبيدي، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

١٧٤ ـ **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمّد بن عويضة، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٧هـ، ط١.

١٧٥ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٧٦ ـ **مجموع الفتاوى (كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية)**: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم العاصمي النجدي، نشر مكتبة ابن تيمية، ط٢.

١٧٧ ـ **مجلة المنار**: المجلد السابع والعشرون، ٣٠ شهر رمضان ١٣٤٤هـ ١٣ ابريل سنة ١٩٢٦م.

١٧٨ ـ **مجلة المنهاج**: الصادرة عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية/ بيروت، العدد الأوّل، السنة الأولى ١٩٦٦م.

١٧٩ ـ **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**: أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، دار القلم/ بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٨٠ ـ **مختصر التحفة الاثني عشرية**: شاه عبد العزيز ولي الله الدهلوي، اختصره محمود شكري الآلوسي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ الرياض، ١٤٠٤هـ.

١٨١ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان:** أبو محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار الكتاب الإسلامي/ بيروت، ١٤١٣هـ.

١٨٢ ـ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:** علي بن سلطان محمّد القاري، تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٣هـ، ط١.

١٨٣ ـ **مروج الذهب:** أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق سعيد محمّد اللحام، دار الفكر/ بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.

١٨٤ ـ **مسائل خلافية حار فيها أهل السنة:** الشيخ علي آل محسن، دار الميزان للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ١٤١٩هـ، ط١.

١٨٥ ـ **مسند أحمد بن حنبل:** أحمد بن حنبل، نشر دار صادر/ بيروت.

١٨٦ ـ **مسند أبي يعلى:** أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث/ دمشق.

١٨٧ ـ **مسند أبي داود الطيالسي:** سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الشهير بأبي داود الطيالسي، نشر دار المعرفة/ بيروت.

١٨٨ ـ **مسند ابن المبارك:** عبد الله بن المبارك، تحقيق د. مصطفى عثمان محمّد، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١١هـ، ط١.

١٨٩ ـ **مسند ابن راهويه:**إسحاق بن راهويه، تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان/ المدينة المنورة، ١٤١٢هـ، ط١.

١٩٠ ـ **مشاهير علماء الأمصار:** أبو حاتم محمّد بن حبان، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة/ المدينة المنورة ١٤١١ هـ، ط١.

١٩١ ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار:** أبو الفضل علي الطبرسي، تحقيق مهدي هوشمند، نشر دار الحديث/ قم، ١٤١٨هـ، ط١.

١٩٢ ـ **مشكاة المصابيح:** محمّد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٩٨٥م، ط٣.

١٩٣ ـ **مصابيح السنة**: الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، مطبعة محمّد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر.

١٩٤ ـ **معاني القرآن الكريم**: أبو جعفر النحاس، تحقيق الشيخ محمّد علي الصابوني، نشر جامعة أم القرى/ المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ، ط١.

١٩٥ ـ **معجم ألفاظ العقيدة**: تصنيف أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم عبد الله بن جبرين، منشورات مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ، ط٢.

١٩٦ ـ **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: عبد الله بن عبد العزيزي البكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب/ بيروت، ١٤٠٣هـ، ط٣.

١٩٧ ـ **معجم رجال الحديث**: أبو القاسم الموسوي الخوئي، الطبعة الخامسة مزيدة ومنقحة، ١٤١٣هـ.

١٩٨ ـ **معرفة الثقات**: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤٠٥هـ، ط١.

١٩٩ ـ **معرفة علوم الحديث**: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٣٩٧هـ، ط٢.

٢٠٠ ـ **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمّد بن عويضة، دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠٤هـ، ط١.

٢٠١ ـ **مكارم الأخلاق**: رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ، ط٦.

٢٠٢ ـ **منهاج السنة النبوية**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمّد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ، ط١.

٢٠٣ ـ **موضح أوهام الجمع والتفريق**: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١.

٢٠٤ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت، ١٣٨٢هـ، ط ١.

٢٠٥ـ **ميزان الحكمة**: محمّد الري شهري، نشر دار الحديث/ قم، ١٤١٦هـ ط١.

٢٠٦ـ **المجموع شرح المهذب**: محيي الدين بن شريف النووي، منشورات دار الفكر/ بيروت.

٢٠٧ـ **المحصول في علم أصول الفقه**: فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤١٢هـ، ط٢.

٢٠٨ـ **المحلى**: أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق أحمد محمّد شاكر، دار الفكر، طبعة مصححة ومقابلة على عدّة مخطوطات ونسخ معتمدة.

٢٠٩ـ **المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفدا)**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود، تحقيق: محمّد ديّوب، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٢٢هـ، ط٢.

٢١٠ـ **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٢٢هـ، ط٢. وبهامشه تلخيص المستدرك للذهبي.

٢١١ـ **المصباح المنير**: أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيّومي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٤هـ، ط١.

٢١٢ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)**: علي بن سلطان محمّد الهروي القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٣٩٨هـ، ط٢.

٢١٣ـ **المصنف**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٢١٤ ـ **المصنف**: عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة، تحقيق سعيد اللحام، منشورات دار الفكر للطباعة/ بيروت، ١٤٠٩هـ، ط١.

٢١٥ ـ **المعارف**: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف/ القاهرة.

٢١٦ ـ **المعجم الأوسط**: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين، نشر دار الحرمين للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ.

٢١٧ ـ **المعجم الكبير**: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة.

٢١٨ ـ **المعرفة والتاريخ**: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العملية/ بيروت، ١٤١٩هـ.

٢١٩ ـ **المعيار والموازنة**: أبو جعفر الإسكافي محمّد بن عبد الله المعتزلي، تحقيق محمّد باقر المحمودي، سنة الطبع: ١٤٠٢هـ.

٢٢٠ ـ **المغني**: أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن قدامة، نشر دار الكتاب العربي/ بيروت.

٢٢١ ـ **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني، نشر دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤هـ.

٢٢٢ ـ **المقاصد الحسنة**: أبو الخير محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد السخاوي، تحقيق محمّد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١.

٢٢٣ ـ **الملل والنحل**: أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمّد سيد كَيلاني، دار المعرفة/ بيروت.

٢٢٤ ـ **المناقب**: الموفق بن أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي/ قم المشرفة، ١٤١٤هـ، ط٢.

٢٢٥ ـ **المنتخب من كتاب ذيل المذيل**: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت.

٢٢٦ ـ **الموسوعة الفقهية الميسرة**: الشيخ محمّد علي الأنصاري، نشر مجمع الفكر الإسلامي/ قم المقدسة، ١٤١٥هـ، ط ١.

٢٢٧ ـ **الموضوعات**: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان، المكتبة السلفية/ القاهرة، ١٣٨٦هـ، ط ١.

٢٢٨ ـ **الموطأ**: مالك بن أنس، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٢٩ ـ **الميزان في تفسير القرآن**: محمّد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٢٣٠ ـ **نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي**: حسن بن فرحان المالكي، مؤسسة اليمامة الصحفية/ الرياض، ١٤١٨هـ.

٢٣١ ـ **نسخة وكيع**: وكيع بن جراح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الدار السلفية/ الكويت، ١٤٠٦هـ.

٢٣٢ ـ **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**: أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري، المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٢٦هـ.

٢٣٣ ـ **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**: الدكتور علي سامي النشار، دار المعارف/ مصر، ١٩٦٤م، ط ٢.

٢٣٤ ـ **نشأة الشيعة الإمامية**: نبيلة عبد المنعم داود، دار المؤرخ العربي/ بيروت، ١٤١٥هـ، ط ١.

٢٣٥ ـ **نصب الراية**: جمال الدين الزيلعي، عناية: أيمن صالح شعبان، نشر دار الحديث/ القاهرة، ١٤١٥هـ، ط ١.

٢٣٦ ـ **نظم المتناثر من الحديث المتواتر:** جعفر بن إدريس الحسيني الشهير بالكتاني، دار الكتب العلمية/ بيروت.

٢٣٧ ـ **نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار:** علي الحسيني الميلاني، مطبعة مهر، نشر المؤلف، ١٤١٤هـ، ط ١.

٢٣٨ ـ **نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول:** أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، تحقيق حسن السماعي سويدان، دار القادري/ بيروت، ١٤١١هـ، ط ١.

٢٣٩ ـ **نهج البلاغة:** خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام، اختيار الشريف الرضي، تحقيق الشيخ محمّد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٤٠ ـ **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ:** محمّد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل/ بيروت، ١٩٩٢م.

٢٤١ ـ **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار:** محمّد بن علي الشوكاني، دار الجيل/ بيروت، ١٩٧٣م.

٢٤٢ ـ **النهاية في غريب الحديث:** المبارك بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بـ(ابن الأثير)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، مؤسسة إسماعيليان/ قم.

٢٤٣ ـ **النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية:** محمّد الأمير الكبير المالكي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٠٩هـ، ط ١.

٢٤٤ ـ **النزاع والتخاصم:** تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق السيد علي عاشور.

٢٤٥ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة:** محمّد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ قم المقدسة، ١٤١٤هـ، ط ٢.

٢٤٦ـ **وقعة صفين**: نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، نشر المؤسسة العربية الحديثة/ القاهرة، ١٣٨٢هـ، ط٢.

٢٤٧ـ **ينابيع المودّة لذوي القربى**: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر/ قم المقدسة١٤٢٢هـ، ط٢.

الفهرس الموضوعي

فهرس المواضيع



هذا الكتاب

يتضمّن هذا الكتاب ردّ شبهات الحركة السلفية ومغالطاتهم التي نشروها في العراق على شكل أقراص ليزريّة ضدّ مذهب أهل البيت عليهم السلام .

والمحاور الرئيسية التي اختارها المؤلف للردّ على هذه الشبهات أربعة ، وهي :

المحور الأوّل: الردّ على إنكار حجّية قول وفعل أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتفنيد دعوى أنّ التشيّع يعني حبّ أهل البيت عليهم السلام لا أكثر.

المحور الثاني: الردّ على دعوى أنّه لم يكن في القرون الثلاثة الأولى منذ صدر الإسلام "شيعة" بالمعنى الذي يفهمه الناس اليوم.

المحور الثالث: الردّ على دعوى أنّ عبد الله بن سبأ أوّل من قال بالوصيّة لعلي عليه السلام .

المحور الرابع: الردّ على دعوى أنّ الفرس هم الذين قادوا التشيّع في القرن الرابع ، وهم الذين صاغوه بشكله الحالي .



مركز الأبحاث العقائدية

The Center of Belief Researches

ايران / قم المقدسة / صفائية / ممتاز / رقم ٣٤ / ص.ب: ٣٧١٨٥/٣٣٣١

هاتف: ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) ٩٨+ / فاكس: ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) ٩٨+

العراق / النجف الأشرف / شارع الرسول صلى الله عليه وآله / جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

ص.ب : ٧٢٩ / هاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) ٩٦٤+

www.aqaed.com / info@aqaed.com

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾